حديث عن الثقافة

(بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة)

تأليف

دكتور سيد عويس

الخبير الأول بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

١٩٧٠

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد . القاهرة

دار الطباعة الحديثة

٤ كنيسة الأرمن - أول شارع الجيش

ت ٩٠٨٢١٨ - س.ت ٩٩٦٩١

الإهداء

الى الشعب الأصيل الخالد ..

أول من بنى حضارة انسانية على وجه الأرض

الى شعب بلادى ..

الى نسائه ورجاله ، والى شاباته وشبانه ، والى أطفاله ..

الذين يحاولون ، اليوم ، بناء حياتهم من جديد ..

سيد عويس

فهرس

رقم الصفحة

رقم الصفحة

مقـــدمة

فى ٣٠ يوليو ١٩٦٧ ، كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين أحد المفكرين النابهين المصريين فى عصرنا الحـالى ، مقالا فى مجلة المصـور عنوانه « مطلوب دولة عصرية » تستطيع عند الخطر أن تصل الى أقصى درجات التنظيم وتوفر أكبر قدر من طاقاتها بأقل درجة من الارتباك فى المعركة • ومطلوب «مجتمع عصرى» يعيش وفقا لقيم العصر ومفهوماته •• وتساءل المفكر النابه ، فى اخلاص ، عن معالم مثل هذه الدولة ومثل هذا المجتمع • وبعد نشر هذا المقال ، بأيام ، دعانى الأستاذ أحمد بهاء الدين مع زملاء أفاضل لحضور ندوة ثقافية للتحدث حول هذا الموضوع • وما أن تركت الندوة حتى أصبح التفكير فى بعض الخصائص الثقافية المصرية المعاصرة شغلى لشاغل • وفى ضوء هذا التفـكير ولدت فكرة تأليف الكتاب الحالى (١) •

ويحاول الكتاب الحالى : « حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة » ، أن يقدم بعض الدراسات العلمية عن بعض الحقائق الثقافية فى المجتمع المصرى المعاصر ، أى أن الدراسات المتضمنة فى هذا الكتاب تحاول ابراز بعض الملامح الثقافية للمجتمع المصرى المعاصر فى ضوء نتائج دراسات سابقة أجريت فى محيط التراث الثقافى لهذا المجتمع • وبعض الدراسـات الحالية واقعى •• وبعضها مستمد من مصادر التراث الثقافى النظرى •• ومعظمها دراسات أولية قد أجريت لأول مرة ••

---

(١) أحمد بهاء الدين : مطلوب دولة عصرية ، مجلة المصور ، ٣٠ يوليو ١٩٦٧ •

أنظر أيضا (أحمد بهاء الدين : اسرائيليات وما بعد العدوان ، كتاب الهلال نوفمبر ١٩٦٧ ، صفحات ٢٩٦ ــ ٣٠٠) •

أنظر أيضا (الندوة الثقافية حول موضوع دولة عصرية ، مجلة المصور ، ١٨ أغسطس ١٩٦٧) •

وقد جرت العادة أن يتناول بعض موضوعات الكتاب ، بأسلوب أو بآخر ، رجال الدين والسياسيون والأدباء والفنانون والصحفيون وغيرهم • وفى الكتاب الحالى •• يحاول أحد المواطنين المتخصصين فى العلوم الاجتماعية أن يتناول، من وجهة النظر الاجتماعية الثقافية ، هذه الموضوعات • ولا يعنى هذا ، مطلقا، أن الكتاب الحالى كتاب جامع مانع ، يضم كل الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة •• بل هو يكتفى بقدر منها •• ربما يكون هو أهمها فى ضوء الظروف الاجتماعية التى يواجهها المجتمع فى الحقبة الحالية من حياته ••

ولا يجادل أحد فى أن المجتمع المصرى مجتمع قديم •• فعمره المكتوب هو نحو سبعة آلاف عام ، أما عمره غير المكتوب فلم يستطع انسان حتى الآن•• أن يعرف، بالضبط ، له عدداء وقد بنى هذا المجتمع ، فى خلال عمره الطويل ، حضارات عديدة أصيلة••منها ، دون ما تفاخر أو تعال ، أول حضارة انسانية على وجه الأرض • واذا كان المجتمع المصرى مجتمعا قديما فهو ، أيضا ، مجتمع مستمر ، أى أنه عاش حتى الآن واستمر حتى الآن ، على الرغم من العاديات ومن الظلم ومن الألوان القاتمة من البؤس التى قاساها ، محتفظا بروحه العالية ، ومحتفظا بتماسكه وحيويته • ونجد أبناءه يحاولون ، فى الوقت الحاضر ، فى ظل الاشتراكية ، صنع حياتهم من جديد ، ويغيرون أنفسهم من جديد •• الى الأفضل •• والى الأقوى •• والى الأعظم •

وعلى الرغم من أن بعض موضوعات الكتاب الحالى قد درس ، واقعيا ، فان هذا البعض فى مسيس الحاجة الى استكمال دراسته فى الواقع الحى فى مجتمعنا المعاصر فى محيط مجالاته الزمانية والمكانية والبشرية جميعا • ومن الناحية الأخرى نجد أن بعض الموضوعات التى تناولها الكتاب الحالى ، قد عرض على المستوى النظرى فحسب ، ومن ثم فان هذا البعض فى مسيس الحاجة الى الدراسة الواقعية الأكثر عمقا وشمولا • وهو يعتبر ، فى الواقع ، رؤوسا لموضوعات قد تجتذب اهتمام بعض الباحثين العلميين المصريين على اختلاف تخصصاتهم • ويرى الكاتب أن التعرف على ملامح مجتمعنا المصرى

المعاصر ، من وجهة النظر الاجتماعية الثقافية المتعمقة الشـاملة ، فى ضـوء ظروفه ، أصبح أمرا ملحا •• لأننا اذا عرفنا هذه الملامح نستطيع أن نفهمها•• ومن ثم نستطيع أن نواجهها أو نوجهها الى ما نصـبو الى تحقيقـه من آمال وأهداف ، داخلية كانت أو خارجية ، على المستوى المصرى أو العربى أو الانسانى ••

وقد تعلم الكاتب ، كما تعلم غيره ، فى ضوء حوادث الفترة الأخيرة دروسا عديدة (١) • ودروس الحياة كثيرة جدا • وطالما كانت الحياة كانت هـذه الدروس • ودروس الحياة قد تكون دروسا خاصة •• وقد تكون ، أيضا ، دروسا عامة • وهى أيضا ، دروس نافعة ، أو دروس ضارة • ويلاحظ أن النفع لا يمكن أن يكون مطلقا •• وأن الضرر كذلك ، لا يمكن أن يكون مطلقا ، فالحياة •• فى ضوء النظرة العلمية •• لا يمكن أن تكون شرا مطلقا ولا يمكن أن تكون خيرا مطلقا ••

والكاتب واحد من الناس • أى عضو من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر لا يرى •• ولا يمكن أن يرى أن حـوادث الفتـرة الأخـيرة القاسية التى واجهناها ، ولا نزال نواجه آثارها ، كلهـا شر مستطير • ربما تكون هـذه الحوادث شرا مستطيرا اذا نظرنا الى الماضى وحسب •• ولكن اذا نحن واجهنا المستقبل ، موضـوعيا ، نرى ، أو يجب أن نرى ، العنـاصر المشرقة التى تضمنتها • وأقصد بالعناصر المشرقة •• العبرة المستفادة التى يمكن أن نعيها•• أو التى يجب أن نعيها •• منها ، هـذه العبرة التى تيسر لنا سـبيل النضج بأنماطه •• النضج السياسى والنضج الاجتماعى والنضج الثقافى جميعا • اننا اذ نبنى مجتمعا مصريا عصريا قويا فى مسيس الحاجة الى ألوان عديدة من النضج •• ولقد ساعدتنا أو يجبأن تساعدنا الحوادثالأخيرة على تحقيق هذا الهدف الانسانى •• هدف تحقيق مستقبلنا المجيد ••

---

(١) الفترة التى حدث فيها العدوان الاسرائيلى الامبريالى على بلادنا العزيزة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ــ ٩ يونيو ١٩٦٧ •

لقد علمتنا هذه الحوادث أن شعبنا المصرى شعب أصيل ، وأن أصالة هذا الشعب نابعة من التراث الثقافى الذى يعيش فيه ويعيش به هذا الشعب المناضل على مر الأجيال • ولعل الأوان قد حان لنتعلم ضرورة فهم أصالة شعبنا فهما علميا • وذلك بأن ندرس عناصر هذه الأصالة دراسة علمية حتى يزداد فهمنا لهذا الشعب • ونحن اذا فهمنا شعبنا ، موضوعيا ، استطعنا أن نغيره الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم ••

أى أن الحوادث الأخيرة قد علمتنا ، أو يجب أن تعلمنا ، الاعتماد على العلم فى مواجهة كل الأمور والمواقف •• الخاصة منها والعامة • ذلك لأن سيادة التفكير العلمى فى محيط مجتمعنا المعاصر قد أصبحت ضرورة • وقد أكدت الحوادث الأخيرة هذه الضرورة كل التأكيد •• اننا فى ضوء ظروفنا الحالية فى مسيس الحاجة الى الدراسات العلمية لكى نعرف ولكى نفهم ، نعرف الظواهر •• كل الظواهر •• انسانية كانت أو مادية •• ونفهمها • نحن فى الآونة الحاضرة •• فى ثورة مستمرة •• نحاول فى ضوئها أن نبنى أو أن نعيد البناء • وبالعلم ، وحده ، نستطيع أن نلقى الضوء على ما هو كائن •• فنستطيع على هدى هذا الضوء أن نحقق ما يجب أن يكون ••

ولقد علمتنا الخبرة ، أو يجب أن تعلمنا ، أننا فى مسيس الحاجة الى تأكيد القيم الايجابية التى تملأ المناخ الثقافى فى المجتمع المصرى المعاصر وأننا فى مسيس الحاجة ، كذلك ، الى مواجهة القيم السلبية التى مازالت تمثل جزءا من هذا المناخ • ان مواجهة القيم السلبية •• والعناصر الثقافية البالية •• فى هذا المجتمع ، أصبحت ، بعد الحوادث الأخيرة ، ضرورة • ذلك لأن عملية بناء الجديد ، وحدها ، لا تكفى للتحكم فى هذه القيم السلبية وفى هذه العناصر الثقافية البالية •• ولا تكفى لضبطها •• أو الحد من قوة صراعها ، وتوجيهها • وحتى اذا بدت ، فى ضوء ما يترتب على عملية بناء الجديد ، على سبيل الافتراض ، آثار هذا التحكم ، وهذا الضبط ، وهذا الحد ، وهذا التوجيه — فان الاتجاه نحو الحياة الذى تعكسه هذه القيم السلبية وهذه العناصر الثقافية

البالية ، يبقى ، وان جاء فى صور جديدة ، متأهبا للصراع •• الصراع مع الجديد الذى تأتى به عملية البناء الجديدة ••

أى أن النظرة الميكانيكية فى معالجة الظواهر ، انسانية كانت أو مادية ، ومنها المشكلات الانسانية والمادية ، لا يمكن أن تيسر مواجهة هذه الظواهر وهـذه المشـكلات مواجهة ايجابية • فالظواهر ، كل الظواهر ، والمشـكلات ، كل المشـكلات ، ما هى الا ذاتيات دينامية •• ولا يمكن أن يكون لهـا وجـود ميكانيكى ••

وفى هذا الضوء ، لا يمكن أن نوافق على ما يذهب اليه البعض ، أحيانا ، من أن مجرد أن تستبدل بالظروف القديمة ظروف أخرى جديدة كاف لتغير آثار الظروف الأولى •• وخصـوصا ما يتعلق ببعض العنـاصر الثقافيـة فى المجتمع •• التى عاشت زمانا طويلا ، وباستمرار وتمثلها الناس •• وتوارثوها ، اجتماعيا ، جيلا بعد جيل ••

ولقد علمتنا الحوادث الأخيرة ، أو يجب أن تعلمنا ، الوسيلة أو الوسائل الكفيلة بالتغلب على آثارها •• ولعل هذه النتيجة تعنى الاستفادة من مرونة شعبنا الأصيل كما تعنى الاستفادة من حيويته •• ومن هنا ينبع تفاؤلنا بوضع هذه الوسيلة أو هذه الوسائل موضع التنفيذ •• يؤديه ، أو يجب أن يؤديه ، القادرون من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر • وهم ، ما فى ذلك من شك ، المواطنون الصالحون • ان هـذا التنفيذ هو واجب تاريخى يجب أن يفسح المكان للذين يقـدرون عليه والذين يصلحون للقيـام به ، مهما كان الدور الاجتماعى أو الأدوار الاجتماعية التى يقومون بها •• أى سواء كانت هـذه الأدوار قيادية أو غير قيادية • ولكن يجب أن يلاحظ أن القادة •• على كل المستويات •• مستويات المسئولية •• فى مجتمعنا هم ، فى الواقع ، كما يعلم القارىء ، رموز النظام الاجتماعى ولسان حاله •• وهم ، بفضل ذلك ، يكونون جزءا من شخصية كل عضو من أعضاء هذا المجتمع • وقد يشكل هؤلاء القادة ،

اذا ما انحرفوا ، تحديا خطيرا من التحديات العديدة التى تواجهنا فى الوقت الحاضر • ونحن اذ نسابق الزمن ، فى ضوء الظروف الحالية ، لا نستطيع أن نصبر قليلا أو كثيرا على القادة المنحرفين ••

ويتضمن الكتاب الحالى سبعة فصول •• هى :

١ – من مفاهيم الدراسة الحالية •

٢ – حديث عن الثقافة •

٣ – من سمات مجتمعنا المصرى المعاصر •

٤ – من قيمنا الاجتماعية •

٥ – من مشاعرنا الجماعية •

٦ – من أنماط تفكيرنا •

٧ – نحو تغيير اجتماعى ثقافى أفضل •

وقد رأى الكاتب أن لا يعوق سياق الدراسة بالهوامش والتعليقات • فجرى على اثبات أرقام المراجع والتعليقات فى النص ، ثم جمعها فى نهاية كل فصل من فصول الكتاب ليرجع اليها القارىء •

وتعتبر هذه الهوامش والتعليقات ، بطبيعة الحال ، جزءا متمما لكل فصل .

ومهما يكن من الأمر •• فالكاتب اذ يقدم للقارىء موضوعات الكتاب الحالى، لا يدعى العصمة من الخطأ••ولكنه يؤكد ويكرر التأكيد ، فى ضوء الخبرة التى عاشها ، وبخاصة فى الفترة الأخيرة ، أن الضرورة تدعو الى أنه ، لكى نحقق ما يجب أن يكون ، لابد لنا أن نعرف ما هو كائن •• وأن السبيل الوحيد الى المعرفة ، فى عصرنا الحالى ، فى الثلث الأخير من القرن العشرين ، هو سبيل العلم • وقد قال الكاتب ، ذلك ، فى مؤلفاته السابقة •• وكرر القول••

ولكن يبدو أن القول ، وحده ، لا يكفى •• وأن العبرة •• كل العبرة •• هى أن نقول ما هو خير •• وأن نستعد لقبول ما نقوله •• وأن نمارس ، عمليا ، فى ضوء ، قيمنا ومبادئنا ومثلنا العليا ، ما تقبلناه من أقوال خيرة •• أى أن القول الخير ، مهما تكرر ، لا يكفى•• والاستعداد لقبول مايقال لايأتى اعتباطا •• ان ما يقال فى حاجة الى أن يدرك ويفهم وأن يستوعب وأن يتمثل••وأن يكون مطلوبا ، فعلا ، أو محتاجا اليه•والاستعداد لقبول ما يقال ، وحده ، لا يكفى •• ولكن يجب أن تتاح لما يقال فرص وجود الامكانيات ، المادية والمعنوية ، كلها ، التى تيسر الممارسة العملية •• الفعالة •• حتى تثرى خبراتنا وتجاربنا •• فى محيط القادة •• وفى محيط أعضاء المجتمع المصرى المعاصر •• على اختلاف فئاتهم العريضة وتباينها ••

ولا يسع الكاتب وقد تم اعداد هذا الكتاب الا أن يتقدم بالشكر والتقدير الى كل من حفزه للقيام بهذا العمل •• والا أن يعترف بفضل كل من عاونوه أو تعاونوا معه •• حتى أصبح بصورته الحالية •• ويخص منهم بالذكر السيدة الزا ثابت والبروفسور شارل كوينز والسادة الزملاء الأعزاء الأستاذ فوزى عبد العظيم النجار والأستاذ السيد يسن السيد والأستاذ حسن طه أبو الفضل والأستاذة نجوى حافظ والأستاذ على عبد الرازق جلبى ، كما يذكر بالشكر والتقدير الأستاذ محمد شوقى ابراهيم الذى قام بعملية نسخ النسخة الأصلية من الكتاب على الآلة الكاتبة ••

الفصل الأول

من مفاهيم الدراسة الحالية

يتضمن الفصل الحالي الموضوعات الآتية :

١ – مفهوما الحقيقة .. والحق .

٢ – مفهوما المعرفة .. والعلم .

٣ – مفهوما العصرى .. والمعاصر

١ ـ مفهوما الحقيقة .. والحق .

الحقيقة هى ، فى بساطة ، الصورة الموضوعية للأشياء .. سواء كانت أشياء مادية (ظواهر مادية) أو علاقات اجتماعية أو أنماطا من أنماط السلوك البشرى (ظواهر انسانية) . والصورة الموضوعية لشىء ما تعنى صورته الواقعية . أى أن مصدر الحقائق .. كل الحقائق .. يجب أن يكون الواقع .. الواقع المادى .. والواقع الانسانى . ولابد أن القارىء قد لاحظ قولى « كل » و « يجب » ، لأن بعض الحقائق لا يأتى عادة من الواقع المادى .. أو من الواقع الانسانى . ولعل القارىء أن يعرف الكثير من هذه الحقائق . وهى ، رغم خطورتها وخطرها ، لا يمكن أن ترقى الى الحقائق بالمعنى العلمى لهذا المفهوم .. أقصد الحقائق العلمية . ويلاحظ أن الوصول الى الحقائق العلمية ليس أمرا سهلا .. ولكنه ، مع ذلك ، فى ضوء مستوى التراث الثقافى الانسانى المعاصر ، يكون فى متناول البشر .

وكل الحقائق العلمية عبارة عن ذاتيات متداخلة .. وديناميه .. أى أنها فى تغير مستمر . ويلاحظ أن درجة هذا التغير ليست متعادلة .. فالتغير قد يكون سريعا فى بعض الأحيان .. وقد يكون فى بعض الأحيان الأخرى بطيئا ..

وهنا .. أرجو أن يلاحظ القارىء أمرا هاما .. هو : أن الحقيقة ، بالمعنى السابق ، غير الحق .. لأن هذا الحق هدف . وهو ، فى الواقع ، أسمى هدف يحاول الانسان الوصول اليه . ونرى الانسان يشقى فى سبيل ذلك كثيرا .. ومع ذلك .. فاننا نراه لا يسعد عند الوصول اليه دائما . والشواهد الدالة على ذلك كثيرة ، فى ضوء الوقائع التاريخية .. فى الماضى .. وحتى فى وقتنا الحاضر ، أقصد فى الثلث الأخير من القرن العشرين . ولعل ذلك أن يرجع الى أن المجتمع الانسانى لم يصل الى مستوى النضج الاجتماعى المرجو . والناس فى هذا الموضوع .. أى موضوع النضج الاجتماعى للمجتمع

الانسى مذاهب •• وهم يختلفون اختلافا كبيرا ، منهم من لا يرى وصول المجتمع الانسانى الى مستوى النضج الاجتماعى المرجو أبدا •• ومنهم من يرى ذلك حتما •• وهو ، فى رأيى ، لابد واصل الى لهذا المستوى • أى أن المجتمع الانسانى لابد أن يصل الى المستوى الاجتماعى الذى يكفل لأعضائه ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم « السعادة » •• أى معرفتهم بأنهم يشتركون فى السير الى الأمام •• فى سباق مع الزمن •• لتحقيق العمل الانشائى السلمى ، ولتحقيق الأهداف الانسانية السامية •• ورغبتهم فى النضال من أجل بلوغ هذا كله ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ••

والحقائق العلمية ، وحدها ، توصلنا الى الحق •• وحقيقة واحدة عاجزة عن تحقيق هذا الهدف ، ولكن لابد من مجموعة حقائق ، ومع ذلك فليس كل مجموعة حقائق علمية موصلة الى الحق • فالحقائق العلمية يجب أن تكون منسقة بأسلوب منطقى معين حتى تساعدنا على الوصول الى الحق المنشود • فحقائق ظاهرة مادية معينة ، أو ظاهرة انسانية معينة ، من غير هذا الأسلوب، لا تعنى شيئا • وأقصد بهذا الأسلوب المنطقى ، الأسلوب الذى يطلق عليه الأسلوب العلمى ••

والمقصود بالحق هنا •• الحق العلمى • والحق العلمى ، كما يعلم القارىء ، هو القانون العلمى ، أى القانون الذى يحكم ظاهرة معينة أو عدة ظواهر معينة •• سواء كانت هذه الظاهرة أو هذه الظواهر مادية أو انسانية (١) ••

والقانون العلمى هو أحد الأهداف الانسانية العصرية ، فى ضوئه يستطيع الانسان أن يفسر الظواهر •• كل الظواهر •• انسانية كانت أو مادية • وفى ضوئه ، أيضا ، يستطيع الانسان أن يسيطر على هذه الظواهر •• أى يوجهها لما فيه الخير أو عما فيه الشر •• أى يوجهها لعمليات التغير الى الأفضل ، التغير الاجتماعى أو التغير الثقافى على السواء •

٢ - مفهوما المعرفة .. والعلم .

يطلق مفهوم « المعرفة » على كل الخبرات الانسانية المنتظمة وغير المنتظمة التى تتراكم على مر السنين . وقد تكون المعرفة .. معرفة محـدودة ، أى يحدها المجتمع الكبير أو المجتمع المحلى (كالمدينة أو القرية) ، وقد تكون المعرفة غير محدودة .. أى تتعدى حدود المجتمعات على اختلاف أنماطها ، ومن ثم فهى معرفة انسانية .. أى أنها تتضمن ما وصلت اليه خبرات الانسان فى عصر من العصور أو فى حقبة من الزمان ..

وألوان المعرفة عديدة .. ومن ثم نجد أن مصادرها عديدة كذلك ، وأهم هـذه المصادر ، فى رأى الكاتب ، أربعة .. هى : الفن والفلسـفة والدين والعلم ..

والعلم هو ، فى الواقع ، حصيلة الخبرات المنتظمة .. أى الخبرات التى تفسرها القوانين التى يكتشفها الانسان عندما يستخدم الأسلوب العلمى فى دراسة الظواهر الانسانية والمادية جميعا . فالعلم ليس فقط سجلا للآراء ، ولكنه سجل لما تعين هذه الآراء الانسان على ما يقوم به وهو يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع .. مواجهة موضوعية ، وهو اذ يفعل ذلك يكون ، دائما ، مهتديا بالشعار القائل « لا شىء يأتى من لا شىء » ..

ومنهج العلم هو السعى الى التعرف على القوانين التى تحكم هذه الظواهر .. أى السعى الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ .. أى التعرف على العوامل التى تكون وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها ، مع ملاحظة أن العلم لا يبحث أبدا ، ولا يهمه أن يبحث أبدا ، عن الاجابة عن السؤال لماذا ؟ على وجه الاطلاق . كما يلاحظ ، أيضا ، أن وجود أية ظاهرة متوقف على عوامل متعددة وديناميه ..

ويعنى العلم ، فى بساطة ، دراسة الظواهر المادية أو الانسانية دراسة واقعية .. أى القيام بدراسة العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية، فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، وليس فى ضوء بعض المبادىء المنطقية والعمليات العقلية فحسب .

كما يعنى المنهج العلمى ، فى بساطة ، استخدام المنهج الاستقرائى ، أى الانتقال من الجزئيات الى الكليات (٢) .

ويلاحظ أن الفن قد يستند الى العلم .. وأن الفلسفة ، وبخاصة الفلسفة المادية ، قد تستند الى العلم كذلك . ولكن العلم ، فى ضوء منهجه ، لايستند الى منهج الفن أو الى منهج الفلسفة . وقد يدرس العلم الظواهر الدينية أو ما يتصل بها . ولكن الدين ، فى ضوء طبيعته ، لا يحاول دراسة الظواهر العلمية أو ما يتصل بها . ولا يعنى هذا أن الباحث العلمى لا يكون ملما بفروع المعرفة على تباينها ، سواء كان يبحث فى ميدان الظواهر المادية أو فى ميدان الظواهر الانسانية ، بل على العكس يجب على الباحث العلمى أن يغترف من هذا المعين ما استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى يكون على بينة موضوعية بما يحيط به من واقع انسانى أو مادى ، ليستطيع فى ضوئها تحديد موضوعات البحث التى يحاول دراستها ، والدعوة الى تعاون المجتمع فى سبيل تيسير اجرائها والاستفادة من نتائجها .

ويلاحظ ، كذلك ، أنه ونحن فى مستهل استخدام المنهج العلمى فى دراسة الظواهر المادية والظواهر الانسانية فى مجتمعنا الحالى ، وذلك توطئة لتحقيق الهدف الأكبر لنا فى هذه الحقبة من التاريخ ، وهو ، أولا وقبل كل شىء ، التخطيط العلمى لمجتمعنا الاشتراكى .. أن نهتم ببعض الأمور .. هى :

- أن نحرص على اختيار الباحثين العلميين ، أيا كانت مجالات بحوثهم،

اختيارا علميا دقيقا • وأن نحرص على تدريبهم ، نظريا وعمليا ، التدريب الكافى السليم •

- أن نحرص على كرامة البحث العلمى ، وذلك بالايمان بالتخصص فيه •• أى اعتبار القيام به مهنة لها ميادينها ومجالاتها المتخصصة •

- أن نحرص على ارساء التقاليد الصالحة التى تيسر ازدهار مهنة البحث العلمى فى مجتمعنا ، على أسس رشيدة •

- أن يحرص المسئولون عن البحث العلمى على أن لا يحتموا بسلطان العلم على حساب كرامة الانسان ، وعلى حساب المصالح الحقيقية للانسان •

- أن نحرص من الأدعياء ، مهما كان لونهم ، ومهما كانت مكانتهم الاجتماعية ، وذلك بتتبع آثارهم ، فى كل وقت ، وفى كل مكان • وبالكشف عنهم أولا بأول • حقا أن الزمن ، وحده ، كفيل بابراز الغث من الثمين من الأعمال • ولكننا ، ونحن نبنى المجتمع الجديد ، فى سباق مع الزمن ، وفى مسيس الحاجة الى كل جهد ثمين (٣) ••

٣ - مفهوما العصرى .. والمعاصر .

مفهوم العصرى يعنى فى الواقع أهم السمات الثقافية التى يتميز بها عصر من العصور ، ومن ثم فهو مفهوم متغير .. لأن العصور ، كما يعلم القارىء ، فى تغير مستمر .

ويلاحظ أن السمات الثقافية لعصر من العصور تختلف ، عادة ، عن السمات الثقافية للعصر الذى يسبقه أو للعصر الذى يليه..ومع ذلك فان بعض السمات الثقافية ، وليس كلها ، يستمر ، عادة ، مع توالى العصور .. أى أنه يتخلف من العصور السابقة ويبقى فى العصور التالية .. وبمرور الزمن قد يتطور وقد يتغير ..

والسمات الثقافية لعصر من العصور .. أى عصر .. تكون ، فى الواقع ، أما سمات ثقافية مادية أو سمات ثقافية غير مادية .. وتتضمن السمات الثقافية المادية العناصر الثقافية المادية التى يتميز بها العصر ويعيش بها مثل الآلات ووسائل المواصلات والمبانى والأثاث .. ومثل وسائل الاتصال كالتليفزيون والتلغراف والتليفون .. الخ . أما السمات الثقافية غير المادية فهى تتضمن العناصر الثقافية غير المادية مثل اللغة والعادات والأعراف والمعتقدات والقيم والمثل العليا فضلا عن الأساليب الفكرية التى تعبر عنها وبها مثل الأسلوب العلمى والأسلوب الفنى .. الخ .

والعناصر الثقافية بنوعيها فى عصر من العصور هى ، فى الواقع ، تراثه الثقافى .. ويلاحظ أن العناصر الثقافية المادية ، تتغير ، عادة ، بسرعة أكبر من العناصر الثقافية غير المادية .. أى أنه بينما تتطور العناصر الثقافية المادية بخطى أوسع ، نجد أن العناصر الثقافية غير المادية فى تطورها تتخلف ... وهذا ما يعبر عنه بظاهرة « التخلف الثقافى » . وأهم مظاهر هذه الظاهرة ما يمكن أن يعبر عنه بالرواسب البالية ..

ونحن نرى أن السمات الثقافية لعصرنا الحالى .. الثلث الأخير من القرن العشرين .. سمات عديدة .. منها السمات الثقافية المادية .. مثل استخدام الذرة .. والتكنولوجيا العسكرية والصناعية .. ومحاولة التسلط على الظاهرة الفلكية .. والطيران فى الفضاء الخارجى (٤) ولعل أهم عناصرها الآن .. استخدام الأساليب التى توفر تفكير الانسان وتوفر بذل قدراته وتقوم هى بهذا التفكير وبذل هذه القدرات ، دون أن يعنى ذلك ، بالطبع ، الاستغناء تماما عن تفكير الانسان أو عن قدراته أو اعتبار هذا التفكير أو هذه القدرات ، فى الحالتين ، أمورا متماثلة .. ودون أن يوحى ذلك بأن الانسان ، كانسان ، ان هو الا آلة من الآلات. ويضم هذه الأساليب ما يعبر عنه بالنظم السبرنيتيكية (Cybernetics) .. ومن السمات الثقافية غير المادية لعصرنا الحالى يمكن أن نذكر التفكير العلمى والمبادىء الديمقراطية بأنماطها .. فضلا عن المبادىء التى تهدف الى تحرير الانسان ولعل أهمها الآن .. المبادىء الاشتراكية .. (٥)

والتفكير العلمى يعنى ، وبخاصة فى المجتمع الاشتراكى ، استخدام المنهج العلمى فى مواجهة كل الأمور والأشياء .. ذلك لأن النظرة الاشتراكية ترى دائما وحدة العلوم المادية والانسانية . ويعنى ذلك أن تناول أية ظاهرة ، مادية كانت أو انسانية ، أو تناول أى موقف من المواقف ، كمظهر من مظاهر ظاهرة ما ، يجب أن يستند الى أسس المنهج العلمى .. ذلك لأن الهروب من التفسير العلمى لايزيد الأمور الا تعقيدا ، وان فرض اتجاهات غير علمية على تناول قضايا المجتمع لن يقضى على العلم بقدر ما يعوق التقدم الاجتماعى الثقافى الذى نبغيه ..

وأنماط الديمقراطية ، كما يعلم القارىء ، أنواع .. منها الديمقراطية الاجتماعية ومنها الديمقراطية السياسية ومنها الديمقراطية الاقتصادية ومنها الديمقراطية القانونية .. ومنها الديمقراطية العلمية .. وغيرها .. وكل هذه الأنماط فى ضوء مفهوم العصرى .. وفى ضوء حاجة مجتمعنا المعاصر .. مطلوبة . والعبرة كل العبرة ، كما يعلم القارىء ، تكون لا فى الحديث عن

الديمقراطية .. أو عن نمط من أنماطها .. بقدر ما تكون فى ممارسة الديمقراطية بأنماطها كلها ..

ومبادىء الاشتراكية تهدف ، فعلا وحقا ، كما قرر مجتمعنا المعاصر ، الى الكفاية والعدل . وتحقيق أهداف مبادىء الاشتراكية ، فعلا وحقا ، مسألة لايختلف عليها اشتراكيان . ولا يكفى اقرار المبدأ ولكن تحقيقه أمر لازم كذلك ، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا التحقيق أمر ليس سهلا .. ولكنه يمكن أن يتحقق فى ضوء العلم ، وفى ضوء الديمقراطية بأنماطها .

ومهما يكن من الأمر فان السمات الثقافية لعصرنا الحالى المادية وغير المادية ، يجب أن تتوافر معا حتى يمكن أن نقول ان مجتمعا ما يتمثل مفهوم العصرى فعلا .. أى أنه يعيش ، بحق ، فى عصره .. ويعنى ذلك أن يضيق نطاق الرواسب البالية فى المجتمع حتى تقل هذه الرواسب ويتلاشى تأثيرها فى عقول أعضاء المجتمع .. أى أن يبذل الجهد كل الجهد فى القضاء ، أولا بأول ، على أهم مظاهر ظاهرة التخلف الثقافى ..

أما مفهوم المعاصر فنعنى به السمات الثقافية بعناصرها المادية وغير المادية التى يتميز بها مجتمع من المجتمعات فى فترة معينة من الزمن تكون، بالضرورة الفترة الحاضرة .. فمجتمعنا المصرى المعاصر ، مثلا ، يعنى المجتمع الذى نعيش فى واقعه الحى فى الوقت الحاضر . ولعل قياس عصرية مجتمعنا المعاصر أن يتم بمقارنة ما يتضمنه من سمات ثقافية بعناصرها المادية وغير المادية، الآن ، بالنسبة لما يتضمنه عصرنا الحالى .. أى عصر الثلث الأخير من القرن العشرين وما يتميز به هذا العصر من سمات ثقافية بعناصرها المادية وغير المادية . ان هذه المقارنة ليست سهلة ولكنها فى ضوء تطبيق المنهج العلمى يمكن أن تتم .. مع الأخذ فى الاعتبار العوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى هى ، فى الواقع ، عوامل وجود المجتمع المصرى المعاصر الذى نعيش فى واقعه الحى فى الوقت الحاضر . وتجرى هذه المقارنة ، عادة ، بين بعض هذه السمات وبخاصة تلك التى تبرز أنماط السلوك وأساليب الحياة

فى محيط أعضاء المجتمع . ويتضمن ذلك ، بالضرورة ، اللغة والصناعة والفن والعلم والقانون والحكومة والاخلاق والدين .. كما يتضمن ، أيضا ، الآلات المادية والمصنوعات التى تتجسم فيها عناصر ثقافية معينة أو سمات ثقافية عقلية معينة من شأنها أن تعطيها فائدة تطبيقية معينة .. مثل المبانى بكل أنواعها ، والماكينات ، وأساليب المواصلات ، واللوحات الفنية ..

وقد تكون المقارنة بين مجتمع معاصر بالمعنى السابق .. وبين نفس المجتمع فى حقبة زمنية سابقة . ومهما يكن من الأمر .. فالمقارنة لابد أن تجرى بين السمات الثقافية بعناصرها المادية وغير المادية فى الفترتين موضوع المقارنة ..

« المراجع والتعليقات »

١ - سيد عويس : مذكرات يوغسلافية - انطباعات وحقائق وآراء ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، صفحتا ١٠ - ١١ .

٢ -

— Howard Selsam, «Handbook of Philosophy», New York, 1949, p. 111.

٣ - سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، صفحة ٢١ .

٤ - شاخنازاروف وآخرون : الناس والعلم والمجتمع ، دار التقدم ، موسكو ، صفحة ٥ .

٥ -

— M. Rosenthal and P. Yudin, «A Dictionary of Philosophy», Progress Publishers, Moscow, 1967, pp. 108 - 109

أنظر أيضا :

— Aurel David, «La Cybrnétique et L'humain», idées N. R. F., gallimard, Paris, 1965

أنظر كذلك :

ل. كرايزمر : السيبرنيتيك علم التحكم الاوتوماتيكى ، دار مير للطباعة والنشر ، موسكو .

الفصل الثانى

حديث عن الثقافة

يتضمن الفصل الحالى الموضوعات الآتية :

١ – مفهوم الثقافة .

٢ – نظريات التغير الاجتماعى والتغير الثقافى ..

٣ – من عوامل التغير الثقافى ..

٤ – بعض العوامل الثقافية المعوقة للتغير ..

١ ـ مفهوم الثقافة ..

يعنى مفهوم الثقافة ، فى بساطة ، كل النماذج السلوكية البشرية التى تكتسب اجتماعيا ، والتى تنتقل اجتماعيا ، كذلك ، الى أعضاء المجتمع البشرى عن طريق الرموز . ومن ثم يمكن أن يقال ان الثقافة تتضمن كل ما يمكن أن تحققه الجماعات البشرية . ويشمل ذلك اللغة ، والصناعة ، والفن ، والعلم ، والقانون ، والحكومة ، والأخلاق ، والدين .. كما يشمل ، أيضا ، الآلات المادية ، والمصنوعات التى تتجسم فيها عناصر ثقافية معينة أو سمات ثقافية عقلية معينة من شأنها أن تعطيها فائدة تطبيقية معينة ، مثل المبانى بكل أنواعها ، والماكينات ، وأساليب المواصلات ، واللوحات الفنية .. الخ .

ومن ثم فمفهوم الثقافة ، بمعناه الاجتماعى العلمى ، يختلف كثيرا عن معناه العام ، فهو يتضمن كل ما يمكن أن يعلم عن طريق العلاقات الانسانية المتداخلة . كما يتضمن اللغة والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية جميعا .

ويلاحظ أنه لاتوجد جماعة بشرية معروفة تستطيع أن تعيش من غير أن تكون لها لغتها وعاداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية الخاصة بها . و من ثم فالثقافة ، كمفهوم بمعناه الاجتماعى العلمى ، توجد فى المجتمعات البشرية وتتميز بها هذه المجتمعات على وجه الخصوص . وفى هذا الضوء ، تتبين أهمية الثقافة كمفهوم اجتماعى . ويمكن أن يقال ان أساس وجود الثقافة كاحدى سمات المجتمعات البشرية هو ان الانسان قادر على التعلم من خبرته ، وهو أيضا قادر على ايصال ما تعلمه الى غيره عن طريق الرموز . واللغة من أهم هذه الرموز .

ويلاحظ أن مضمون المعرفة الانسانية يتكون عن طريق وسيلتين هامتين : هما الاكتشافات والاختراعات ، وان تكديس هذه الاكتشافات والاختراعات ومن ثم نقلها الى الآخرين يتمان عن طريق عمليات التعليم والتعلم . وان

نتائج كل ذلك تؤدى الى تكوين ثقافة معينة متميزة لكل جماعة من الجماعات البشرية .

وبينما يتم انتقال الثقافة عن طريق عمليات التعليم والتعلم ، سواء كانت هذه العمليات منتظمة أو غير منتظمة ، نجد أن الجزء الهام من الثقافة يتجسم فى النماذج المتصلة اتصالا وثيقا بالتقاليد الاجتماعية للجماعة البشرية .. أى فى المعرفة ، وفى الأفكار ، وفى المعتقدات ، وفى القيم الاجتماعية ، وفى المستويات والمشاعر السائدة فى الجماعة . اما الجزء الخارجى من الثقافة فيوجد عادة فى أنواع السلوك الحقيقى لأعضاء الجماعة . ويبدو عادة فى الاعراف والعادات والنظم الاجتماعية . ولكن يلاحظ أن العادات والنظم الاجتماعية ما هى الا تعبيرات عن الافكار ، والمعتقدات ، والقيم ، والمشاعر السائدة فى الجماعة . ومع هذا يمكن أن نقول ان الجزء الهام للثقافة .. أية ثقافة ، يبدو فى تقدير القيم الاجتماعية السائدة فى علاقاتها بالظروف المعاشية . ومن ثم فالتعريف السلوكى للثقافة وحده لايكفى . والتعريف الجامع المانع للثقافة يجب أن يتضمن عناصرها الموضوعية والذاتية جميعا . مع ملاحظة أن التقاليد تمثل الجانب الذاتى للثقافة ، الذى هو عند بعض الناس الجانب الهام (١) .

وفى ضوء ما سبق يمكن أن نقول ان معنى الثقافة معنى عام يشمل أسلوب أو أساليب الحياة للناس فى مجتمع من المجتمعات ، أو فى جماعة من الجماعات . وأنه لا يجب استعمال هذا المفهوم استعمالا محدودا يقتصر معناه على نوع معين من الثقافة كما يستعمل فى اللغة العامة أو فى التاريخ أو فى الآداب والفنون ..

وان مفهوم الثقافة يعنى بوجه عام التراث الاجتماعى لجماعة من الناس يرثونه جيلا بعد جيل كأفراد أو جماعات ، ومن ثم يجب أن لانخلط معنى هذا المفهوم بمعنى مفهوم «العنصر» . فالأخير معناه التراث الجسمانى الذى يتوارثه الناس جيلا بعد جيل عن طريق العمليات البيولوجية الخاصة بحفظ

نوع الانسان. والملاحظ أن الحاجات البيولوجية التى يحتاجها الانسان كحيوان تختفى ، عادة ، فى نماذج ثقافية. فالحيوان يأكل كلما أحس بالجوع اذا استطاع ذلك ، ولكن الانسان اذا جاع ينتظر حتى يأتى موعد الطعام . وعملية العطاس هى ، ابتداء عملية بيولوجية .. ولكن اذا عطس انســـان تراه فى مجتمع كمجتمعنا يقول « الحمد لله » وتراه ينتظر من بجواره أن يشمته .. بقوله « يرحمكم الله » (٢) .

وانه يمكن القول بأن عناصر التراث الاجتماعى (الثقافة) فى مجتمع من المجتمعات تنقسم الى قسمين : عناصر ثقافية مادية وعناصر ثقافية غير مادية .

وتتضمن العناصر الثقافية المادية المبانى ، والأثاث ، والملابس ، والآلات ، ووسائل المواصلات ، والراديو ، والتليفون ، والتلغراف ... الخ اما العناصر الثقافية غير المادية فمنها اللغة ، والعادات ، والاعراف ، والمعتقدات ، والقانون ، والنظم الاجتماعية .. الخ .

ويلاحظ أن العناصر المادية للثقافة هى وسائل مادية يشبع الانســـان عن طريقها حاجاته ويسهل الحكم على قيمتها ، أما العناصر الثقافية غير المادية فمن الصعب الحكم على قيمتها أو قياسها .

ويلاحظ ، أيضا ، ان العناصر الثقافية المادية قد تكون ، بل هى فى الواقع العامل الهام ، فى تغيير العنــاصر الثقافية غير المــادية وتطورها . كما تكون العناصر الثقافية غير المادية كذلك ، فى بعض الأحيان ، عاملا فى تغيير العناصر المادية وتطورها .

ويلاحظ ، كذلك ، ان العناصر الثقافية المادية قد تنتشر بين الطبقات والمستويات تقريبا ، أما العناصر الثقافية غير المادية فهى عادة تنتشر بين الطبقات والفئات

المتشابهة . فمن الميسور عادة أن يستطيع أى شخص عادى قيادة سيارة بعد تدريب بضع ساعات ، ولكن فئة معينة من العلماء يمكنهم فقط أن يصلوا الى معرفة القوانين والنظريات التى على أساسها أو فى ضوئها صممت السـيارة وبرزت الى حيز الوجود .

وبالاضافة الى ما سبق من ملاحظات .. نلاحظ أن مضمون الثقافة بعناصرها المادية وغير المادية ، بمعناه العلمى ، فى مجتمع ما ، يحتوى على كل ما يعمل فى هذا المجتمع ومن يعمله ، وكل ما يقال فيه ومن يقوله ، وكل ما يصـنع فيه ومن يصنعه .. ومتى يحدث هذا العمل أو هذا القول أو هذه الصناعة .. وتحت أية ظروف .

٢ - نظريات التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ..

ان النظريات التي تهتم بالتغير الاجتماعي وبالتغير الثقافي عديدة . ومعظمها لم يضع خطا واضحا بين التغير الاجتماعي وبين التغير الثقافي ، على الرغم من أن قابلية الفصل العملي بين هاتين العمليتين تبدو واضحة في استقلال كل منهما عن الآخر كما يحدث ذلك في بعض الأحيان . فالمجتمع الريفي ، مثلا ، قد يتحول الى مجتمع حضري دون أي تغير رئيسي في بعض العناصر الثقافية الهامة .. مثل اللغة .. وعكس ذلك صحيح .

ومهما يكن من الأمر .. فهذه النظريات ، على كثرتها ، يمكن أن تتلخص فيما يلي :

١ - النظريات القائلة بأن التغيرات الاجتماعية والثقافية هي ، في واقع الأمر ، غير موجودة .. أو ليست لها أهمية عامة يعتد بها . وأنه لايهم كيف تكونت دنيا البشر الاجتماعية ، في أول الأمر ، اذ أنه منذ ذلك الحين كانت هذه الدنيا باستمرار متشابهة .. ، وأن التغيرات في أعمال البشر ، كوجود أوقات طيبة في بعض الأحيان ، أو أوقات سيئة في بعض الأحيان الأخرى ، سواء حدثت بالصدفة أو عن طريق سلطان الآلهة .. هي تغيرات غير منتظمة .

٢ - النظريات القائلة بأن التغيرات الاجتماعية والثقافية تحدث فعلا . ولكنها تغيرات ، بالضرورة ، الى الأسوأ ، وأن العصر الذهبي للمجتمعات والثقافات كان في الماضي .. وان الانسانية تتحرك خطوة بعد خطوة الى الدمار .

٣ - النظريات القائلة بأن التغيرات الاجتماعية والثقافية تكون ، عادة ، تغيرات دورية تحدث في نظم المجتمعات المتشابهة وفي فترات الحضارات

المتشابهة ، وتتحرك واحدة بعد أخرى فى لفات عجلة القـــدر التى لانهاية لها •• ••

٤ - النظريات القائلة بأن التغيرات الاجتماعية والثقافية هى ، فى العـادة ، تغيرات تقدمية • أى انها تسير نحو أهداف انسانية معينـــة لتتحقق فى الحاضر أو فى المستقبل • وتتضمن هـذه التغيرات التقـــدمية أمورا عديدة •• منها نمو حياة الانسان الفكرية ، ونمو فهمه التكنولوجى ، وسيادته على الطبيعة وعلى الانسان ، وما حققه من حريات سواء كانت حريات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية • (٣) •

ولعل النظريات القائلة بأن التغيرات الاجتماعية الثقافية موجودة فعـــلا ، وتكون ، فى العادة ، تغيرات تقدمية - أن تكون ، فى ضوء الواقع ، انضـــج النظريات وأهمها وأكثرها تفاؤلا وقبولا • فهى تعنى امكانية القيام بعمليـات التغيرات الاجتماعية والثقافية المقصودة فى المجتمعات على تباينها •• الناميـة منها وغير النامية •• المحلية منها والقومية •• الصغيرة منها والكبيرة •• عـلى السواء • أى هى تيسر التخطيط العلمى للقيام بهذه العمليات وفق حاجات المجتمعات المختلفة وأهدافها •• فى ضوء قيمها الاجتماعيـة ومبادئها ومثلهـا العليا •

٣ - من عوامل التغير الثقافى ..

ان الثقافة فى أى مجتمع .. مثل كل الأمور والأشياء .. فى تغير مستمر .. ومع ذلك فقد يخطط علميا للثقافة فى المجتمع لكى تتغير ، وقد تترك الثقافة فى المجتمع تتغير دون تخطيط . والملاحظ أن الابتكارات والاكتشافات المحلية تيسر التغير الثقافى . ومن العوامل الرئيسية فى التغير الثقافى سهولة عمليات النقل الثقافى بين المجتمعات عن طريق الاحتكاك الثقافى بينها .. أى العمليات التى يطلق عليها عمليات التثقيف (Acculturation) .

وعمليات التثقيف تعنى العمليات التى تتم عندما تتصل ثقافتان أو أكثر .. اتصالا مباشرا على أن تكون هذه الثقافات متباينة ، فى وضوح ، الى الدرجة الكافية لاحداث التغير . والتغير الثقافى الذى يحدث .. يكون ، عادة ، فى التطورات التكنولوجية المعاصرة . ففى عصرنا الحالى .. عصر القرن العشرين .. نجد أن ثقافته العامة .. العلمية .. لها تأثير كبير على الثقافات التقليدية التى سبقت عصر العلم الحديث . نلاحظ هذا فى أنماط الصراع المختلفة : الطب الاكلينيكى يتصارع مع الوصفات الشعبية ، الأساليب التجريبية فى الزراعة أو الصناعة تتصارع مع الأساليب التقليدية ، تعليم القراءة والكتابة يتصارع مع الأمية .. .. الخ ، والملاحظ أن عمليات التثقيف ، بمعناها الواسع ، تبدو فى محاولة نشر المعرفة العلمية والفنية عبر الحدود السياسية والحدود الثقافية فى كل أجزاء العالم .

والملاحظ ، أيضا ، أن المدن هى نقط مركزية للتغير الثقافى . وان التبديلات فى الأساس الاقتصادى للمعيشة يتبعها دائما ، فى الغالب ، تغير ثقافى وبخاصة فى محيط الأسرة.وان اكتساب نظام الدفع النقدى للمحاصيل وزيادة استعمال النقيد ييسران تحطيم النماذج التقليدية للعمل التعاونى

الزراعى . وان مستوى المواد الغذائية ، اذا انخفض ، يترتب على هـذا الانخفاض تحويل من الاكتفاء الذاتى الى الاقتصاد النقدى . وان عمليات التثقيف السريع تنشر ، عادة ، الاتجاهات المتباينة عندما تكون الاتجاهات التقليدية هى المسيطرة فى المجتمع . وان الحركات الوطنية قد تعتبر مرحلة من مراحل عمليات التثقيف (٤) .

ولعل من أهم العوامل الرئيسية التى تيسر قبول الجديد .. أى قبول التغير الثقافى فى محيط مجتمع معين .. هو كيف يدرك أعضاء هذا المجتمع هذا الجديد .. وكيف يفسرون هذا الجديد . قد يدرك الجديد أو يفسر فى ضوء ظروف ثقافية معينة بأسلوب يختلف تماما عما يدرك هذا الجديد أو يفسر فى ضوء ظروف ثقافية أخرى . وقد يفسر الناس ، فى ضوء تكوينهم الثقافى الشرطى (Cultural Conditioning) ، الظاهرة الثقافية الواحدة بطرق مختلفة . وقد تناول « بارنت » (Barnett) فى احدى دراساته مفاهيم « شكل الظاهرة الثقافية » و « معناها » و « وظيفتها » ، وقد لاحظ أن الشكل .. أى التعبير الواضح لسمة من السمات الثقافية .. يبدو ، كعامل من عوامل التغير ، انه أكثر أهمية من معناها ووظيفتها . فالملاحظ أن الأرملة الهندية فى شمال غرب كاليفورنيا تقص شعر رأسها فى أثناء فترة الحداد ، وقص شعر رأس السيدة الأميريكية العادية يفسر ، فى ضوء الثقافة الأميريكية ، على أنه من أحدث « الموديات » ، أى أن أسلوب قص الشعر (شكل الظاهرة الثقافية أو السمة الثقافية) يفسر تفسيران .. فهو يبدو فى ضوء ظروف ثقافية معينة وكأنه « آخر مودة » ، وهو يبدو ، فى ضوء ظروف ثقافية أخرى ، وكأنه رمز من رموز الموت .. ومن ثم لايمكن أن نتوقع فى محيط الهنديات ، أن يستجبن ثقافيا ، فى سهولة ويسر ، الى هذه « المودة » ..

ومعنى سمة من السمات الثقافية أو معنى التعبير الواضح عنها (الشكل) قد لا يكون هو نفس المعنى فى ظل الثقافات المختلفة .. انه قد يفهم ، فى ثقافة

معينة ، بأسلوب معين ييسر اعادة تفسيره حتى يتفق مع نماذج المعانى لأصحاب هذه الثقافة .. ومع ذلك فقد يحتفظ بنفس الوظيفة . ويقدم الدين نماذج عديدة على ذلك . نجد ذلك بين بعض الزنوج الأميريكيين فى أمريكا حيث نجد آلهة الافريقيين تتوحد بالقديسين الكاثوليك .. (٥) .

والملاحظ فى القرية المصرية أن دنيا الطفل الريفى بالنسبة لعمره دنيـــا واسعة ، فهو يلهو ويلعب فى فناء الدار وينتقل بين الحجرات .. لايجـــد فيها ما يعوق حركته أو يشكل خطرا عليه . فالأثاث قليل وبسيط ، ولاتوجد فى الحجرات ، عادة ، أجهزة معقدة أو أدوات يخشى عليها أو عليه من العبث بها الا اذا وجدت النار عندما تكون الفرن موقدة وقت اعداد الخبز أو فى المواقد وقت اعداد الطعام ، وفى هذه الحالات يجد الطفل من البالغين من يحميه من شرها .. أى يجد ، عادة ، من يلاحظه باستمرار وقت تشغيلها . واذا ما فتح للطفل الريفى باب الدار فان الشارع ، فى نظره ، هـو امتداد للفناء .. فينطلق اليه ، وهو فى أغلب الأحيان آمن ، ليلعب مع رفاقـه من أبناء الجيران .. حيث لا توجد حركة مواصلات ولا يوجد ازدحام المارة .. وحتى الماشية نجدها ، عادة ، تسير فى الشارع بخطى بطيئة .. وهى تسير ، عادة ، مع من يقودها ، ويستطيع الطفل وحده ، أن يتجنب خطرها . واذا ما شعر الطفل الريفى بالجـوع فى أثناء اللعب عاد الى المنـزل ، وهو يعرف طريقه الى المكان الذى يحفظ فيه الخبز ، وأخـذ لقمة يسـد بها جوعه ، ثم سرعان ما يعود أدراجه الى الشارع ليلعب . وهو لا يعنى بنوع الغذاء فى أثناء النهار حيث ان الوجبة الرئيسية للأسرة هى ، عادة ، وجبة العشـاء بعد أن يكون جميع أعضاء الأسرة قد عادوا من أعمالهم . هـذه هى حركات الطفل الريفى اليومية أو أغلبها . وقد تتسع دائرة حركات الطفـل الريفى خارج منطقة مساكن القرية عنـدما يصحبه أبوه أو أمه الى الحقل أو الى السـوق الأسبوعى بقصد الترفيه عنه .. أو عند زيارة أضرحة الأولياء للتبرك بهـم أو عند حضور الموالد . ويلاحظ أنه قد يتجمع أطفال القرية عندما تجتذبهم

أنغام المزامير أو دقات الطبول التى تسير فى شوارع القرية عند حفلات الزواج أو فى المواكب الدينية .

ومن ثم نجد أن وظيفة « دار الحضانة » الثقافية عند الفلاح المصرى لامعنى لها . فهو يجد طفله فى حركة منطلقة .. مستمرة .. فى أرجاء واسعة .. مستفيدا من الشمس والهواء فى فناء الدار أو فى الشارع . وهو يجد طفله فى رعاية من يباشره من أعضاء أسرته الكبيرة اذا ما غابت أمه عن الدار . واذا ضل الطفل الريفى الطريق الى الدار .. فهو يجد ، حتما ، من يصحبه اليها، فأهل القرية فى علاقات اجتماعية أولية على الدوام (٦) .

ان الجديد من العناصر الثقافية .. يؤكد ضرورة قبوله .. أى يؤكد ضرورة ادراكه وفهمه واستيعابه وتمثله ، ثم هو يؤكد الحاجة اليه ، ويؤكد وجود الامكانيات لتيسير تحقيقه . ولعل من أهم ما يحقق التغيير الثقافى علميا .. أى التغير الثقافى القائم على التخطيط العلمى ، أن تتيسر امكانيات ارساء معالم النظام التربوى الجديد فى المجتمع بأسرع ما يكون . وأن يتيسر وجود كل أو معظم ما تحقق من ثقافات عصرية ، مادية كانت أو غير مادية ، ليكون فى مصلحة الجماهير العريضة..حتى يستطيعوا أن يشاركوا ، مباشرة ، فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.وأن يتيسر خلق قادة ثقافيين جدد.وأن يتيسر تحديد العناصر الثقافية غير المادية الجديدة التى تتضمن المبادىء والقيم الاجتماعية والمثل العليا للمجتمع الجديد ..

٤ – بعض العوامل الثقافية المعوقة للتغيير ..

نلاحظ أن بعض الثقافات يجتذب كل ما هو جديد أو مستحدث .. أى أن فكرة الجدة ، فى حد ذاتها ، قد تكون سببا لاختيار ما هو جديد ومحاولة استخدامه . ان الأمريكيين ، مثلا ، يفعلون ذلك . ويلاحظ أن الاعلانات عن البضائع أو الخدمات فى المجتمع الأمريكى تستفيد من هذا الاتجاه عند الأمريكيين . فالجديد والأحسن والذى طرأت عليه التحسينات .. كل ذلك يجتذب أعضاء هذا المجتمع .

ويبدو أن الجديد أو المستحدث فى المجتمعات الصناعية يكون ، عادة ، موضوع اجتذاب أنظار أعضاء هذه المجتمعات . ولعل النظام الصناعى ذاته أن يكون صانع هذه القيم والاتجاهات . وعلى العكس من ذلك نجد أن المجتمعات غير الصناعية ، فى أنحاء الدنيا ، لا يأبه أعضاؤها ، بنفس الدرجة ، للجديد أو المستحدث . نجد الشخص فى هذه المجتمعات وكأنه قد تكون ، شرطيا ، لينظر الى الأشياء الجديدة نظرة ملؤها الشك .. وحتى اذا لم يكن متأكدا من هذه النظرة .. فهو على الأقل يبدو غير مكترث .

والقدرية فى مجتمع ما تنحو نحو التمسك بالقوى التقليدية فى هذا المجتمع .. وتشكل ، فى الوقت نفسه ، قوى مانعة للتغيير توازى القوى الأخيرة . ونرى فى المجتمعات الصناعية أن الناس قد أثبتوا لأنفسهم كما أثبتوا لغيرهم أنهم قادرون على التسلط على الطبيعة فضلا عن الظروف الاجتماعية التى تواجههم ، وأى موقف اجتماعى غير مرغوب فيه لا يعنى عندهم الا مجرد حاجز يمكن التغلب عليه .. أو يكون مجرد تحدى لما لديهم من أصالة . ويبدو أن أعضاء المجتمعات الصناعية يعتقدون أن أى أمر من الأمور يمكن تحقيقه .. أو على الأقل يمكن ، فى ضوء خطة سليمة ، أن يواجه . وعلى العكس من ذلك نجد المجتمعات غير الصناعية حيث درجة التسلط على الطبيعة

أو على الظروف الاجتماعية تكون عادة درجة منخفضة ، ان الجفاف الذى يهاجم فى وحشية بعض هذه المجتمعات أو الفيضانات التى تغرق بيئتها الجغرافية أو اصابة محصول من محصولاتها بحشرة معينة .. كل ذلك .. يرجع ، فى نظر أعضاء هذه المجتمعات ، الى تأثير غضب الآلهة أو الأرواح الشريرة التى لايستطيع الانسان أن يتحكم فيها وان كان من الواجب عليه أن يسترضيها. والملاحظ أن مستوى المعيشة فى المجتمعات غير الصناعية تجعل أى عضو من أعضائها يعيش ، عادة ، على الكفاف .. وهذه المجتمعات لا تيسر وجود الخدمات الاجتماعية والطبية اللازمة لأعضائها .. والناس فيها يموتون فى سن مبكرة .. وتحت كل هذه الظروف .. يكون من المتوقع أن يتسرب اليأس الى نفوس أعضاء هذه المجتمعات .. اليأس من تغير أحوالهم الى الأفضل ، لأنه مهما حدث أو يحدث فهو من الآلهة أو الأرواح الشريرة ، وارادة الآلهة أو الأرواح الشريرة فوق كل ارادة .. ارادة الطبيعة .. وارادة الظروف الاجتماعية .. وارادة الناس .. جميعا .

ونلاحظ أن كل مجتمع يعجب بثقافته .. المجتمعات الغربية تفعل ذلك .. والمجتمعات الشرقية ترى ذلك .. وكل مجتمع من المجتمعات ، بأسلوب أو بآخر ، يرى أعضاؤه ، عادة ، أن ثقافته هى أحسن الثقافات . ان أعضاء المجتمعات البدائية قد يعترفون بأن المدية المصنوعة من الصلب خير من المصنوعة من الحجر ، وأن الوعاء المصنوع من الألمنيوم أفضل من المصنوع من الفخار .. ولكن هذه الأشياء بعض العناصر الثقافية وليست كلها . ان جوهر العناصر الثقافية الحقيقية ، كما يراه الكاتب ويشاركه آخرون ، يكون فى محيط تفكير الناس وما يعملون .. وفى اتجاهاتهم .. وفى الأشكال الاجتماعية .. وفى العقائد الدينية . ولعل قياس مدى امتياز هذه العناصر الثقافية أو حتى البرهنة على صحته .. مسألتان غير يسيرتين .. وان كان من الممكن ، فى ضوء العلم ، أن تتحققا ..

وكما يعجب الناس بأساليب الحياة التى يعيشونها فى مجتمعاتهم .. نجدهم كذلك يتفاخرون بها .. كما نجد لونا من الكرامة الشخصية قد ينبت بتأثير بعض هذه الأساليب . ان هذا اللون من الكرامة يكون كاذبا اذا وجد عضو المجتمع من العيب أن يتعلم لأنه رجل بالغ ، بحجة أن التعلم لا يكون الا للأطفال .. وعلى الرغم من أنه كاذب .. فهو موجود .. فى المجتمعات التى لا تؤكد « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ، ولأنه موجود .. فهو مانع .. من التغيير الى الأفضل . ومن قبيل هذا اللون الكاذب من الكرامة .. أن نجد الفلاحين يرفضون شراء البذور الصالحة بأسعار منخفضة .. لأن هذا الشراء يجعلهم فى نظر أنفسهم وربما فى نظر الآخرين أقل كرامة . لأن الفلاح صاحب الكرامة هو الذى ينتقى البذور من المحصول الذى زرعه هو نفسه . ومن الملاحظ أن النساء كبيرات السن ، فى الأسر الممتدة ، فى القرية لهن سطوة على الأصغر منهن من النساء .. وقد يقفن حائلا أمام الأخيرات ، اذا كن حوامل أو فى حاجة الى العلاج ، للذهاب الى المستشفى أو الى أحد الأطباء المتخصصين .

وحواجز العجب والتفاخر وخشية ضياع ماء الوجه ضد التغيير الى الأفضل لا توجد ، فحسب ، فى المجتمعات البدائية أو الريفية .. وانما نجدها ، أحيانا ، فى بعض المجتمعات الصناعية .. فى المجتمع الأمريكى مثلا .. حيث نرى أن بعض طلبة الدراسات العليا فى جامعة هارفارد يستنكفون من حضور فصول اللغات الأجنبية ، ويفضلون تعلم هذه اللغات بأنفسهم .. بالمراسلة .

وتبدو هذه الحواجز ، واضحة ، عندما نرى بعض الناس يجدون من العيب أن يعملوا بأيديهم .. لأن العمل اليدوى ، فى ضوء نظرتهم ، عمل مشين ..

والملاحظ أن أساليب اشباع الحاجات فى الحياة عديدة ومتباينة .. وليس بالضرورة أن تؤخذ فى الاعتبار الناحية الاقتصادية ، فحسب ، لتفضيل أسلوب على آخر . ليس من الضرورى ، مثلا ، أن تطلب من الفلاحين زراعة نوع

معين من المحاصيل لأنه أرخص أو لأنه يعطى كمية أكبر .. ثم نتوقع أن يوافقوا على زراعته فى التو واللحظة .. انهم قد يرفضون ، وذلك لأن قيمة الكيف فى تقديرهم أعلى من قيمة الكم . ونجد نفس الملاحظة فى محيط عادات الأكل .. حيث قيمة التذوق تلعب دورا هاما فى قبول كل ما هو جديد ..

ويلاحظ أنه من الصعب أن يرتبط كل عناصر الثقافة ونظمها ، منطقيا ، بعضها ببعض .. حيث نجد بعض هذه العناصر وهذه النظم قد يرتبط منطقيا فى سهولة ويسر .. وأن البعض الآخر ليس كذلك . لقد رفض هنود « النفاهو » (Navaho) الديانة المسيحية وقاوموها لان العناصر الثقافية والنظم الثقافية المتعلقة بعقائدهم تتناقض منطقيا مع العناصر الثقافية والنظم الثقافية المسيحية . انهم يخشون الموت خشية رهيبة كما يخشون الموتى وكل ما يتعلق بهم أو بعودتهم أو قيامتهم .. والديانة المسيحية تستند أساسا على الموت وعلى قيامة الأموات ..

ونجد فى البلاد التى تؤمن بالبوذية المشاكل العديدة التى تواجه مكافحة الحشرات الضارة بالزراعة .. لأن البوذية ، كديانة ، تحرم قتل كل ما هو حى مهما كان شكل الحياة فيه ..

والملاحظ أن أى تغيير ثقافى لا يمكن أن يحدث فى عزلة .. لأن أى تغيير يولد ، عادة ، تغييرات ثانوية تحدث بالتبعية . وقد تتسع التغييرات الثانوية حتى تصل الى المناطق الثقافية البعيدة فى أعماق تصرفات الناس . وكذلك نجد أن مدى التغييرات التى يمكن أن تستحدث يتوقف على بعض التغييرات الأخرى التى تحدث أو التى يكون من المقصود حدوثها ، ومدى تأثيرها على قبول التغييرات المستحدثة . ان التغييرات المستحدثة لها ثمن اجتماعى معين . ان مزايا المستحدث يجب أن تكون أعظم من النتائج المتوقعة .. حتى نتوقع قبول هذا المستحدث . فى قرى الهند ، مثلا ، نجد الناس يطبخون طعامهم على المواقد

المفتوحة فى المطبخ •• ولا توجد مداخن •• والنوافذ قليلة •• ومن ثم يملأ دخان المواقد حجرات المنزل ، ويؤثر الدخان ، بدوره ، على أسقف الحجرات• ان طبخ الطعام فى هــذه الأحــوال أمر غير مريح •• بل هــو يسبب بعض الأمراض •• منها أمراض العيون • وعندما استحدث نظام آخر للطبخ حيث المواقد المغلقة المتصلة بمداخن •• وحيث بيعت هذه المواقد بأثمان متواضعة •• لم يقبل فلاحو الهند هذا النظام •• وكان نصيبه الفشل ـ ذلك لأن أسقف الحجرات مملوءة بالنمل الأبيض الذى يقتله الدخان •• أو يضعف قواه •• وان المواقد الصحية الرخيصة تعنى عدم قتل هذا النمل الأبيض وتعنى تغيير الأسقف من حين لآخر •• أى تعنى مصاريف أبهظ وتكاليف أكثر •• الأمر الذى لايستطيع الفلاحون ، فى ضوء ظروفهم الاقتصادية ، أن يتكبدوه • وفى « بوليفيا » لوحظ أنه عندما أدخل نوع معين من الأذرة •• الأذرة الكوبيــة الصفراء •• ان هذا النوع له مزايا عديدة •• منها أنه ينمو فى المنـــاطق المعتدلة ، وانه ينضج بسرعة ، وانه أكبر حجما من الأنواع المحلية الأخرى ، وان مناعته ضد الحشرات أقوى ، وأنه يغل محصولا أكبر •• •• الخ ، ولقد توقع الخبــراء أن يســهم نوع الأذرة الجــديد فى تحسين التغــذية للناس والحيوانات •• وكان هــذا التحسين الهــدف الأول من ادخال هــذا النوع الجديد • وقد وجد ان زراعة نوع الأذرة الجديد قد لاقت اقبالا شــديدا عند المزارعين ، كما لاقت نجاحا •• ولكن لعوامل أخرى غير التى توقعها الخبراء • ان صلابة هذا النوع •• وان يسرت تخزينه •• كانت عاملا معوقا لطحنه ، ورغب المزارعون عن طحنه لأنه يستغرق وقتا أطول فضلا عن بعض الصعوبات الأخرى •• منها أنهم غير راغبين فى ارسال المحصول الى طواحين المدينة • ومع ذلك فقد تحول الزارعون عن طحن المحصول الى استخدامه فى صناعة المشروبات الروحية التى يستطيعون بيعها بأثمان عالية • ومن ثم نجد أن نوع الأذرة الجديد قد يسر صناعة المشروبات الروحية بدلا من تحسين تغذية الناس والحيوانات فى هذه المنطقة ••

والملاحظ أننا نتعلم نماذج الكلام بسهولة عندما نكون أطفالا ، ولكننا ، كبالغين ، نجد الصعوبة فى تعلم اللغات الأجنبية •• وبخاصة نطق هذه اللغات • والثقافة فى مجتمع ما •• تحـــدد ، عادة ، أوضاع النوم عند أعضاء هـــذا المجتمع •• كما تحدد أوضاع وقوفهم وجلوسهم واسترخائهم • والثقافة فى مجتمع ما •• أيضا •• تحدد الاشارات والرموز التى يستخدمها أعضاء هذا المجتمع •• وكيف يمسكون الأدوات وكيف يستعملونها •• وكيف يدربون أجسامهم ازاء العديد من المواقف • نجد الناس فى أفريقيا ، مثلا ، اذا كانوا واقفين •• يقفون على ساقين مستقيمين ، واذا انحنوا ينحنون من الوسط لكى يتيسر لهم العمل بالأدوات قصيرة اليد التى يستعملونها • ونجد الناس فى بعض المجتمعات وهم يطبخون الطعام •• يفعلون ذلك وهم يجلسون •• ومن ثم تكون المواقد منخفضة ، وقد يصيب الطعام ، من جراء ذلك ، بعض الأقذار •• وعندما اقترح فى جزائر « كوك » أن يطبخ الطعام على مواقد مرتفعة رفض الناس ذلك •• لأن هذا الوضع غير مريح لأنه يضطرهم الى الوقوف بدلا من الجلوس •• ونجد نفس الملاحظة عند استعمال المرحاض العالى بدلا من المرحاض العادى •• نجد أن الأشخاص الذين تعودوا فى حداثتهم على استخدام المرحاض العادى لايستريحون اذا اضطروا الى استخدام المرحاض العالى •• (٧) •

وفى ضوء ما سبق •• نجد بعض العوامل الثقافية التى قد تقف فى سبيل التغيير الى الأفضل • وهى عوامل ، اذا حاولنا هذا التغيير ، لابد أن تؤخذ فى الاعتبار •• حتى نضمن التغيير المنشود • أى أن تعويقها للتغيير •• لايمكن أن يكون مطلقا •• فالأشياء المطلقة •• والأمور المطلقة •• فى ضوء العلم •• لا يمكن أن يكون لها وجود ••

« المراجع والتعليقات »

- ١

— Henry Pratt Fairchild, «Dictionary of Sociology and Related Sciences», Littlefield, Adams and Co., Ames, I owa, 1955, pp. 80-83.

- ٢

— Clyde Kluckhohn, «The Study of Culture» in Coser and Rosenberg, «Sociological Theory, A Book of Reading», New York, Collier-Mac Miller Limited, 1965, pp. 42-43.

- ٣

— Don Martindale, «Social Life And Cultural Change», New York, D. Von Nostrand Co., Inc., 1962, pp. 1-2

- ٤

— George M. Foster, «Traditional Cultures: and The Impact of Technological Change.», New York, Harper and Row, 1965, pp. 25-43.

- يلاحظ أن المدينة تكون ، عادة ، مركز تسرب للعناصر الثقافية المنقولة . فالحياة الاجتماعيــة فيها حرة ، نســبيا ، من قيود الروابط الاجتماعية التقليدية التى تسود ، عادة ، القرى الزراعية . وفى المدينة يبدأ ، عادة ، معظم التغيرات الاجتماعية الثقافية والتغيرات الاقتصادية بين الفئات العليا ثم تنتشر هذه التغيرات الى أسفل حتى تصل الى الفئات الدنيا التقليدية التى لاتجيد القراءة والكتابة .. ثم الى خارج المدينة حتى تصل الى القرية ..
- يلاحظ الاتجاه الآن فى مجتمعنــا المصرى المعــاصر فى محيط تكوين الأسرة .. فمن أسرة ممتدة أو مركبة أصبح الاتجاه فى تكوين الأسرة المصرية ، وبخاصة فى المدينة ، نحو تكوين الأسرة الفردية التى تتكون من زوج وزوجة وأبنائهما فقط ، ومن حيث وظائف الأسرة الأخيرة نجد أنها اقتصرت على ثلاث وظائف : هى : الاشباع الجنسى بطريقــة يقرها المجتمع وانجاب الأطفال .. ثم الاسهام فى عمليات التنشــئة الاجتماعية للأطفال .. أى ان أجهزة اجتماعية أخرى تشترك الآن مع الأسرة فى عمليات التنشئة الاجتماعية للأطفال .. منها المدرسة والمنظمة الدينية والنادى وأجهزة الاعلام بأنماطها .

- يلاحظ أن جاذبية السوق •• أى البيع بالنقد •• تصنع من الفلاح رجلا كثير التعقل •• فالملاحظ أن بعض الباحثين الانثروبولوجيين قد وجدوا فى القرية كثيرا من تجمعات العمل التعاونى •• وجدوا فى غرب أفريقيا وفى هايتى ، مثلا ، العديد من العمال اليدويين وهم يعملون بمصاحبة الموسيقى ودق الطبول • وقد لاحظوا أن هـذه التجمعات لهـا وظائف اقتصادية ذات أهمية •• ولكن تأكد لهم أن الوظائف الاجتماعية تبدو أكثر أهمية ، ومن ثم أصبحت حصيلة الانتاج غير اقتصادية وكانت النتيجة أن أصبح الفلاح يهتم بالانتاج المربح وترك حفلات الموسيقى المصاحبة ودق الطبول المكلفة •• كتقاليد •• تذهب مع الريح •

- يلاحظ أن أعضاء الشعوب البدائية أو التى تعيش على الاكتفاء الـذاتى يتعلمون ، عن طريق الخبرة الطويلة ، عادة ، كيف يسـتغلون بيئاتهم بأسلوب معين يساعدهم ، نسبيا ، على توافر الغذاء المناسب لهم • ويلاحظ أن الانسان البدائى يستفيد من العديد من المواد ، كغذاء له ، لايعرفها غيره من أعضاء الشعوب الأخـرى •• فهو يأكل الحشرات والنبـتات البرية والفاكهة والتوت وأنواعا عديدة من الأعشاب •• وقد يبدو فى ضوء المستويات الغـذائية المعروفة أنه توجـد أوجـه نقص خطيرة فى غذاء الانسـان البـدائى •• ولـكن بالبحث اتضـح أن ماء الليمون الذى تنقع فيه الأذرة قبل طحنها وعملها فطائر يقدم بديلا جيدا لكلسيوم اللبن الذى لايشربه الانسان البدائى ، وان فيتامين جـ يوجد بكميات وفيرة فى الفلفل «الحراق» الذى يعده ويأكله الهنود فى أمريكا الشمالية ، وأن كمية قليلة من اللحم المطبوخ مع الفاصوليا تتيح المجال لوجود البروتينات النباتية •• وباختصار لقد ثبت أن الوجبات الغذائية الهندية جيدة ••

والملاحظ أنه عنـدما يواجه مثـل هؤلاء الناس بعض المواقف حيث

يتحتم عليهم أن يشتروا وجباتهم الغـــذائية •• فان التقاليد والخبـــرة لاتفيدهم ، وعليهم أن يستنبطوا الوجبات الغذائية الملائمة لهم من جديد• ومن الملاحظ أن التغذية لعديد من الشعوب البدائية ، في ضوء الاستغلال الواضح ، تنحط بمجرد اتصالها بحضارة الرجل الأبيض وثقافته •• والأمثلة على ذلك عديدة في محيط الشعوب البدائية أو الشعوب التي تعيش على الاكتفاء الذاتي في أمريكا وفي أفريقيا وفي آسيا •

– يلاحظ أنه عندما يتعرض أعضاء مجتمع معين لبعض التأثيرات الثقافيـــة الخارجية المحدودة ، فانهم يواجهون ، عادة ، فرص اختيار قليلة لايمكنهم أن يقرروا ازاءها أحكاما على أساس خبراتهم أو تقاليدهم الماضية •وتبدو فرص عدم الموافقة على الأمور الجوهرية أمامهم نادرة • ولكن الملاحظ أنه في محيط عمليـات النقل الثقافي بين المجتمعات عن طريق الاحتكاك الثقافي بينها••وعمليات التثقيف••نجد أن أعضاء المجتمعات يواجهون ، عادة ، فرصا أكثر جديدة للاختيار •• وان التقاليد والعادات لاتعطى ، عادة فيهذه الحالة ، كلالاجابات المطلوبة • ومن ثم نجد أن فرص عدم الموافقة تكون فرصا أكثر من الموافقة •• وفي الحالة الأخيرة تبدو بعض الصور من الجماعات و « الشلل » المتنافرة •• منها جماعات تحرص على كل ما هو تقليدي •• وأخرى تحتضن المزيد من كل ما هو جديد ••

– يلاحظ في محيط مواقف عمليات التثقيف التي تحدث بين المجتمعـات بالاحتكاك الثقافي بين المجتمعات البدائية •• وبين المجتمعـــات الأكثر تقدما •• وبين المجتمعات النامية وبين العلاقات الجديدة العديدة المتباينة بالعالم الصناعي •• أنه يبدو ، بمرور الزمن ، وجود تتابع مرحلي معين يتم في صورة سلسلة من مراحل هذا الاحتكاك الثقافي • وتبدأ هـــذه المراحـــل بعـــزوف أعضـــاء المجتمع الـــذي يفرض عليـــه

التغير الثقافى عن هذا التغير المقترح أو المفروض .. والملاحظ أن هذا العزوف عن التغير يبدو ، عادة ، ضعيفا ، فيما يتعلق بالبضائع المادية ذات النفع .. وترى الأعضاء البالغين فى المجتمع يخشون كل التغيرات التى يتنبأون بوقوعها .

ثم بمرور الزمن يلاحظ وجود قبول متزايد لما يعرضه الغرباء من عناصر ثقافية فى محيط الشباب بخاصة ، ويزداد الحماس عند هؤلاء لمعرفة كل ما هو جديد .. ويعنى هذا رفض الكثير من العناصر الثقافية التقليدية والسخرية من الأساليب التقليدية .. وعدم الاستماع لنصائح من هم أكبر سنا ، وانكار التقاليد القديمة ووصم الذين يتبعـونها من أعضاء المجتمع بالرجعية . (فى منـاطق كثيرة فى أفريقيـا .. حلت الترتيلات الدينية محل الأغانى التقليدية .. .. الخ) .

ثم فى مرحلة تالية..يبرز القلق النفسى ، فى محيط أعضاء المجتمع.. ويبدو الصراع جليا بين المتناقضات .. ويكون رد الفعل عـدم الامان الذى يظهر ، فى ضوء ظروف أخرى ، واضحا فى القيام باسترداد حقوق الوطن وتحريره .. وذلك عن طريق الحركات الوطنية .. التى تحاول أن ترفض الحكم الأجنبى كما ترفض ما جلب من تغيرات ثقافية معه ، وتحاول الرجوع الى القيم الاجتماعية الجوهرية القديمة (عودة رقصة الشبح فى عام ١٨٩٠ التى يرقصها الهنود فى أمريكا الشمالية هى أحد الأمثلة التقليدية للحركات الوطنية .. ثم الحركات الوطنية الحديثة التى برزت فى البلاد النامية فى القـرن العشرين حيث تحاول اسـتيعاب التكتيكات المادية للمجتمعات الغربية وفى الوقت نفسه تعمل على الحفاظ على القيم الروحية القومية الأصيلة فى مجتمعاتها) .

٥ ـ المرجع السابق : صفحتا ٢٦ ـ ٢٧ .

ـ لاننسى أن مصر كانت ، ولاتزال ، ملتقى الطرق والبحار وبخاصة البحر

الأبيض المتوسط ، ونسيمه العاطر الذى حمل الى مصر المدنية اليونانية والرومانية التى عاشت فيها ما يقرب من الألف سنة ، فاختلطت روحانية مصر وقصصها الدينى بالميثولوجيا اليونانية والرومانية التى تأثرت نوعا بالحضارة السامية فى عقيدتها . فلما دخلت المسيحية ثم الاسلام الى مصر لم يجدا شعب مصر أرضا بكرا أو صحراء جرداء ، لأن مصر كانت تعرف «أوزيريس» واستشهاده ، ثم بعثه ، كما تعرف شقيقته «ايزيس» ، قبل أن يطرق آذانها صوت البشارة المرقسية عن « الفادى المخلص » ، وأمه « مريم العذراء » . وكذلك كانت تعرف الوحدانية العالمية قبل ان يغزو أرضها جيش عمرو بن العاص . لهذا لما احتضنت مصر تعاليم هذين الدينين ، تمثلت رموزهما وأسرارهما الشبيهة أشد الشبه بما كانت تعى من رموز وأسرار (انظر : سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ،القاهرة ، دار المعارف المصرية ، ١٩٦٦ ، صفحة ١٢) .

- كان المذهب الاوزيرى ، فى القديم ، مذهب الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب المصرى .. صادف هوى فى نفوسهم ، كما صادف دواما . واليوم يحل محل هذا المذهب فى شعبيته .. المذهب الشافعى .. فهو مذهب الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب المصرى المعاصرين ..

واذا كان « أوزيريس » اله الآخرة فى العالم السفلى .. وقاضى القضاة الذى يحاكم أرواح المتوفين ويحـــاسبهم ويزن أعمالهم .. فان الامام الشافعى يبدو فى نظر الكثيرين من أبناء الشعب المصرى المعاصر وكأنه أوزيريس ، أى انه توحد به .. فهو ، عندهم ، قاضى القضاة الـــذى يرأس هيئة المحكمة الباطنية ويحكم فيها بين الناس بالعدل .. وهو ، عندهم ، ليس فقط شخصا يعرف الحق وينطق بالحق ويظهر الحق والباطل ، بل هو شخص يفوضه بعض الطالبين من مرسلى الرسائل الى ضريحه فى تحديد أنواع وصور طلباتهم .. أو يطلبون منه طلبات معينة (أنظر سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارسال

الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥) ..

٦ – ابراهيم المنوفى : دار الحضانة فى المجتمع الريفى ، مجلة الأسرة والطفولة ، القاهرة ، مايو ١٩٦٧ ، صفحات ١٨ – ٢٢ ..

– الملاحظ أن ما يحدث الآن فى الريف المصرى انه لكى تجتذب دور الحضانة أطفال القرى تزودهم ، مجانا ، بالملابس والوجبات الغذائية وما اليها من مغريات . ومع ذلك يواجه المسئولون على هذه الدور صعوبة فى اجتذاب الكثير من الأطفال .. اليها ..

٧ –

— Traditional cultures: And the jmpact of technological change", 66-89.

– لعل بعض العوامل الثقافية المعوقة للتغيير الى الأفضل أن يكون واضحا فى مجتمعنا المعاصر . ان الكثير مما ذكرناه عن هذا الموضوع .. وغيره .. يعيش معنا لايزال . انه يعيش معنا كرواسب بالية .. ينتظر الدراسة الموضوعية .. حتى يفهم .. ويواجه أو يوجه .. حتى يتغير الى الأفضل . ويكفى أ ن نذكر بعض هذه العوامل المعوقة للتغيير .. منها الاتجاه الغير العلمى السائد وبخاصة فى الريف المصرى .. فتفكير الفلاح تفكير حسى .. أى انه يعتقد فيما يرى ويحس . ومنها نظرة الفلاح نحو عملية استبدال مورد المياه وذلك بحفر آبار صحية كمورد جديد يستخدمها بدلا من مياه الترعة الضارة . ومنها حذر الفلاح وتردده .. وبخاصة فى استخدام الآلات التى بواسطتها يمكن معرفة مقدار ما ينتج .. انه يفضل استخدام النورج ، مثلا ، على استخدام آلات الدرس الحديثة .. لأن المحصول سر بينه وبين ربه ولا يريد أن يعرفه أحد . ومنها احتماء الفلاح فى ضباب الغيبيات .. فوباء دود القطن غضب من الله جل وعلا.ومنها نظرة الفلاح الى الحيوانات ومنزلتها العالية عنده ومبيتها فى داره مع زوجته وأولاده . ونجد هذه العوامل الثقافية المعوقة للتغيير

الى الأفضل فى أمور أخرى .. منها النظرة العامة نحو الأطفال ونحو الشباب .. ومنها مفهوم الوقت .. ومفهوم الحكومة .. ومفهوم المرأة عند الرجل .. ومفهوم الرجل عند المرأة .. الخ .. (انظر سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ٢٢٠ — ٢٢٤) .

والملاحظ أن الأغلبية الساحقة من المصريين المعاصرين لا يأكلون لحم الخنزير فهو حرام عند المسلمين منهم ، وقد يذكر المصريون المعاصرون ما كاد أن يحيق ببيع شراب « البيبسى كولا » عندما روج بعضهم ، نكاية فى المسئولين عن انتاج هذا الشراب ، فكرة أن من عناصر هذا المشروب يوجد دهن الخنزير . ولعل اقامة الزوايا والمساجد على الترع فى بلادنا وما يستلزم الصلاة فيها من عمليات الوضوء وما قبل الوضوء .. أن تكون عاملا من عوامل انتشار البلهارسيا والانكلستوما .. ولعل محاولة التغير ، فى هذا المجال ، ان تكون أمرا شاقا يحتاج الى توعية خاصة خالصة ومخلصة .. كما يحتاج الى امكانيات مادية معينة . واستعمال « ورق التواليت » فى مجتمعنا ، فى محيط بعض جماعاته ، أمر مشكوك فيه لعوامل دينية .. على الرغم من القدرة على شرائه . وبالمثل قد نجد أمثلة أخرى عديدة حيث تلعب قيمة التذوق ، فى مجالها ، دورا حاسما ، ومن هذه الأمثلة .. عدم الاقبال على شراء اللحوم المستوردة .. أو على شراء بعض المأكولات المعلبة .. ولعل الموقف السلبى للعديد من أولياء الأمور فى الأسر المصرية المعاصرة من عملية تنظيم الأسرة ، أن يرجع الى بعض العناصر الثقافية السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر .. بعضها يرجع الى تفسير خاطىء لوجهة نظر الدين .. وبعضها يتصل بقيمة العصبية السائدة اتصالا وثيقا .. وبعضها يتصل بعنصر أو أكثر من عناصر مقومات المكانة الاجتماعية المكتسبة فى مجتمعنا ، كما أن بعضها ، أيضا ، يرجع الى عوامل اقتصادية بحته ..

الفصل الثالث

من سمات مجتمعنا المعاصر

يتضمن الفصل الحالى الموضوعات الآتية :

١ – مجتمعنا .. قديم ومستمر ..

٢ – التغير الاجتماعى احدى سمات مجتمعنا المعاصر .

٣ – التغير الثقافى احدى سمات مجتمعنا المعاصر .

٤ – التخلف الثقافى احدى سمات مجتمعنا المعاصر .

٥ – بعض العناصر الثقافية غير المادية المستمرة .

٦ – صورة من صور العزلة الثقافية : مثال واحد .

١ — مجتمعنا •• قديم •• ومستمر ••

لا يجادل أحد فى أن المجتمع المصرى مجتمع قديم •• ان عمره المكتوب هو نحو سبعة آلاف عام •• أما عمره غير المكتوب فلم يستطع انسان حتى الآن أن يعرف ، بالضبط ، له عددا • وقد بنى هذا المجتمع ، فى خلال عمره الطويل ، حضارات عديدة أصيلة •• •• منها ، دون ما تفاخر أو تعال ، أول حضارة انسانية على وجه الأرض ••

وفى خلال تاريخهم القديم •• قدم الدهر •• غير المصريون الكثير من العناصر الثقافية المادية وغير المادية ••• فقد جدد الزارع المصرى فى الحقل أدواته فى الزراعة والرى ونوع فيها على مر الزمن ، وقد جدد أنواع محصولاته فأضاف اليها نباتات جديدة من وقت لآخر •• وقد جدد أنواع الحيوان المستأنس وأضاف اليها ما لم يكن معروفا من قبل •• ، وقد غير المصريون لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها أكثر من مرة فى خلال تاريخهم •• واستبدلوا بدينهم دينا آخر مرتين أو أكثر (١) •

وقد عاش المجتمع المصرى القديم واستمر حتى الآن ، على الرغم من العاديات ومن الظلم ومن الألوان القاتمة من البؤس التى قاساها ، محتفظا بروحه العالية ، ومحتفظا بتماسكه وحيويته • ونجد أبناءه يحاولون ، الآن ، فى ظل الاشتراكية ، صنع حياتهم من جديد ، ويغيرون من أنفسهم من جديد الى الأفضل •• والى الأقوى •• والى الأعظم ••

ولأن المجتمع المصرى مجتمع قديم •• ومجتمع مستمر •• فان محاولة فهمه أمر ضرورى •• ذلك لأننا اذا فهمنا ما هو كائن •• أمكن أن نخطط لما يجب أن يكون •• ومع ذلك فان محاولة فهم مجتمعنا أمر غير يسير •• ولكنه أمر يمكن أن يتحقق •• ولا يمكن تحقيق هذا الفهم الا فى ضوء العلم ••

م — ٤ حديث عن الثقافة

ولا يمكن أن نخطط لما يجب أن يكون الا فى ضوء العـلم كذلك . ولكى نفهم مجتمعنا ، فى ضوء العلم ، يجب أن ندرسه .. ندرس بناءه ووظائفه .. ندرس ظواهره .. ندرس قيمه ومثله العليا .. ندرس رواسبه المعوقة .. كما ندرس اتجاهات أعضائه .. .. الخ . وهذه الدراسات تنتظر من علمائنا الأفاضل ، كل فيما يخصه ، القيام بها .. بل هى تدعوهم الى ذلك .. وتلح فى هـذه الدعوة الحاحا متزايدا . والكاتب لايدعى ، أبدا ، أنه يستطيع ، وحـده ، النهوض بهذه المسئولية الملحة .. انه يستطيع ، فى ضوء خبراته ، وامكانياته المحدودة ، أن يسهم فيها .. وان يدعو مخلصا الى القيام بها . وهو يرى ، بحق ، ضرورة قيام العلماء المصريين بعبئها .. وان يقدموا عليها ولا يتركوا ذلك ، أبدا ، لغيرهم من الأجانب كما كان يحدث ذلك من قبل ..

٢ - التغير الاجتماعى احدى سمات مجتمعنا المعاصر ..

الناس اذ يعيشون حياتهم يعيشون ، عادة ، فى مجتمعات . فالمجتمع يعنى وجود الناس .. رجال ونساء وأطفال ، يعيشون فى بيئة جغرافية معينة حياة مستقرة نسبيا ، وينتظمون بالضرورة ، فى جماعات .. جماعات اجبارية ، أحيانا ، كالأسر والعائلات .. أو جماعات اختيارية ، أحيانا أخرى ، كجماعات اللعب والترفيه ، كما ينتظمون عادة فى منظمات مثل المنظمات الدينية (المسجد والكنيسة) أو المنظمات التربوية (المدرسة) أو المنظمات الاقتصادية (المصانع) أو المنظمات السياسية (الاتحاد الاشتراكى) .. الخ ، ويعملون فى ضوء ما لديهم من أساليب فنية علمية مثل الرعى والزراعة والصناعة .. الخ ، فى سبيل تحقيق بعض الأهداف الكبيرة كحفظ النوع وحفظ الحياة مثلا ، فى ظل مناخ اجتماعى ثقافى معين .. أى فى ظل قيم اجتماعية معينة ومبادىء معينة ومثل عليا معينة .. ..

والمجتمعات البشرية .. وكل شىء فى الدنيا .. لايستقر على حال . أى أن كل الأمور والأشياء .. المادية وغير المادية .. فى تغير مستمر .. تلك هى سنة الحياة ، ولن تجد لها تبديلا .

والتغير فى المجتمع البشرى يعنى التغير فى تراثه الاجتماعى . والتراث الاجتماعى يعنى العناصر الثقافية المادية التى توجد فى المجتمع مثل الآلات ووسائل المواصلات والمبانى والأثاث والراديو والتليفزيون والتلغراف والتليفون .. الخ ، كما يعنى .. أى التراث الاجتماعى .. العناصر الثقافية غير المادية التى توجد فى المجتمع مثل اللغة والعادات والأعراف .. وحتى المعتقدات .. الخ .

والتغير فى المجتمع البشرى يعنى كذلك التغير فى بناء هذا المجتمع .. البناء المادى .. والبناء الاجتماعى .. أى مجموعة العلاقات التى تقوم بين

الجماعات في المجتمع •• أى مجموعة الأدوار الاجتماعية التى تربط أعضاء الجماعات التى يتكون منها المجتمع • ويلاحظ أن كل شخص يقوم بأدوار اجتماعية عديدة فهو فى محيط الاسرة مثلا قد يؤدى دور الأب أو دور الأم أو دور الابن أو دور الابنة •• الخ ، وهو فى محيط العمل قد يؤدى دور الرئيس أو يؤدى دور المرؤوس •• الخ •

ولا يكون التغير الاجتماعى فى المجتمع •• أى مجتمع •• فى كل النواحى بنسبة واحدة • فالتغير الاجتماعى ، فى الواقع ، يحدث ، عادة ، بنسب متفاوتة • ويلاحظ أنه بينما تتطور العناصر الثقافية المادية فى المجتمع بخطى أوسع نجد أن العناصر الثقافية غير المادية فى تطورها تتخلف •

ومجتمعنا المصرى المعاصر يواجه ظاهرة التغير الاجتماعى سواء كان ذلك فى تراثه الاجتماعى ••أو فى بنائه الاجتماعى أو حتى فى بنائه المادى•ففى ضوء الانتصارات العظيمة التى حققها الشعب فى ميادين السياسة والصناعة والاقتصاد منذ ثورة ٢٣ يوليو **١٩٥٢** المجيدة ، وهو •• أى الشعب •• يواجه ظاهرة التغير الاجتماعى • وهو يعمل ، ولايزال ، فى هذه الميادين مبرزا مظفرا على الرغم من الرواسب المعوقة البالية من العهود البائدة ، وعلى الرغم من الظروف غير المواتية التى تخلقها قوى الاستعمار الشريرة من حين الى حين •

فتطبيق القيم الاجتماعية الجديدة •• القيم الاشتراكية فى مجتمعنا •• والمبادىء الاشتراكية •• فضلا عن المثل العليا الاشتراكية••يعنى تغييرا جذريا فى تراثنا الاجتماعى بعناصره غير المادية •• أى تغييرا جذريا فى العلاقات التى تقوم بين الجماعات فى مجتمعنا •• العلاقات بين العمال وأصحاب العمل •• والعلاقات بين الفلاحين وأصحاب الأرض •• والعلاقات بين الزوجات والأزواج •• •• الخ •

وتعنى الانتصارات فى ميادين السياسة والصناعة والاقتصاد ، فى الواقع ،

الغاء أدوار اجتماعية قديمة أو تنحيتها (دور المستعمر .. دور الملك .. دور الرأسمالى المستغل .. دور الأحـــزاب .. الخ) ، كما تعنى خلق أدوار اجتماعية جديدة فى المجتمع (دور القوى العاملة الجديدة .. دور الاتحاد الاشتراكى .. دور الحكم المحلى .. دور المرأة الجديد .. .. الخ) .. ولما كان هذا الالغاء وهذه التنحية وهذا الخلق قد تمت ، جميعها ، فى سرعة مذهلة ، فان المجتمع أصبح يواجه ، ولايزال ، ثورة اجتماعية ، أى انه يواجه الظاهرة الاجتماعية التى يعبر عنها بظاهرة « التغير الاجتماعى » .. فى سرعة مذهلة كذلك .

والتغير فى البناء المادى فى مجتمعنا .. فى ضوء الظروف الحالية..ظروف بناء السد العالى .. وتحويل مجـــرى نهر النيل العظيم .. واستصـــلاح الأراضى .. وزراعة الصحراء .. وبناء المصانع ، لايمكن أن يخفى عـلى أحد .. ان هذا التغير يعنى اقامة مجتمعات محلية جديدة .. يعنى اقامة مدن جديدة .. واقامة قرى جديدة .. كما يعنى هجرة داخلية عارمة ..

واذا كانت ظاهرة التغير الاجتماعى السريع ، فى مجتمعنا ، حقيقة لاريب فيها . فان ما يصاحب هذه الظاهرة يجب أن يعتبر أمورا عادية ومســـائل متوقعة . مهما بدت ، أحيانا ، حدة التناقض أو بدا الصراع بين المعايير الثقافية. ومهما تسلط فى المجتمع ضعف سلطان القواعد أو المعايير السلوكية فى بعض الأحيان . ومهما كانت الحاجة ماسـة الى تعـاريف عامة متفق عليهـا لبعض المفاهيم الجديدة أو لبعض المواقف الاجتماعية الجديدة . ومهما صاحب كل ذلك من نتائج . أى انه يجب أن لايساورنا القلق أبدا .. فنحن ، أولا وقبل كل شىء ، نبنى مجتمعا جديدا .. المجتمع الاشتراكى .. الذى يسوده أو يجب أن يسوده التفكير العلمى والاتجاه العلمى فى معالجة كل الأمور .. ومن ثم يجب أن نحذر كل الحذر مما يقال ، أحيانا ، من أن هذه النتائج ستذهب وحدها مع الزمن دون ما تدخل بل يجب أن نعالجها .. أى أن نوجهها فى ضوء الاهتمام بها ودراستها وفهمها (٢) .

٣ – التغير الثقافى احدى سمات مجتمعنا المعاصر ..

يلاحظ أن المجتمعات الانسانية فى عصرنا الحالى هى مجتمعات قديمة أو مجتمعات حديثة نسبيا .. ومن الأخيرة نجد معظم المجتمعات الغربية حيث يكون معظم النظم الاجتماعية والأوضاع الاجتماعية فيها مستحدثا نسبيا لايكاد تاريخه يرجع الى أكثر من قرون قليلة. بل ان كثيرا من تلك النظم والأوضاع لايرجع الى أبعد من عصر النهضة الصناعية الحديثة أو الثورة الاشتراكية فى تلك الأقطار . وبعبارة أخرى ليس للنظم الاجتماعية التى يراد تناولها بالتغير فى تلك المجتمعات المستحدثة تاريخ طويل معقد .. فضلا عن أن أغلبها نظم متجانسة لأنها نشأت فى عصر حضارى واحد ..

أما المجتمعات القديمة .. ومنها مجتمعات الشرق العربى .. فلها ظروفها الخاصة ، حيث نجد أن أوضاعها ونظمها الاجتماعية الحالية هى من تراث الماضى فى أدواره المتعاقبة .. وهى مجتمعات تجمع فى حياتها ونظمها القائمة بين الماضى والحاضر ، بل انها من بعض النواحى تعيش فى الماضى بقدر ما تعيش فى الحاضر أو فى المستقبل .

والملاحظ أن الاستمساك بالقديم فى مجتمعات الشرق العربى ليس معناه ، بالضرورة ، أن أعضاء هذه المجتمعات محبون للمحافظة على القديم ، وانما معناه الصحيح أن كثيرا من النظم الاجتماعية القائمة قد نشــأ فى بيئات هــذه المجتمعات نشأة طبيعية أصيلة .. ولم يكن مستعارا من الخارج كما هى الحال فى غير قليل من النظم الاجتماعية والثقافية والدينية فى غرب أوروبا أو فى أمريكا . ان هذه النظم قد نشأت فى بيئات مجتمعات الشرق العــربى وتغذت بلبانها .. وعاشت وعمرت لأنها كانت صالحة للبقاء والتعمير .

والمجتمع المصرى المعاصر ، فى ضوء تاريخه القديم المستمر ، لم يجــد أعضاؤه وبخاصة من يشكلون الجماعات الزراعية فيه ، ضرورة ملحة فى أن

يغيروا كثيرا من تلك النظم • ومع ذلك فاننا نجد من الصعب أن نسلم بأن المجتمع المصرى مجتمع جامد محافظ على القديم • فالمصريون ، كما سبق أن أوضحنا ، قد غيروا لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها أكثر من مرة فى خلال تاريخهم ، واستبدلوا بدينهم دينا آخر مرة أو مرتين ، وجمعوا بين القديم والحديث فى كثير من مظاهر حياتهم وألوان ثقافتهم ، واتصلوا بالعالم الخارجى واقتبسوا عن أهله وثقافاته فى الشرق والغرب على السواء • بل ان المصريين كانوا مجددين حتى فى الجانب الثقافى المادى والعملى من حياتهم • فالزارع المصرى فى الحقل جدد أدواته فى الزراعة والرى ونوع فيها على مر الزمن ، وجدد أنواع محصولاته فأضاف اليها نباتات جديدة من وقت لآخر ، لاسيما بعد ادخال نظام الرى الدائم وظهور ما يمكن أن نسميه بالثورة الزراعية المصرية فى القرن التاسع عشر ، كما جدد أنواع الحيوان المستأنس وأضاف اليها ما لم يكن معروفا من قبل • وكل ذلك قلب نظام العمل والاقتصاد الاجتماعى فى الريف وكاد أن يغير معالمه التى كانت قائمة من قبل (٣) •

والمجتمع المصرى المعاصر فى الوقت الحاضر ، وبخاصة ، بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، يواجه ظاهرة التغير فى تراثه الاجتماعى بعناصره الثقافية المادية وغير المادية •• ويسير فى سبيل تحقيق أهداف الاشتراكية على أرضه قدما •• على هدى •• ما قام به فى الماضى ، باستمرار ، من الأخذ والعطاء •• والجمع بين القديم والجديد • فالجديد فى مجتمعنا لم يكن دائما لينسخ القديم • وانما كان التوفيق بين القديم والجديد ، وان تسبب فى جعل بعض نظمها الاجتماعية فى جملتها معقدة غاية التعقيد ، هو القاعدة فى هذا المجتمع العريق ••

ان الحاضر فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر لايمكن أن ينفصل عن الماضى •• وان محاولة التغير الشاملة يجب أن تميز بين النظم القديمة الأصيلة فى هذا المجتمع ، وبين النظم القديمة الدخيلة وبين النظم المستحدثة • ومهما بدا الصراع بين القديم والمستحدث •• فان الوعى الموضوعى بهذا الصراع

أمر ضرورى • فالملاحظ أن الأصيل القديم يمكن أن يتغير •• أو يتطور •• أو يعدل ، وان الدخيل القديم أو المستحدث ، فى ضوء المصالح الحقيقيــة لأعضاء المجتمع ، يمكن أن يكون كذلك •• أى يتغير أو يتطور أو يعدل • ومن أمثلة النظم القديمة الأصيلة روح التعاون والتضامن بين سكان القرية المصرية التى نشأت فى الأصل على كومة من التراب يتعاون أهل القرية جميعا على رفعها فوق مستوى الفيضان ، كما يتعاونون فى المحافظة عليها وفى اقامة الجسور حول حياض الزراعة من حولها وترتيب المواصلات المائية بين القرية وما جاورها ابان ارتفاع الماء وغير ذلك من المرافق التعاونية التى عاشت بها القرية على الزمن آلاف السنين • وعندما جاء الرى الدائم وحل محل رى الحياض تغيرت الأوضاع ، ولم تعد هناك حاجة الى أن تقام القرية فى مستوى أعلى من مستوى الأرض الزراعية ، بل لم تعد هناك حاجة الى أن يتجمع السكان فى قرى كبيرة ، وظهر نظام « العزب » الصغيرة المتفرقة • وبذلك كله دخلت القرية المصرية الكبيرة فى دور من الانحلال يرجع فى أصله الى زوال الدافع الأصلى الى التعاون والتكاتف والتماسك بين سكان القرية الواحدة ، فانحلت الروابط وتضعضع نظـام الادارة القـروية وطغت الادارة المركزية العـامة عليها ، وظهرت على الجملة مشكلة اجتماعية هى من أصعب ما تعرض له ريف مصر فى خلال تاريخه الطويل • وقد يبدو أن طريق التغيير الصالح •• التغيير الى الأفضل ، اذا ما نحن فهمنا علة الداء على هذا الوجه ، هــو أن نعمد الى القرية فنعوضها عما فقدت من دوافع أصيلة للتعاون ••

ثم مثال آخر للنظم القديمة الأصيلة التى يصعب تغييرها تغييرا شاملا وسريعا ، والتى تخفق فى وجهها التشريعات والقوانين المستحدثة مهما اشتدت • تلك هى بعض العادات الجنازية التى ترجع فى مصرنا العزيزة الى العهد الفرعونى أو حتى ما سبقه من عهد ما قبل الأسرات•والملاحظ أن نذكر أن القضاء على هذه العادات الجنازية لم يبلغ غاية النجاح حتى بين الفئة المثقفة والمســتنيرة استنارة عالية فى بلادنا • وغاية ما حدث ان تلك العادات قد اتخـذت صورة

مخففة مهذبة ، فى بعض الأحيان ، فصارت نعيا فى الجرائد على نحو لايكاد يكون له مثيل فى غير صحف مصر ، أو انقلبت الى حفـــلات تأبين طويلة ومؤثرة ، هى فى واقع الأمر استمرار معدل للعادات الجنازية التى جرى عليها شعب مصر فى خلال العصور •

ومن النظم القديمة الدخيلة التى دخلت المجتمع المصرى مســـتعارة من الخارج •• نذكر حجاب المرأة ، فهو غريب عن البيئة المصرية ويكاد أن لايكون له أثر فى البيئة الريفية • فلما بدأت حركة التغيير الى الأفضل ، فى هذا المجال ، نجحت • وكان نجاحها فى صورة سريعة ظاهرة ، تكاد أن تشبه الثورة من بعض الوجوه •

وعادة لبس « الطربوش » هى ، أيضـا ، من قبيل النظم المصرية الـدخيلة المستعارة من الخارج •• فعلى الرغم من الطقوس الثقافية التى كانت مرتبطة بهذه العادة ومنزلة هذه الطقوس فى نفوس أعضاء الشعب المصرى ســـواء كانوا من الذين يمارسونها أو الذين لايمارسونها •• فانها أصبحت أثرا بعد عين وتلاشت فى سرعة مذهلة عندما أتيحت الفرصة المواتية لابطال هذه العادة •• (٤) •

ومهما بدا الخلاف حول هذا الموضوع فلن يقف فى سبيل أعضاء المجتمع المصرى المعاصر أية عقبـــة حتى يحققوا الأهداف الاشتراكية الانســـانية السامية ، ويناضلوا من أجل بلوغها بأسرع ما يمكن •• فالمستحدث أو الجديد قد ينقسم الرأى فيه •• ولكن العبـــرة •• كل العبرة •• فى أنه يتفق مع المصـالح الحقيقيـة للجماهير العريضـة أو لايتفق •• ومن المؤكد أن القيم الاشتراكية والمبادىء الاشتراكية فضلا عن المثل العليا الاشتراكية هى ، فى الواقع ، أمور تتفق مع المصالح الحقيقية للجماهير العريضة فى مجتمعنا •• ومن ثم نتوقع ، فى ضوء التخطيط الثقافى العلمى ، ان تتقبلها هذه الجماهير تقبلا حسنا فى ضوء ادراكهم لها وفهمها واتاحة الفرص والامكانيات الحقيقية لاستيعابها وتمثلها •• ثم تحقيقها •• (٥) •

٤ - التخلف الثقافى احدى سمات مجتمعنا المعاصر ..

فى ضوء « ظاهرة التغير الاجتماعى السريع » التى يواجهها مجتمعنا المصرى المعاصر فى الفترة الحالية من عمره ، يبدو الكثير من مظاهر « ظاهرة التخلف الثقافى » ، فى هذا المجتمع ، واضحا جليا .. نجد هذه الظاهرة ، على مستوى المجتمع ، فى الغالب ، فى محيط العناصر الثقافية غير المادية . وهى تشكل ، عادة ، الصراع العنيف بين القديم وبين الجديد . ونجسدها .. أى مظاهر ظاهرة التخلف الثقافى .. فى القيم الاجتماعية القديمة المعوقة التى لاتزال تعمل فى نفوس العديد من أعضاء مجتمعنا الحالى وتوجه سلوكهم عن طريق بعض العادات والتقاليد وبتأثيرها ، ولعل أسخف هذه العادات والتقاليد أن يكون بعض ما يتصل بظاهرة الموت وبالموتى . ونجسدها فى محيط بعض العلاقات الاجتماعية التى تخلفت .. مثل العلاقات بين الرجل والمرأة .. وبين الرئيس والمرؤوس ومن فى حكمهما ، كما نجدها متجسمة فى الأمية الشائعة . أى أننا نجد هذه المظاهر فى نظرة الكثير من أعضاء المجتمع نحو الحياة ، كما نجدها فى نظرتهم نحو الموت .. ونحو الموتى ..

ومن الأمثلة التى توضح بعض هذه المظاهر ، على مستوى الأشخاص أو الجماعات ، نجد من يمتلك عربة فاخرة حديثة الصنع ويضع فيها رموزا معينة درءا للحسد ، أو نجد أسرة يضم أثاث بيتها أحدث من ثلاجــة وتليفزيون وتليفون ومطبخ .. الخ ، وفى يوم معين .. .. فى ساعة معينة .. .. تطلق هذه الأسرة البخور فى أنحاء المكان لأسباب تتعلق بالشفاء من مرض أو بالوقاية من مرض أو بالخشية من الحسد .. الخ ، أو نجد جريدة يومية أو مجلة أسبوعية تستخدم أحدث آلات الطباعة ويتضمن بعض موضوعاتها موضوع « بختك اليوم » ، أو نجد شاشة التليفزيون تعرض برنامجا عن قراءة الكف أو الفنجان أو حساب النجوم ، أو نجد أما تعمل فى مصنع من المصانع الحديثة لكى يعيش ولدها تذهب الى السوق وتطلب باسمه احسانا ، أو نجد طالبــا

جامعيا يخرج من المعمل الكيميائى الذى يقوم ببعض التجارب فيه ثم يحرص على زيارة الأولياء أو يعتقد فى الأشباح •• أو نجد طالبة فى كليــة الطب تحمل حلية ثمينة ترمز الى رقم خمسة اتقاء من شر الحاسدين ، أو نجــد مدرسا يكتب الى ضريح الامام الشافعى لكى يتدخل فى شئونه الخاصة التى تتعلق بحياته مع زوجته •• •• الخ •

ومظاهر ظاهرة التخلف الثقافى توجد ، كذلك ، على مستوى المجتمع ، فى محيط العناصر الثقافية المادية •• ويكفى أن يذهب المرء منا الى قرية من القرى •• أو الى حى من أحياء المدينة المتخلفة •• ويزور ، فى هذه المناطق ، دورة مياه •• ليرى مدى تخلف بعض أساليب الحياة المادية المستخدمة ••

ومهما يكن من الأمر ••• فانه يجب أن لاتحجب مظاهر ظاهرة التخلف الثقافى فى مجتمعنا ، عنا ، رؤية الانتصارات العظيمة التى حققها الشعب فى الميادين السياسية والصناعية والاقتصادية والفنية ، كما يجب أن لايثير وجود هذه المظاهر ، حتى الآن ، فى نفوسنا القلق أبدا •• فنحن ، أولا وقبل كل شىء ، نبنى مجتمعا جديدا •• المجتمع الاشتراكى ، الذى يسوده أو يجب أن يسوده ، التفكير العلمى • ولعلنا فى هذا الضوء ••• أن نحذر كل الحذر مما يقال ، أحيانا ، من أن مظاهر ظاهرة التخلف الثقافى ، فى مجتمعنــا ، ستذهب وحدها مع الزمن دون ما تدخل ، بل يجب أن نعالجها •• أى نوجهها فى ضوء الاهتمام بها ودراستها وفهمها ، ولعلنا أن نذكر ، عـلى الدوام ، اننا بفضل ذلك ، فى الواقع ، نصارع هذه المظاهر ، وان صراعنا معها سيستمر ، حتما ، طالما أردنا أن نشيد للمستقبل ونعمر للانسان ونبنى للحرية •• (٦) •

٥ - بعض العناصر الثقافية غير المادية القديمة المستمرة ..

اذا لاحظنا بعض تصرفات أعضاء مجتمعنا المعاصر .. نجد أنهم يتصرفون، في بعض الأمور ، فى ضوء قيم اجتماعية قديمة معينة ، استمرت على مر الأيام. وهى قيم منبثقة من ظروف المجتمع المصرى . أى أنها قيم لها أصالة وجذور تاريخية .

ووجود بعض النماذج السلوكية القائمة على قيم اجتماعية معينة ، قديمة ، حتى الآن .. يرجع ، بالضرورة ، الى أنها لا تزال تؤدى وظائف اجتماعية معينة .. وفى معظم الأحيان نجدها تعكس اتجاها معينا نحو الحياة لا يمكن أن يتصور أن يكون اتجاها ايجابيا .. أو علميا . أى أن وجود هذه النماذج يمثل اتجاها نحو الحياة يقف متعارضا ، ضد الاتجاه الجديد نحو الحياة الذى لابد له أن ينبثق من الظروف الاجتماعية الجديدة ونحن نبنى المجتمع الجديد .. المجتمع الاشتراكى . والملاحظ أن هذا الاتجاه قائم فعلا ، وأنه يسهم فى عملية الصراع بين القديم والجديد.. وهو يمثل ، فى هذه العملية، طرفا من أطراف هذا الصراع .. الطرف القديم الراسخ ذى الجذور التاريخية العميقة ..

وفى ضوء نتائج بعض الدراسات العلمية الواقعية .. ثبت أن ظاهرة ارسال الرسائل الى الموتى .. يشكو مرسلوها اليهم فيها أو يطلبون منهم ، وهى ظاهرة قديمة جدا ، مستمرة حتى الآن فى مجتمعنا المعاصر . وهى كنموذج سلوكى يقوم على بعض القيم الاجتماعية ، يمارسها الكثير من أعضاء هذا المجتمع حتى وقتنا هذا (٧) .

ومن العناصر الثقافية غير المادية التى استمر المصريون على مر الأجيال يؤمنون بها ويمارسون الحياة على وجه الأرض على هديها ، منذ العصر المصرى القديم حتى وقتنا هذا ، نجد العناصر الثقافية غير المادية التى تتعلق بظاهرة

الموت ومفهوم الخلود .. كما نجد بعض العناصر الثقافية غير المادية التى تتعلق بالنظرة نحو الموت ونحو الموتى . ومن الأمثلة على هذه العناصر نجد الصلة بين ظاهرة النوم وبين ظاهرة الموت . ومفهوم القرين ، وعوامل وجود ظاهرة الموت ، ووجود اله للموت أو ملاك للموت ، والتفكير فى الموت، وعدم خشية الموتى ، والاعتقاد بوجود حياة بعد الموت ستكون حياة الثواب والعقاب وفقا لسلوك الانسان على وجه الأرض ، والتفكير فى الحياة بعد الموت ، والاعتقاد فى وجود حياة فى القبر ، وفى حساب الآخرة (محاسبة الضمير) ، وفى وزن الأعمال ، وفى وجود الجنة وشجرة الحياة (شجرة الخلد) ، وفى وجود حارس للجنة ، وفى وجود النار (الهاوية) وبحار لهيبها وأنهاره .. كما نجد ، كذلك، العادات الراسخة المتعلقة بنعى الموتى والبكاء عليهم والنياحة والتعزية وزيارة القبور .. الخ (٨) .

نجد كل هذا على الرغم من أن المصريين ، فى ضوء تاريخهم الطويل ، قد استبدلوا بدينهم دينا آخر مرة أو مرتين . وقد غيروا لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها أكثر من مرة فى خلال تاريخهم ..

وحتى اللغة فاننا لانزال نجد فى لغتنا التى نتكلم ونكتب بها ، نحن المصريين المعاصرين ، بعض الألفاظ الفرعونية وبعض الألفاظ القبطية القديمة.. متداولة . ولا تزال لهجات اللغة القبطية القديمة ملحوظة بوضوح فى العربية الدارجة . فكما أن لهجة سكان الوجه البحرى تختلف الآن عن لهجة سكان مصر الوسطى التى تختلف عن لهجة سكان الصعيد ، كذلك كان الأمر فى اللهجات القبطية البحرية والصعيدية والفيومية والأخميمية (٩) ..

وقد لاحظ الكاتب أن بعض ما تتضمنه لغة النشالين السرية من المصريين يرجع الى لغات أخرى غير العربية منها اللغة الهنجرية (لغة الغجر) واللغة الفارسية .. وغيرها (١٠) .

والملاحظ أنه على الرغم من استمرار بعض العناصر الثقافية غير المادية ، فى مجتمعنا المعاصر ، فان المصريين قد جددوا الكثير من العناصر الثقافية المادية وغير المادية الأخرى .. أو طوروها . انهم ، فى وقتنا الحالى ، يفعلون ذلك. وهم ، اذا تأكد وجود الفرص الحقيقية أمامهم .. فرص التغيير الى الأفضل سيستمرون فى التجديد والتطوير . وبخاصة اذا جمعت العاملين فى خدمة المجتمع ، على قلب رجل واحد ، أهداف معينة واضحة .. هى .. الاهتمام بكسب ثقتهم ، ورفع الروح المعنوية فى محيط أعضاء المجتمعات المحلية منهم، والمساعدة المثمرة فى العمل التعاونى معهم ، وتنمية قدراتهم على العمل الخلاق، وتفسير حاجات المجتمع المتغيرة لهم ، ومساعدتهم على الاستفادة من موارد هذه المجتمعات المحلية .. وأخيرا نذكر هدف مساعدة أعضاء المجتمع على احداث التغيير الى الأفضل .. التغيير المادى .. أو التغيير غير المادى .. أى التغيير الذى يقود أعضاء المجتمع بعيدا عن الأساليب التى اعتادوها .. أساليب تفكيرهم ، كما يقودهم الى تقييم أساليب التفكير الجديدة .. والقيم الجديدة التى تكون من وراء هذه الأساليب ..

٦ - صورة من صور العزلة الثقافية : مثال واحد .

نلاحظ فى كل مجتمع من المجتمعات البشرية وجود عناصر ثقافية أساسية سائدة فى المجتمع .. ونلاحظ مع هذه العناصر الأساسية السائدة وجود عناصر ثقافية أخرى مستحدثة . وقد تتنافر هـذه العناصر جميعا وتتصارع فى بعض الأحيان ، وقد تتآلف أو تتفق فى بعض الأحيان الأخرى ..

ونحن نرى أن فى تصارع العناصر الثقافية الأساسية السائدة فى المجتمع مع العناصر الثقافية الأخرى خير كبير .. لأن الصراع سمة الحياة .. وصراع العناصر الثقافية ، أساسية كانت أو مستحدثة ، يعنى بعض النتائج .. ومن هذه النتائج حتمية التطور الذى ينشده الجميع ..

ومهما يكن من الأمر ، فانه يجب علينا ، فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر ، أن نتعرف باستمرار ، على العناصر الثقافية المتنافرة وغير المتنافرة .. وأن نحاول ، باستمرار ، أن ندرسها لكى نفهمها ونكون على بينة من أمرنا .. وذلك لأن الظاهرة التى نواجهها .. ظاهرة وجود العناصر الثقافية المتنافرة وغير المتنافرة .. هى فى الواقع ظاهرة « العزلة الثقافية » .. أى ظاهرة وجود بعض أعضـاء مجتمعنا فى عزلة ثقافية نسبية عن غـيرهم من أعضاء المجتمع الآخرين . أى أن نظرتهم نحو الحياة بل نحو الدنيا .. دنياهم ، فى ضوء تقاليدهم وعاداتهم وقيمهم الاجتماعية ومستواهم المادى ، تكون نظرة مختلفة عن نظرة غيرهم من أعضاء المجتمع .. فهم يتميزون بطابع عام معين يميزهم عن غيرهم ويؤثر فى علاقاتهم مع غيرهم ..

ان ظاهرة العزلة الثقافية لا تعنى ، حتما ، وجود حدود مادية معينة .. أى حدود جغرافية معينة فاصلة .. انها توجد فى الحضر .. كما توجد فى الريف . وهى توجد فى محيط جماعات ثقافية معينة حضرية أو ريفية على السواء ..

ومن عواملها فى مجتمعنا ، فى ضوء ظروفه الحاليــة ، عمليا ت الهجــرة الداخلية والتهجير التى لا تهدأ ، وعمليات التوطين فى المناطق المستحدثة ، وعمليات الهجرة الى الجمهورية فضلا عن ظاهرة التخلف الثقــافى وبعض العوامل الجغرافية ..

والملاحظ أن مجتمع القرية المصرية ، على وجه العموم ، لا يزال فى عزلة ثقافية واضحة عن مجتمع المدينة منذ أمد طويل .. ومع ذلك فالاتجاه الآن يبدو واضحا نحو احقا قحق القرية المصرية .. حتى يتطور مجتمعها وحتى لا يكون بمعزل عن مجتمع المدينة .

ومع ذلك نرى أن فى المدينة .. مدينة القاهرة ، مثلا ، عاصمة أفريقيا.. وعروس العواصم وغرتها .. من يعيش من أبنائها فى عزلة ثقافية واضحة عن أبنائها الآخرين .. نجد من الأمثلة الحية على ذلك حى بولاق .. أحد أحياء القاهرة (١١) ، نراه يسكنه أناس شتى .. من العمال والتجار وصغار الموظفين والباعة المتجــولين .. وغيرهم .. قد هاجــر معظمهم من الريف المصرى ، من الوجه البحرى ، ومن الوجه القبــلى ، وبخاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية .. وقد تركزت فئاتهم وبخاصة أبناء الوجه القبــلى فى شياخة الترجمان .. وبدأوا يتكدسون فى هذه الشياخة حتى أن الحجرة الواحدة قد يسكنها أكثر من عشرة أشخاص فى بعض الأحيان .. وبلغت نسبة التزاحم فى هذه الشياخة نحو ٤ر٣ (بولاق ١ر٣ والقاهرة ٣ر٢) ..

ومع استمرار زيادة سكان الحى وازدحامه (١٢) .. سواء كان ذلك عن طريق الهجرة الداخليــة أو عن طريق التناســل ، ومع ملاحظة انخفــاض المستوى الاقتصادى لسكان الحى حيث نجد أن نسبة العمال غير الفنيين (أى الذين يمتهنون أعمال البيع وأصحاب الحرف والصناع والعمال المشتغلين فى عملية الانتــاج والفعلة والعتالين والمشتغلين بالخــدمات والترفيه والرياضة) الذين بلغوا سن ١٥ سنة فأكثر نحو ٣٨٪ بالنسبة الى جملة السكان من نفس

العمر ، وأن نسبة العمال الذكور من هؤلاء تبلغ نحو ٢ر٧٠٪ بالنسبة الى جملة الذكور من نفس العمر ، وأن نسبة العاملات منهم تبلغ نحو ٦ر٢٪ بالنسبة الى جملة الاناث من نفس العمر .. وهى تبلغ نحو ٨ر٤٦٪ بالنسبة الى جملة العاملات من سكان الحى من نفس العمر . وأن نسبة النساء غير العاملات بالنسبة لجملة الاناث من السكان من نفس العمر هى نحو ٢ر٩٤٪ ، ونسبة الذكور الذين ليست لهم مهنة بالنسبة الى جملة الذكور من نفس العمر هى نحو ٢ر١٢٪ ، فى حين أن نسبة الذكور والاناث الذين لا مهنة لهم بالنسبة الى جملة السكان من نفس العمر هى نحو ٥٢٪ - لكل هذه العوامل بدأ يظهر العديد من المشكلات الاجتماعية .. وأصبح الحى مسرحا للعديد من الجرائم وبخاصة الاتجار فى المخدرات وبيعها والدعارة . ومما يلاحظ أن عدد ذوى العاهات فى حى بولاق أكبر عددا فى أى حى من أحياء القاهرة بعد حى الوايلى وحى السيدة زينب وحى شبرا . وأن نسبة ذوى العاهات فى حى بولاق هى نحو ٦ر٧٪ بالنسبة لجملة ذوى العاهات فى القاهرة .. فى حين أن هذه النسبة فى حى الوايلى نحو ٨ر٧٪ وأنها فى حى السيدة زينب نحو ٨ر٧٪ أيضا ، وفى حى شبرا نحو ٦ر٧٪ . ويكثر من ذوى العاهات فى الحى ذوو العين الواحدة ويليهم العمى ثم الصم والبكم وفاقدو احدى اليدين أو كلتيهما أو احدى الرجلين أو كلتيهما . ويلاحظ أن نسبة الأميين من الجنسين بالنسبة لسكان الحى من سن عشر سنوات فأكثر نحو ٨ر٦٠٪ ، وأن نسبة الأميين الذكور الى جملة الذكور فى الحى فى نفس العمر ٤ر٤٤٪ ، وأن نسبة الأميات الى جملة الاناث فى الحى فى نفس العمر نحو ٣ر٧٥٪ ، وأن جملة الأميين وأشباه الأميين (يقصد بالأخيرين من يقرأ فقط ومن يقرأ ويكتب فقط) من الجنسين بالنسبة لسكان الحى فى نفس العمر نحو ٧ر٩١٪ ، وأن نسبة الأميين وأشباه الأميين من الذكور الى جملة الذكور فى الحى من نفس العمر نحو ٩ر٨٦٪ ، وأن نسبة الأميات وأشباه الأميات من الاناث الى جملة الاناث فى الحى من نفس العمر نحو ٧ر٩٣٪ .. (١٣)

ومما ساعد على استمرار تخلف الحى أن العديد من أبنائه الذين يصلون الى مستوى اقتصادى معين أو مستوى تعليمى معين أو مستوى وظيفى معين لا يلبثون أن يهجروه الى أحياء أخرى يعيشون فيها •• وهى أحياء تشتهر ، عادة ، بالمستوى المادى العالى والمستوى الثقافى العالى •• وقد بدأ هذا الاتجاه•• اتجاه ترك أبناء الحى السكنى فيه الى أحياء أخرى أكثر تقدما•• منذالقدم•• ويعتبر امتدادا للاتجاه العام الذى اجتاح هذا الحى فى العهود السابقة •• عندما وجدت رغبة التطلع الملحة عند بعض أبناء الحى ، ووجدت الفرص والامكانيات لديهم للتشبه بالطبقات الأعلى أو بالفئات الأعلى وبخاصة الطبقات أو الفئات التى كانت فى يديها الحكم والسلطان ••

ولا توجد بحى بولاق سوى مدرستين للحضانة : احداهما تتبع الكنيسة المرقصية ، والأخرى تتبع الكنيسة الأسقفية• وبه احدى عشرة مدرسة مرحلة أولى (بنين) ، وست مدارس مرحلة أولى (بنات) ، و ٢٩ مدرسة مرحلة أولى (مشتركة) • وتوجد ، أيضا ، بالحى أربع مدارس اعدادية عامة ، ومدرسة اعدادية صناعية، وثلاث مدارس ذات برنامج خاص، وخمس مدارس ايطالية • وتوجد ، كذلك ، مدرستان ثانويتان للبنات فقط ، ولا توجد مدرسة ثانوية عامة كاملة للبنين بل يوجد فصلان ثانويان فقط • وتوجد مدرستان ثانويتان صناعيتان كما يوجد معهدان عاليان للبنات ••

وبحى بولاق داران للسينما فقط •• هما : دار سينما على بابا ودار سينما فؤاد بشارع ٢٦ يوليو ، وهما من دور السينما من الدرجة الثالثة • ولا يوجد بالحى مسرح على الاطلاق • ويوجد بالحى ثلاثة أندية اجتماعية رياضية ثقافية منها اثنان تابعان لجمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق • ومع ذلك يوجد بالحى عدد هائل من المقاهى •• أغلبها مقسم ، من حيث روادها، حسب أنواع مهن سكان الحى •• فنجد ، مثلا ، مقهى المنجدين ومقهى آخر للقراء، وثالث للعربجية •• ونجد مقاهى أغلب روادها من عمال المؤسسات أو الشركات الحكومية •• ومقاهى أغلب روادها من صغار الموظفين والطلبة • ويلاحظ أن

أغلب أجهزة التليفزيون ، بالحى ، موجودة بعض المقاهى الرئيسية .. أو عند بائعى الحلوى وفى بعض المساكن التى تطل على شارع ٢٦ يوليو أو شارع كورنيش النيل ..

وشوارع حى بولاق منها الشوارع الرئيسية ومنها الشوارع غير الرئيسية.. ومن الأولى نجد شارع ٢٦ يوليو ويقطع جزءا من الحى حتى التقائه بشارع الجلاء .. ومنها شارع السبتية ، وشارع بولاق الجديد وبه نشاط تجارى ملحوظ ، ومنها شوارع تل النصر وسليمان الخادم وعشش النخل والصحافة والوابور الفرنساوى وسوق العصر ..

ومن شوارع حى بولاق غير الرئيسية ما يعتبر مجرد حوارى ودساكر أغلبها ضيق غير نظيف .. وتضاء بالفوانيس ليلا ، وبعضها أزقة مظلمة ومسدودة ، ونجد من هذه الأزقة ما يطلق عليه أسماء عطفة أو درب أو حوش ..

ومنازل حى بولاق لا يضاء معظمها بالكهرباء .. ومنها ما لم تدخله المياه (بالحى خمس حنفيات مياه عمومية) ولم يتصل بشبكة المجارى . والروائح الكريهة الخانقة تنبعث عادة حول هذه المنازل وتملأ جو الحى العام .. ويؤكد ذلك ما يلاحظه المار فى حوارى الحى وأزقته ليلا ، من البقايا الآدمية وغير الآدمية التى يتركها الكثير من أبناء الحى فى الطريق .. آملين فى أنها ستجف ، حتما ، عندما تطلع شمس النهار ! ..

ونتيجة حتمية لكل ذلك أو حتى لبعض ذلك نلاحظ انتشار البعوض والذباب فى حى بولاق .. وبالتالى نلاحظ انتشار الأمراض المتباينة فى محيط الأطفال والصبيان والشباب والشابات والرجال والنساء .. على السواء .

« المراجع والتعليقات »

١ - سليمان حزين : خطط الاصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى (حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية) ، بيروت بلبنان ، ١٩٤٩ ، صفحات ٢٤ - ٣٣ .

٢ - سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ٧ - ٩ .

٣ - خطط الاصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى .

- يلاحظ أن مجتمعنا المصرى فى ضوء تاريخه الطويل القائم على الأخذ والعطاء ، قد تأثر بالعالم المجاور بل والعالم البعيد وأثر فيهما . وقد ظهرت المؤثرات الخارجية فى هذا المجتمع وتركزت فى بعض جهاته على وجه الخصوص . فعلى حافة الدلتا ، مثلا ، التقت نظم البداوة ونظم الاستقرار ، وعلى الساحل الشمالى ظهرت المؤثرات البحرية التى بدأت بالاتصال بالعالم الاغريقى ، ثم تجددت فى العهد الحديث بالاتصال بالعالم الأوروبى والعالم الأميريكى والعالم الآسيوى .. والعالم الأفريقى .. وتسربت تلك المؤثرات من الساحل الى الداخل ، لا سيما فى المدن حيث التقت أنماط الثقافة العالمة بثقافة المجتمع المصرى . وحتى الريف المصرى الذى قد يبدو لأول وهلة بعيدا عن المؤثرات الأجنبية لم يكن ، على وجه الاطلاق ، فى يوم من الأيام ، بمعزل عن تلك المؤثرات ، حتى فى أيام الاغريق والرومان . وها هو يشارك الآن فى تلقى مؤثرات التجديد والاحتكاك بالعالم الخارجى احتكاكا يمس حياة الريفيين وفكرهم مساسا بالغا عميقا من بعض الوجوه .

٤ - المرجع السابق .

Tarditional Cultures. and The gmpact of Teehnological change,p.39.

- يلاحظ أن الباحث ج. ب. آدامز J_.B.Adames ، عندما وصف أثر الثورة الاجتماعية المصرية المعاصرة على احدى القرى المصرية التى درسها، ذكر أنه على الرغم من أن أهداف هذه الثورة لم تفهم فهما كاملا ، فان أهل القرية قد انقسموا الى جماعتين .. كل جماعة تكونت من بعض « الشلل ».. وقد قبلت احدى الجماعتين مقترحات الحكومة الثورية وأيدتها بقصد التغيير الى الأفضل .. أى تغيير الأساليب التقليدية فى القرية الى أساليب حديثة . أما الجماعة الأخرى فعلى الرغم من أنها قد تقبلت الثورة كأمر واقعى ، فقد عارضت التغييرات التى بدت لها وكأنها تهدد القيم والمؤسسات التقليدية . وبالتبعية تباينت آراء أعضاء « الشلل » فى كل من الجماعتين ، من حيث الدرجة ، حول المقترحات المعروضة من حيث انها مقترحات جذابة أو مهددة - وكذلك حول الأساليب التى تنجز بها هذه المقترحات أو تعارضها .. (انظر ج . ب آدامز فى مقاله : «Culture and conflict in an Egyptian village", American Anthropologist. 1957, 59 : 225-235.)

٦ - الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر : صفحتا ٨ - ٩ .

- يلاحظ أنه قد وجد فى حى بولاق بالقاهرة منزل تقيم فيه ١٧ أسرة .. أى نحو ٨٥ شخصا .. نساء ورجال وشبان وشابات وأطفال . ولا يوجد فى هذا المنزل سوى مرحاض واحد مشترك ، (انظر : سيد عويس : تقرير عن بحث ودراسة حالة موارد المياه وطرق صرفها فى حى بولاق ، جمعية الخدمات الاجتماعية للأحياء الوطنية ، ١٩٥١ ، صفحة ٢٤) .

٧ - سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ .

٨ - سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعارف المصرية ، ١٩٦٦ ، صفحة ١٥٣ .

٩ - مرقص سميكه ويسى عبد المسيح : فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطى والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والاسكندرية ، وأديرة القطر المصرى - القاهرة ، المطبعة الأميرية ، الجزء الأول ، ١٩٣٩ ، المقدمة .

١٠ - انظر الدراسة غير المنشورة : اللغة السرية فى محيط النشالين : اعداد أحمد حلمى زكريا ، واشراف سيد عويس ، ١٩٦٦ .

١١ - سيد عويس وحسن طه أبو الفضل : دراسة اجتماعية فى حى بولاق ، قسم البحوث والرعاية الاجتماعية ، جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

١٢ - فى عام ١٩٦٠ ، بلغ عدد سكان حى بولاق نحو ٢٠٢٠٢٣ نسمة ، ويلاحظ أن نسبة السكان المسلمين نحو ٩٣٪ ونسبة المسيحيين منهم نحو ٧٦ر٦٪ ، ونسبة الديانات الأخرى نحو ٢٤ر٠٪ ، ويلاحظ أن كثافة سكان هذا الحى من أكبر الكثافات فى محيط مدينة القاهرة فهى تبلغ ٣ر٧٤٨٢٣ نسمة فى الكيلو المربع ، فى حين أن كثافة مدينة القاهرة ٩ر١٥٦٣٣ نسمة فى الكيلو المربع .

١٣ - يلاحظ أنه اذا اعتبرنا أشباه الأميين هم الذين يقرأون فقط نجد أن نسبة الأميين وأشباه الأميين من الجنسين لسكان الحى من نفس العمر نحو ٦ر٦١٪ بدلا من نحو ٧ر٩١٪ ، وأن نسبة الأميين وأشباه الأميين من الذكور الى جملة الذكور فى الحى من نفس العمر نحو ٤٧٪ بدلا من نحو ٩ر٨٦٪ ، وأن نسبة الأميات وأشباه الأميات من الاناث الى جملة الاناث فى الحى من نفس العمر نحو ٧٧٪ بدلا من نحو ٧ر٩٣٪ . مع ملاحظة أن نسبة الأميين من الجنسين بمدينة القاهرة من نفس العمر هى نحو ٤ر٤٦٪ وأن نسبة الأميين وأشباه الأميين (الذين يقرأون فقط والذين يقرأون ويكتبون فقط) من الجنسين فى مدينة القاهرة من نفس العمر نحو ٦ر٧٩٪ ، وأن نسبة الأميين وأشباه الأميين (الذين يقرأون فقط) من الجنسين فى مدينة القاهرة من نفس العمر نحو ٧ر٤٧٪ .

الفصل الرابع

من قيمنا الاجتماعية ...

يتضمن الفصل الحالى الموضوعات الآتية :

١ ـ القيم الاجتماعية ..

٢ ـ من قيمنا الاجتماعية الايجابية ..

٣ ـ الصبر ..

٤ ـ التضحية ..

٥ ـ التعاون ..

٦ ـ العيش والملح ..

٧ ـ المجاملة ..

١ - القيم الاجتماعية ..

القيم الاجتماعية ، هى ، فى بساطة ، الأشياء ، سواء كانت حية أو غير حية أو انسانية أو صناعية أو غير مادية ، التى تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس ، مجتمعين أو موزعين . وتنبت هـذه القيمة ، عادة ، عن طريق الرأى الجمعى لهذه الجماعة ، أى أن هذه القيم لا يمكن أن تفرض ، من الخارج ، على الجماعة فرضا ، ولكنها تتولد من الظروف المعاشية التى تحياها الجماعة وتكون مقبولة .. ومعترفا بها .. عندها ..

ويلاحظ أن الأشياء المادية تمثل أنواعا متباينة من القيم .. ذلك لأن هذه الأشـياء هى ، فى الواقـع ، موضوع اهتمامات انسانية متباينة .. قد تكون اهتمامات مادية أو اقتصـادية أو معنوية . فقطعة الخشـب اذا صنعها نجـار وصارت مكتبا تمثل قيمة مادية .. أى تصبح ذات قيمة نفعية .. والمكتب ذاته كنتاج للعمل الانسانى يحتوى على قيمة اقتصادية ، واذا عالج قطعـة الخشب ذاتها فنان أصبحت قطعة فنية ذات قيمة جمالية . ونجد قطعة الخشب ، فى كل العلاقات السابقة ، ليست فقط شيئا ماديا بل ظاهرة اجتماعية كذلك .. أى أنها شيء ذو منفعة ، وسلعة ، ونتاج عمل فنى .. جميعا ، أى هى موضوع اهتمامات انسانية ..

ويلاحظ ، أيضا ، أن ظواهر الوعى الاجتماعى .. وتتمثل فى الأفكار لها كذلك قيم ، وعن طريقها يعبر الناس عن اهتماماتهم فى أسلوب ايديولوجى معين ، فأفكار الاشـتراكية فى مجتمعنا .. أفكار الكفاية والعدل والوسـائل التى تحققها .. تتضمن ، فى الواقع ، اهتمامات أصحاب المصالح الحقيقية من فئات الشعب العاملة ، كما تتضمن أعمالهم ورغباتهم وارادتهم .. فضلا عن الأهداف العملية لمنظمة الاتحاد الاشتراكى العربى التى تضمهم . ومن ثم نجد أن الأفكار الاشتراكية ، كهدف لأصحاب المصالح الحقيقية من أعضاء

مجتمعنا ، أو كموضوع آمالهم ، أو كحلم يهدى أعمالهم .. ، هى .. أى هذه الأفكار .. فى الواقع .. مثل عليا اجتماعية أو قيم من القيم المعنوية ..

وبالاضافة الى القيم المادية والاقتصادية والجمالية نجد ، أيضا ، القيم الأخلاقية والقانونية والسياسية والثقافية والتاريخية . ويلاحظ أن الأفعال التى تصدر عن أعضاء المجتمع أو التى تكون الظواهر الاجتماعية فيه ، قد تمثل قيم الخير الأخلاقية أو قيم الشر أو تمثل قيما ايجابية أو قيما سلبية .. أى أنها تكون أفعالا مقبولة ، اجتماعيا ، أو غير مقبولة . ونجد المجتمع .. أى مجتمع .. لكى يوجه أنماط سلوك أعضائه أو ينظم هذه الأنماط .. يخلق ، عادة ، جهازا من المفاهيم الأخلاقية والمثل العليا والمبادىء وأساليب تقييم هذه الأفعال ، وهذه كلها من قبيل القيم الأخلاقية (١) .

ومهما يكن من الأمر .. فكل شخص عادى، مهما كانت مكانته الاجتماعية، فى الواقع ، له جهاز معين من القيم الاجتماعية . يمثل، عنده ، أنبل الأمور.. وأقدس الأشياء .. ويبذل الشخص العادى فى الدفاع عن هذا الجهاز النفس والنفيس .. ، ومع ذلك فالقيم الاجتماعية غير ثابتة . أى أنها متطورة دائما.. متغيرة أبدا.. ولكن يلاحظ أن تطور القيم الاجتماعية عند الشخص.. أى شخص ، وتغيرها ، يحتاجان ، عند هذا الشخص ، الى استعداد لذلك .. وحتى اذا وجد هذا الاستعداد ، فان الحاجة الى الامكانيات التى تساعد على هذا التطور وهذا التغير ضرورة حيوية .. أى أن وجود الاستعداد مع عدم وجود الامكانيات لا جدوى منه ، ويمكن أن نقول ان العكس صحيح .. ، فالشعب المصرى العربى ، مثلا ، قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان فى ضوء ظروفه التاريخية القاسية ، بوجه عام ، يعيش على جهاز معين من القيم الاجتماعية . وكان هذا الشعب العظيم ، فى ضوء هذه الظروف الرهيبة ، قد اتخذ أساليب معينة للتصرف .. منها أن يشاهد الثقافات والقيم التى تمر عليه حينا بعد حين .. ، لم يغترف من احداها الا بقدر ضئيل .. كان مجرد

مشاهد في معظم الأحيان . وقد اضطرته المحن والبلايا التي عاشها أن يؤدى دور المشاهدة والانتظار حقبة طويلة من الدهر . لم يكن مستعدا لأن يتلاقى مع غاصبيه في شيء .. لا عن عجز .. ولكن كأسلوب اتخذه لنفسه وآمن بجدواه في ضوء تجاربه العديدة المريرة ، التي عاشها في مجتمعه القديم قدم الدهر المستمر استمرار الحياة . ولما بدا لهذا الشعب العريق الأصيل ، بعد الثورة ، أن الأمل الجديد في الخلاص متاح .. حاول ، مخلصا ، أن يهتدى بضوئه . ولما بدت له ، في هـذا الضوء ، ملامح طريقه السليم .. استلهم عناصر عراقته وأصالته ، في اصرار نادر ، ليجعل تصرفه ايجابيا ، أي ليجعل اتجاهات تصرفه على استعداد للتلاقي مع اتجاهات قادته .. أبنائه . ثم سارع، متفائلا ، الى بناء الامكانيات الضخمة التي تيسر تطوره ليستأنف أداء واجباته نحو الوطن العربي كله .. ونحو الانسانية جمعاء ، ونرى هذا الشعب العظيم، في الوقت الحاضر ، يستمر يفعل ذلك ، في ضوء هذا الأمل ، صابرا ، على الرغم من بعض المعوقات (٢) .

٢ - من قيمنا الاجتماعية الايجابية ..

ونعنى بقيمنا الاجتماعية الايجابية.. القيم البناءة التى تكون من وراء أفكار أعضاء مجتمعنا ومن وراء اتجاهاتهم ونظرتهم نحو الأمور والأشياء والأشخاص .. أى نحو الحياة التى يعيشونها ، أو التى يصنعونها ، أو التى يحاولون صنعها .. على السواء ..

وهى قيم بناءة لأنها تدعو الى الخير ولا تدعو الى الشر . ونعنى بالخير كل ما يعين على العمل الصالح من أجل الآخرين .. أى كل ما يعين على التغير الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم . ومن ثم فهى قيم حميدة تدعم ، ولا تزال ، الروح المعنوية فى صفوف أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ، وتثبت هذه الروح وتقويها ..

ويلاحظ أن هذه القيم شتى .. أى أن أنواعها عديدة .. منها قيم الصبر والمثابرة فى الكفاح الجماعى ، ومنها قيم الايمان بالنصر وتقوية العزائم ، ومنها قيم الاقبال على التطوع للجهاد ، ومنها قيم التدين والجهاد فى سبيل الله ، ومنها قيم الاتزان الانفعالى وقت الأزمات (الثبات وضبط النفس) ، ومنها قيم التضحية فى سبيل المجموع بالمال والجهد ، ومنها قيم أداء الواجب وتحمل المسئولية فى العمل الجماعى المشترك ، ومنها قيم الثقة بالنصر ، ومنها قيم التوكل المثمر المقترن بالسعى والعمل ، ومنها قيم التفاؤل والصبر على مزاولة المشاق ، ومنها قيم التمسك بالأخلاق والمثل العليا والاعتزاز بالوطن ، ومنها قيم الطاعة التلقائية للقوانين والتعليمات ، ومنها قيم الأخوة الوطنية والألفة والتماسك فى محيط المجتمع وجماعاته المختلفة ..

ويلاحظ ، أيضا ، أن مصادر هذه القيم الاجتماعية ، بأنواعها العديدة ، عديدة كذلك .. منها وأهمها التراث الدينى والتراث التاريخى ، ومنها التراث الأدبى والفنى ، ومنها الأمثال الشعبية سواء كان ذلك مكتوبا أو غير مكتوب يحيا فى نفوس أعضاء المجتمع (٣) ..

ويضاف الى القيم الاجتماعية السابقة ما أبرزه مجتمعنا المعاصر ، وهو يجدد نفسه ، من قيم اشتراكية جديدة •• منها القيم الديمقراطية السليمة ، وقيم تكافؤ الفرص ، وقيم احترام المكانة المكتسبة ، وقيم التفكير العلمى •• والعلم هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى •• فضلا عن قيم العمل المنتج•• الذى هو شرط الوجود الانسانى •• الخ (٤) •

ومهما يكن من الأمر •• فوجود القيم الاجتماعية الايجابية ، وحده ، لا يكفى • ان هذا الوجود ، تحت ظل المناخ الثقافى للمجتمع ، أمر ضرورى ، ولكن لابد من أن يستوعب أعضاء المجتمع هذه القيم ويتمثلوها لتصبح جزءا من كيان كل منهم • ولن يحدث ذلك بفرضها عليهم فرضا أو حتى بتلقينهم اياها •• أى لن يحدث ذلك آليا ، بل يجب أن تتهيأ الظروف الاجتماعية والمواقف الاجتماعية التى تيسر لأعضاء المجتمع أن يستوعبوا هذه القيم ويتمثلوها حتى تصبح جزءا من كيان كل منهم ، وذلك عن طريق المؤسسات الاجتماعية الأساسية فى المجتمع •• مثل الأسرة والمدرسة والمنظمة الدينية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والمنظمة السياسية وأجهزة الاعلام •• الخ•

والملاحظ أن القيم الاجتماعية ، ايجابية كانت أو سلبية ، تتطور وتتغير ، واذا بقيت بألفاظها فان معانيها فى ضوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع تتطور وتتغير كذلك • فقد يعنى لفظ المفهوم معنى معينا فى ضوء ظروف معينة •• وفى ضوء ظروف أخرى قد يعنى معنى آخر •• والأمثلة على ذلك عديدة •• وسنحاول ذكر بعض هذه الأمثلة فى الصفحات التالية ••

وخلاصة القول فاننا نجد أن القيم الاجتماعية ، عادة ، غير ثابتة •• أى أنها متطورة دائما •• متغيرة أبدا ، وحتى ان بقيت بألفاظها فان معانيها قد تتطور وتتغير ••

٦

٣ - الصبر ..

ان الصـــبر ، كقيمة اجتماعية ، يعنى ، فى بساطة ، حبس النفس عن الجزع . والصبر بهذا المعنى قيمة اجتماعية ايجابية . فالحياة الانسانية لاتخلو من الجزع . وهى ، كذلك ، لا تخلو من الطمأنينة ، وتوجد فيها العداوة كما توجد فيها المحبة ، والصراع بين هذا كله لا ينقطع ..

والشعب المصرى ، عـلى وجه العموم ، شعب صبور . فالملاحظ أن اسم « صابر » أو اسم « صبرى » يلقب به الكثيرون من أبنائه ، وأن اسم «صابرة» أو اسم « صـابرين » تلقب به الكثـيرات من بناته . واذا حـزن المصريون يصبرون .. واذا أحبوا تراهم ، كذلك ، يصبرون ، واذا غنوا تراهم يترنمون بالصبر .. وتجدهم ، وهم فى حالة المرض ، صابرين .. كما تجدهم ، وهم يعملون ، صابرين .. والأمهات فى معاملتهن لأبنائهن يصبرن .. والزوجات اذ يعاملهن الأزواج أو الآباء أو الاخوة تجدهن صابرات .. فالصبر أحسن دواء ، والصبر طيب وان كان مرا يجب أن يرضى به الناس ، والله يعوض صبرنا خيرا ..

والتراث الثقافى المصرى مملوء بالدعوة الى الصبر .. فآيات القرآن الكريم تتلألأ بآيات الصبر .. والأحاديث النبوية الشريفة تدعو الى الصبر.. والأمثلة الشعبية المصرية التى تتضمن الصبر عديدة ، ف « طولة البال تهد الجبال » و « طولة البال ما تخسرش » ، و « طول بالك على السخن تأكله بارد » ، و « الصبر مفتاح الفرج » ، و « ياشارى الخبر بفلوس بكره يبقى ببلاش » ، و « لا تغضب فالصبر جميل » ، و « اصبر على الجار السو يايرحل يايجيله داهيـة » ، و « مصـير السو ينسو » ، و « فى التأنى السـلامة وفى العجلة الندامة » ، و « امشى بالراحة توصل بدرى » . وما أكثر ما يردد أبناء مجتمعنا المعـاصر قولهم « ان الله مع الصـابرين » وما أكثر ما يؤكدون قولهم « اذا صبروا . . . . » (٥) .

وترى مفهوم « الصبر » مفهوما متغيرا حسب الظروف والأحوال . فهو ليس ، بالضرورة ، حبس النفس عن الجزع دائما . فقد يكون صبرا على الضيم ، وقد يكون صبرا على الاهانة ، وقد يكون اذعانا الى حد الذلة والضعة، وقد يكون صبرا على المشاق اللاانسانية ، وقد يكون صبرا على ضياع الحقوق. ومع ذلك فالصبر ، بكل هذه المعانى ، طيب . وان كان مرا يجب أن يرضى به الناس .. واذا كنت سندانا فاصبر وان كنت مطرقة فأوجع ..

والملاحظ أنه اذا كان المصريون ، على وجه العموم ، يصبرون ألوان الصبر العديدة .. فالصبر ، بألوانه العديدة ، لا يقف فى سبيلهم أبدا اذا مست أعراضهم ، أى أن داعى الصبر لا مكان له عندهم اذا امتهن شخص كرامة أعراضهم .. مهما كان .. ارتفاع مكانة هذا الشخص الاجتماعية . فالمصرى ، لا يهاب أن يتساوى مع أى شخص فى مسائل النساء .. وحينئذ لا يكون هناك قوى أو ضعيف .. ثرى أو فقير .. صابر أو متوقع صبر ، لا تستطيع السلطة ولا يستطيع المال أن يفعلا شيئا ، ولا يستطيع المصرى الذى يتسم ، فى معظم أحواله ، بالصبر .. أن يكون صابرا ، ولا يستطيع ذو المكانة الاجتماعية المرتفعة الذى يتوقع ، فى معظم الأحوال ، الصبر من الفقراء والضعفاء .. أن يفعل ذلك (٦) .

واذا كنا ندعو الى الصبر .. فاننا ندعو الى الصبر الايجابى .. الصبر الذى يرى ، موضوعيا ، ان دوام الحال من المحال ، و « ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١٣ م الرعد ١١) ، وأن تغيير الحال المقصود أمر لا جدال فيه .. أى الصبر الذى يدعو الى حبس النفس عن الجزع .. على اعتبار أن الجزع أمر سلبى . والصبر الايجابى لا يمكن أن يكون دعوة الى اهدار الكرامة الانسانية مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحوال. والكرامة الانسانية لا يمكن أن تكون كرامة الأعراض فقط .. فهى أشمل من ذلك وأعمق . والكرامة الانسانية لا يمكن أن تكون ، فحسب ، عن طريق القاء

المواعظ أو الترنم بالأغانى أو التشدق بالأمثال •• وانما تكون الكرامة الانسانية فى الحياة المعاشة •• فاذا كانت هذه الحياة كريمة وجدت الكرامة الانسانية عند الناس • والحياة الكريمة تعنى أشياء كثيرة كما تعنى أمورا عديدة، تعنى سيادة الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص •• وتعنى ممارسة الديمقراطية بأنماطها •• وتعنى احقاق الحق أو سيادة القانون•• وتعنى المشاركةالاجتماعية الفعالة التى تخلق ، بلا ادعاء ، الشعور بالانتماء والكفالة الاجتماعية ووضوح الأدوار الاجتماعية والثقة فى الناس ••

٤ - التضحية ..

التضحية هي قيمة اجتماعية انسانية .. وهي تعني البذل والعطاء في سبيل الآخرين .. ويكون هذا البذل وهذا العطاء في ضوء ضرورة الحياة الملحة أو في ضوء بعض الأفكار السامية أو المبادىء أو المثل العليا .. أو في ضوء مايتوهم أن تكون أفكارا سامية أو أن تكون مبادىء أو أن تكون مثلا عليا . وموضوعات البذل والعطاء عديدة .. منها النفس .. ومنها المال بكل صوره .. ومنها الصحة .. ومنها العمل الانساني .. ومنها الوقت .. ومنها الراحة .. ومنها السلطة والسلطان . والبذل والعطاء قد يكونان لكل الناس .. أو يكونان لشعب من الشعوب .. أو يكونان لجماعة من الجماعات .. أو يكونان لشخص من الأشخاص . والبذل والعطاء ، قد يتمان في كل الأوقات .. أو في أوقات الأزمات العامة .. أو في أوقات الأزمات الشخصية ..

والتضحية ، كقيمة اجتماعية انسانية ، تهدف الى الايثار لا الى الاثرة .. أي أن الأصل فيها أن تكون ممارسة للبذل وللعطاء لأنها ضرورة اجتماعية لا لمجرد منفعة شخصية . وتعني هذه الضرورة الاجتماعية ، أولا وقبل كل شيء ، مصلحة المجتمع . وذلك بالعمل في سبيل تحقيق سلامته وتماسكه ، وفي سبيل ضرب المثل العليا السليمة لأعضائه . فهي ، في الواقع ، كأنها الهالة أو القبس ، تتلألأ ، دائما ، في المجتمع السليم .. لكي يهتدي بها أعضاء هذا المجتمع ويعملوا في ضوئها باذلين معطين غير مفرطين في حقوقه عليهم كلما دعت الضرورة الاجتماعية الى ذلك ..

ونحن المصريين أعضاء شعب عريق .. نضحي كثيرا .. ونهب كثيرا .. واجه أجدادنا وآباؤنا نصيب الأسد من المعاناة المستمرة ولكنهم ثبتوا أمام العاديات والمحن ثبات تربة مصر ووحدتها .. كانوا ، في العصور الماضية ، يهبون أكثر مما يأخذون .. وربما كانوا يهبون كل شيء ولايأخذون شيئاء فمصرنا لايمكن أن تكون هبة النيل فحسب .. بل هي .. أيضا .. هبة تضحيات أجدادنا

وآباؤنا الأقدمين .. الفلاحين.. ، عاشوا لها وبها.. واستمروا يصنعون حياتهم ويشكلونها على الرغم من العاديات ، وعلى الرغم من المحن . كانوا على الدوام يجدون أنفسهم موضوعين بين الأرض وأربابها من الحكام الغاصبين أو الاقطاعيين المستبدين ، وكأنهم بين المطرقة والسندال . ولكنهم مع ذلك كانوا أقرب الى الأرض الطيبة منهم الى أربابها الغاصبين المستبدين ، وكانت ضربات هؤلاء الأرباب بالمطرقة تزيد التصاقهم بالأرض الطيبة **(٧)** .

وممارسة قيمة التضحية بأنماطها عند أعضاء المجتمع المصرى المعاصر تبدو واضحة كل الوضوح فى تصرفاتهم وفى علاقاتهم الاجتماعية الخاصة والعامة . تجد هذه الممارسة فى محيط الأسرة أو العائلة .. فالآباء ومن فى حكمهم يضحون والأمهات ومن فى حكمهن يضحين فى سبيل الأبناء . ونجدها فى محيط الجماعات .. السوية وغير السوية .. وفى مواقع العمل .. فى الأوقات العادية وعند الملمات .. على السواء . وأعياد المصريين كثيرة وقد خصص بعضها رمزا للتضحية .. مثل عيد الأضحى عند المسلمين .. وعيد القيامة عند المسيحيين **(٨)** .

ان تراثنا الثقافى مملوء بقيمة التضحية بأنماطها .. وباختلاف موضوعاتها . تجد ذلك ، على المستوى النظرى ، فى كتبنا المقدسة .. كما نجده ، فى الأمثلة الواقعية .. ونجده كذلك فى الأحاديث النبوية الشريفة والأمثال الشعبية ..

والملاحظ اننا اذ نقول « من خدم الناس صارت الناس خدامه » و « كلوه يروح فرقوه يفوح » و « سيد القوم أشقاهم » .. نقول ، أيضا ، « اذا جالك الهم طوفان حط ولدك تحت رجليك » .. و نقول ، كذلك ، « اتق شر من أحسنت اليه » ..

واذا كان أجدادنا وآباؤنا قد ضحوا ، فى الماضى ، فى سبيل ضرورة الحياة الملحة أحيانا .. أو فى سبيل ما كانوا يتوهمون من أفكار سامية أو مبادىء أو مثل عليا أحيانا أخرى .. هى ، فى الواقع ، أفكار ومبادىء ومثل عليا لم تكن

تهدف الا الى تحقيق مصالح الغاصبين والمستبدين - فنحن اليوم .. نضحى ، أو يجب أن نضحى ، فى سبيل بناء المجتمع الجديد .. أى المجتمع الذى أصبح، بحق ، مجتمعنا .. وسيصبح ، بحق ، مجتمع أبنائنا وأحفادنا فى المستقبل ، وأصبحنا فيه ، بحق ، كما سيصبح فيه ابناؤنا وأحفادنا ، بحق ، أصـــحاب المصالح الحقيقية . انا نضحى ، اليوم ، فى ضوء أفكار جديدة وفى ضوء مبادىء جديدة وفى ضوء مثل عليا جديدة .. هى أفكار الاشتراكية ومبادئها ومثلها العليا ..

٥ — التعاون ..

ان قيمة التعاون تعنى أن يتعاون الناس ... أى أن يعين بعضهم بعضا ، أى أن العون هو المساعدة المتبادلة..أى التى يتوقعها الناس بعضهم من بعض.واذا كانت قيمة التعاون تتضمن وجود ناس .. فانها تعنى وجود علاقات اجتماعية معينة بينهم .. تعكس تآزرهم وتضافرهم وتكافلهم ..

والتعاون ، كقيمة اجتماعية ، بهذا المعنى ، قد يكون بين أنداد .. وقد يكون بين أقوياء وضعفاء .. وقد يكون بين كبار وبين من هم أصغر منهم سنا .. وقد يكون بين شخصين أو بين جماعتين أو يكون سمة من سمات المجتمع ككل .

والملاحظ أن التعاون يقوى فى مجتمع ما فى ظروف معينة .. وهو يضعف فى نفس المجتمع فى ظروف أخرى . وكما توجد المجتمعات المتعاونة توجد كذلك المجتمعات الفردية .. وكما توجد الجماعات الفردية .. يوجد الأشخاص الفرديون . ان روح المشاركة الاجتماعية فى محيط أعضاء المجتمع هى روح التعاون بينهم ، وان الفردية اذا شاعت بين أعضاء المجتمع تضاءلت روح التعاون بينهم أو تصارعت معها ..

ومهما يكن من الأمر .. فان الظروف الاجتماعية هى التى تخلق التعاون بين الناس أو تشيع الفردية بينهم . والملاحظ أن من نظم مجتمعنا المصرى القديمة الأصيلة روح التعاون والتضامن بين سكان القرية المصرية التى نشأت، كما سبق أن أوضحنا ، على كومة من التراب يتعاون أهل القرية جميعا على رفعها فوق مستوى الفيضان ، كما يتعاونون فى المحافظة عليها وفى اقامة الجسور حول الزراعة من حولها وترتيب المواصلات المائية بين القرية وما جاورها ابان ارتفاع الماء وغير ذلك من المرافق التعاونية التى عاشت بها القرية على الزمن آلاف السنين . وعلى الرغم مما قد يبدو من النظرة السطحية أن أهل القرى بعامة .. وأهل القرى المصرية بخاصة ، يتعاونون اجتماعيا عنـد أى تهديد خارجى أو لتحقيق غرض عام .. أو أنهم يتعاونون لأن فى الاتحاد قوة ..

فانه من الواضح أن القرويين أشخاص شكاكون وقد يتلاعب فيما بينهم الحقد والحسـد .. وان التعـاون بينهم لا يأتى الا عند الضرورة الاجتماعيـة القصوى .. (٩) .

ومع ذلك فمما لاشك فيه أن التعاون كقيمة اجتماعية وجدت فى مجتمعنا المصرى كقيمة قديمة أصيلة .. وأنه من الممكن أن نعوض القرية المصرية فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر الجديدة وفى ضوء تراثه الثقافى الذى يتلألأ بالدعوة الى التعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ..

والملاحظ أن المجتمع المصرى المعاصر كان قبل ثورة ١٩٥٢ مجتمعا اقطاعيا شبه رأس مالى . واذا كانت المجتمعات الرأسمالية هى ، فى حقيقـة الأمر ، المجتمعات الفردية ، فان مجتمعنا المعاصر لم يكد يدخل فى مرحلة الرأسمالية حتى ثار ثورته العارمة وراح يبنى المجتمع الجديد فى الوقت الحاضر ، دون أن تشوبه شائبة الفردية وان مسته ، فى بعض قطاعاته ، مسا خفيفا ..

والمجتمع الجديد هو مجتمع الاشتراكية .. أى مجتمع التعاون فى سبيل المجموع .. التعاون حتى تتحقق الكفاية والعدالة لأعضاء المجتمـع جميعا . والمجتمع الجديد فى ضوء نظمه ييسر سبل التعاون ، أو يجب أن يفعل ذلك ، بين أعضائه حتى يستطيعوا أن ينالوا حقوقهم وأن يؤدوا أدوارهم الاجتماعية كما يتوقعها هذا المجتمع منهم فى ضوء قيمه ومبادئه ومثله العليا ..

والقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .. والأمثال المصرية الشعبية تتضمن العديد من القيم التعاونية الرائعة .. والأمثلة على ذلك لا تخفى علـى أحد ..

ونحن نقول « ايد لوحدها ما تسقفش » ونقول « ايد على ايد تساعد » ونقول « الناس بالناس والناس بالله » ولكننا نقول كذلك « جيتك ياعبد المعين تعينى لقيتك ياعبد المعين تتعـان » .. و « معاكم معاكم .. عليكم عليكم » و « بدل ما أقول للعبد ياسيدى أقضى حاجتى بايدى » .

٦ - العيش والملح .. ..

تلعب قيمة « العيش والملح » فى محيط أعضاء مجتمعنا المعاصر ، دورا كبيرا .. فهى توجد من وراء العديد من تصرفاتنا .. فى محيط العمل .. وفى محيط الأسرة .. وفى محيط علاقاتنا الاجتماعية العريضة .. على السواء . ان قيمة « العيش والملح » ، كقيمة اجتماعية ، تربط أعضاء مجتمعنا برباط وثيق .. رباط اجتماعى ثقافى وثيق .. ، وقيمة « العيش والملح » ، كقيمة اجتماعية ، تعنى ، فى الواقع ، قداسة هذا الرباط .. وتعنى التسامح البرئ .. وتعنى الصفح والغفران..وتعنى التآزر..كما تعنى نمطا من أنماط التكافل وتبديد بعض عوامل الخيانة ..

أى أننا نجد فى مجتمعنا أن مجرد أكل « العيش والملح » بين أشخاص .. أو جماعات .. تترتب عليه حقوق اجتماعية معينة وواجبات اجتماعية معينة . والملاحظ أنه لا يخلو طعام مصرى من « العيش والملح » ، وأن « العيش » مجرد العيش يرمز الى شئ مقدس ، وأن « الملح » مجرد الملح .. يرمز الى نفس الشئ . ، وأن « العيش والملح » معا .. يرمزان الى نفس الشئ .. ، وأن هذا الشئ هو الحياة.. لأن «العيش والملح» ، كرمز ، يعتبران قواما للحياة.. ، وأنه بغيرهما ، كرمز ، لا توجد الحياة .. وأن الحياة أعظم شئ فى الوجود.. وأن الحياة خير من الموت .. وأن الحى أفضل من الميت . « آباؤنا أكلوا المن كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا » (يو ٦ : ٣١) ، و «أخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم .. اصنعوا هذا لذكرى » (لو ٢٢ : ١٩) ، « فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما » (لو ٢٤ : ٣٠) ، « وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائما » (خر ٢٥ : ٣٠) ، « فصنع لهما ضيافة وخبز فطيرا فأكلا » (تك ١٩ : ٣) .

ومع ذلك فنحن ، على وجه العموم ، قوم لا نأكل حتى نجوع .. واذا أكلنا لا نشبع ، ونرى أنه يكفى ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، ونؤكد فى أحاديثنا

أن الجوع صحة •• واتخذنا ، كعبادة ، الصيام في أيام معدودات منهجا لتقويم النفس • والنفس ، عندنا ، أمارة بالسوء •• وهي اللوامة •• أي كثيرة اللوم على صاحبها بعد الوقوع في المخالفة •• وهي الملهمة التي عرفت فجورها وتقواها •• وهي المطمئنة والراضية والمرضية وقد تكون الكاملة ، ومقامها مقام تجليات الأسماء والصفات ، فهي بمعالي الفضائل والفواضل حافلة • وذلك أنها فوق الفوق • ومعارفها في نهاية تمام الشروق (١٠) • وفي أقوالنا نرى أن نمشي أمام أعدائنا « معرشين » ولا نمشي أمامهم «مكرشين»•• أي متخومين••، ف « لقمة هنية تكفي مية » و « بعد ما فات اللسان يبقى نتن » ••

ومع ذلك ، أيضا ، تجدنا نحتفي بالأكل •• فله ، عندنا ، مواسم ، أي أننا نأكل أنواعا معينة من الطعام في خلال الأعياد •• وفي خلال الحفلات •• أسرية كانت أو قومية ، نأكل في شم النسيم ، مثلا ، « الفسيخ » كما نأكل « البصل » •• وفي عيد الأضحى نأكل « اللحم » كما نأكل « الفتة » ، وفي عيد الفطر نأكل « السمك » كما نأكل « الكعك » • وعندما نحزن نأكل أنواعا بذاتها ، عند وفاة الأعزاء •• نأكل « الفتة » مثلا • ونمتنع ، في هذه المناسبة، عن أكل وجبات معينة •• فلا نأكل ، مثلا ، « السمك » ولا « الفسيخ » ، ولا « الكسكسي » ، ولا نأكل « الكحك » ولا « الحلاوة المفتقة » ، ولا نأكل « الملوخية الخضراء » ولا « المحشي » ••

وفي ضوء تراثنا الثقافي •• يلعب الطعام دورا في نظرتنا نحو الحياة•• عندما لا نحظى ببعض ما نستحق نبرر ذلك بقولنا « تكون في فمك وتقسم لغيرك » ، وعندما نؤكد ضرورة احترام المتخصصين نقول « ادى العيش لخبازه ولو يأكل نصفه » ، واذا دعونا الى الصبر أو دعونا الى التأني وعدم العجلة •• نقول « طول بالك على السخن تاكله بارد » •• ولعل القارىء أن يلاحظ أن هذا المثل بمعناه الحرفي يدعو في ضوء ثقافة مجتمعنا ، على وجه العموم ، نحو تفضيل الأكل البارد على الأكل الساخن على عكس

ما يحدث فى بعض المجتمعات الأخرى التى يفضل أعضاؤها الأكل الساخن عادة ، واذا سخرنا من أحلامنا الواقعية أو غير الواقعية نردد « الجوعان يحلم بسوق العيش » ، واذا حاولنا أن نؤكد ذاتيتنا أو مصلحتنا أو حتى فرديتنا .. ننصح قائلين « اللى ياكل على ضرسه ينفع نفسه » ، واذا غضبنا من صديق أو قريب نزمجر قائلين « يخونه العيش والملح » ، وحتى اذا أبرزنا ضرورة التعاون والتآزر أو نمطا من أنماط التكافل نبرر ذلك بقولنا « اللى ياكل عيش النصرانى يضرب بسيفه » ، واذا أبرزنا تسامحا مع شخص معين أو مع أشخاص معينين نقول « ده برضه عيش وملح » ، والملاحظ أن العديد من أعضاء مجتمعنا يحلفون بـ « العيش والملح » حسما للأمور بينهم أو حسما للخلافات .. ان وجدت الخلافات .. بينهم . والأم الحانية تجوع ليأكل ولدها .. ولسان حالها يقول « اللى يدى ابنى بلحة تنزل حلاوتها فى بطنى»، وتجوع الحرة ولا تأكل بثديها ..

ولقمة العيش .. قد تكون مجرد لقمة بمعناها المادى أى مجرد « العيش والملح » ، ولكن هذا المفهوم يستخدم ، أحيانا ، بمعنى العمل الذى يقوم الشخص منا به ويقتات منه .. أو بمعنى مصدر القوت نفسه أحيانا أخرى . ومن أجل لقمة العيش يصبر الكثيرون منا على الضيم وعلى الذل .. أو على عدم الانصاف والعدالة .. ، نلاحظ هذا فى بعض أماكن العمل .. أو المؤسسات . وقد لاحظ الكاتب فى محيط بعض النساء المصريات .. أنهن ، فى سبيل لقمة العيش ، يصبرون على معاملة أزواجهن القاسية ، فقد يضربوهن .. أو يسبونهن .. أو يهدرون كرامتهن ، ومع ذلك فهن يصبرن من أجل لقمة العيش .. « لو كان لك عند الكلب حاجة قول له ياسيدى » و « يابخت من بات مغلوب ولا بات غالب » و « عيش جبان وموت مستور » و « الايد قصيرة والعين بصيرة » و « سيدى وسيد أجدادى اللى يشيل همى وهم أولادى » . وفى سبيل لقمة العيش قد ترتكب ، فى بعض الأحيان ، جرائم . ان حرمان شخص ما من عمله ، مثلا ، أو من مصدر قوته الوحيد .. أى من لقمة العيش ..

يعنى ، فى معظم الأحيان ، خراب بيته •• واحساسه بالضياع « ياواخد قوتى ياناوى على موتى » • وخراب البيوت والاحساس بالضياع •• قد يكونان من العوامل التى تدفع هذا الشخص الى أن يعمل أعمالا غير سوية •• قد يكون منها ارتكاب أنماطا معينة من الجرائم أو من قبيل الجرائم ••

واذا كان من نتائج حرمان الشخص منا من لقمة العيش •• أى من مصدر قوته الوحيد ، بعض النتائج السابقة •• فانه فى ضوء تراثنا نجد ما يخفف آثار هذه النتائج ووقعها على نفس المحروم •• أو نجد ما يحيى الأمل البراق فى نفسه •• الأمل فى حياته من جديد •• أو الأمل فى تجديد هذه الحياة• فمهما يكن من الأمر فـ « اللى من نصيبك يصيبك » ، و « قسمتك جت كده بختك أجيبه منين » و « من اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع » و « انت تريد وأنا أريد والله يفعل مايريد » و « ماتعتل هم الا وربك أتم » •• وعلى كل حال فعلى العبد أن يسعى « اسعى ياعبد وأنا أعينك » •• واذا كان الصبر جميلا فالصبر له حدود « ألحس مسنى وأبات مهنى ولا كبابك اللى قتلنى» ••

ومن الملاحظ أن لفظ الملح أو بعض مشتقاته يوجد فى الكثير من التعبيرات الشعبية المتداولة • فنحن نجد ، مثلا ، تعبير « ياشـيخ اتملح » ، وهو تعبير يستخدمه الكثيرون من أعضاء مجتمعنا المعاصر بقصد تنبيه الشخص المخاطب ليكون شخصا مليحا •• أى ليكون شخصا ظريفا •• والملاحظ ، أيضا ، أن الطعام الذى لا يوجـد فيه الملـح •• هو طعـام ، كما يقال ، « عادب » •• لا يستحسن أكلـه •• عـلى عكس الطعام الذى يكون فيه الملـح أكثـر من الضرورى •• فهو ، كما يقال ، طعام « حادق » • والملاحظ ، كذلك ، أنه لا صلة للتعبير الأخير بالتعبير الشعبى « الحـدق » •• أى المـاهر ، أو التعبير الشعبى « الحداقة » •• أى المهارة ، فالتعبيران الأخيران من مشتقات «الحذق» و « الحذاقة » ، وقد تكون صلة تعبير « حادق » أقرب الى تعبير « حذق » بمعنى حمض فهو « حاذق » ••

ويتصل بلفظ الملح كذلك ما يحدث عندما يفقد أحدنا شيئا ثمينا أو شيئا غير ثمين •• ثم يجد فى البحث عن هذا الشىء فلا يجده •• فيقول عندئذ أنه ضاع وكأنه « فص ملح وداب » • ويحدث نفس الشىء عند اختفاء شخص مطلوب اذا لم تسفر محاولات العثور عليه عن وجوده •• أى يقول الشخص الذى يبحث عن الشخص المختفى ، دون جدوى ، نفس العبارة •• أى أن الشخص اختفى وكأنه « فص ملح وداب » ••

والملح له صلة وثيقة ، فى بعض الأحيان ، بموضوع النظرة الحاسدة • فهو •• أى الملح •• يرش ، وهو حصى ، على العروس عند زفافها •• أو يوضع فى المبخرة الموقدة •• وقاية من شر عين الحسود ، و « حصوة فى عين اللى ما يصلى على النبى » ••

٧ ـ المجاملة ٠٠ ٠٠

تعنى قيمة « المجاملة » ، ببساطة ، المعاملة بالجميل ٠٠ أى معاملة الناس بعضهم البعض بالجميل ٠ فالملاحظ أن الناس فى بعض المجتمعات الانسانية اذ يعاملون بعضهم البعض ٠٠ فى مجالات اجتماعية معينة ٠٠ تكون من وراء معاملاتهم ، عادة ، قيمة معينة ٠٠ هى قيمة الاعتراف بالجميل ٠٠ أو توقع أداء الجميل من الآخرين ٠ الأقرباء ، فى ضوء هذا الاعتراف بالجميل أو توقع أدائه من الآخرين ، يجاملون بعضهم البعض ٠٠ وأهل القرية الواحدة أو الحى الواحد يفعلون ذلك ٠٠ والجيران والأصدقاء والزملاء يفعلون ذلك ٠٠ وأصحاب السلطان والمستضعفون ٠٠ والرؤساء والمرؤوسون ومن فى حكمهم وكل من يعيش فى علاقات اجتماعية وثيقة يفعلون ذلك ٠٠

والملاحظ أن مجالات المعاملة بالجميل ٠٠ أى التعامل الاجتماعى ، فى ضوء قيمة الاعتراف بالجميل أو توقع أدائه من الآخرين ، عديدة ٠٠ ذلك لأن التعامل الاجتماعى أنماطه عديدة كذلك ٠ فهو ٠٠ أى هذا التعامل الاجتماعى ٠٠ موجود ، حتما ، فى البيع وفى الشراء ٠٠ وفى الزواج ٠٠ وفى محاولات كسب العيش ٠٠ وفى ساحات القضاء ٠٠ وفى مواقع العمل بأنماطها ٠٠ وفى معارك الانتخابات بنارها ونورها ٠ والتعامل الاجتماعى ، بأنماطه العديدة ، يكون ، أيضا ، فى الأفراح وفى الأتراح ، وفى الهزيمة وفى الانتصار ، وفى النجاح وفى الفشل ٠٠ ويكون ، كذلك ، فى الحب وفى العداوة وفى عمل الخير وفى فعل الشر على السواء ٠ أى أن التعامل الاجتماعى بين الناس يتضمن ، فى الواقع ، كل علاقات الناس بعضهم مع بعض منذ أن يدخلوا فى هذه العلاقات حتى تنقطع ، لسبب أو لآخر ، هذه العلاقات ٠٠

وأساليب المجاملات عديدة ٠ وهى تعكس المستوى الاجتماعى الثقافى للمجتمع الذى توجد فيه وتترعرع ٠ وقد تكون أساليب تعنى بالمضمون أكثر مما تعنى بالشكل ٠٠ أو أساليب تعنى بالشكل أكثر مما تعنى بالمضمون ٠٠ أو أساليب تعنى بالمضمون وبالشكل معا ٠ وقد تكلف هذه الأساليب الأموال الطائلة فى

بعض الأحيان . واذا لم يكن ثمن المجاملات ماديا .. قد يكون وقتا .. وقد يكون راحة نفسية أو راحة جسمية .

والملاحظ أن أهم أساليب المجاملات هي أساليب اكرام الضيف واعطاء الهدايا أو دفع « النقوط » . وقد تتضمن ، أيضا ، العزاء والزيارة وارسال الرسائل أو البرقيات في المناسبات . وأساليب « المحسوبية » هي بعض أساليب المجاملات .. وهذه الأساليب توجد في الكثير من المجاملات وبخاصة تلك التي تلعب فيها السلطة دورا هاما أو دورا حاسما ..

والملاحظ أن قيمة المجاملة بمعنى المعاملة بالجميل قيمة سوية . فالاعتراف بالجميل موضوع انساني محبب .. وتوقع أداء الجميل من الآخرين ييسر التكافل بين الناس .. وفضلا عن ذلك فان مجاملة الأقوياء وذوي السلطان للمستضعفين ، في الحق ، تعني العمل الصالح . ومع ذلك نجد أن قيمة المجاملة قد تنبت وتترعرع في المجتمع حيث توجد العصبيات وحيث توجد ألوانا معينة من التعصب ، أو حيث تكون الثقة فيالعدالة واهية ويكون سلطان القانون فيه ضعيفا ، أو حيث تفتقد فيه الروح الديمقراطية بأنماطها . ونلاحظ أن قيمة المجاملة اذ تنبت وتترعرع في هذا المجتمع تعني معنى آخر غير سوي .. وتصبح شرا بدلا من أن تكون خيرا . ومهما يكن منالأمر.. فان قيمة المجاملة ، ككل قيمة اجتماعية أو كل شيء آخر ، لا يمكن أن تكون خيرا مطلقا .. ولا يمكن أن تكون شرا مطلقا كذلك.. وهي خير ، حتما ، طالما كان ضررها أقل من نفعها . وهي خير ، حتما ، اذا مارسها الناس .. أعضاء المجتمع .. أو أعضاء الجماعات .. اذا كانوا لايهدفون من ممارستها مكاسب شخصية معينة على حساب حقوق الآخرين . وهي خير ، حتما ، في هذا الضوء .. اذا لم يكن لها بديل أو كانت ممارستها الصحية مستطاعة ، أي أن قيمة المجاملة تكون قيمة سوية في ضوء التكافل لا التعصب ، وفي ضوء ضمان الثقة في العدالة وسيادة القانون ، وفي ضوء انتشار الروح

الديمقراطية بأنماطها وتأكيد هذه الروح واحترامها ..

والملاحظ أن قيمة المجاملة موجودة فى مجتمعنا المصرى المعاصر . وهى موجودة بمعناها السوى وبمعناها غير السوى على السواء . ولعل القارىء أن يعرف مثل الكاتب ، وربما أكثر من الكاتب ، مجالات ممارسة هذه القيمة غير السوية فى مجتمعنا . ان هذه المجالات عديدة .. مداها يتسع ويتسع عبر الحياة .. منذ لحظة الميلاد .. وحتى الوفاة .. وبعد الوفاة .. وهذه المجالات توجد فى محيط المستضعفين وغير المستضعفين من الناس . وهى توجد أكثر فى محيط المستضعفين منهم . فالمستضعفون من الناس أكثر اعترافا بالجميل من الأقوياء .. لأن الأخيرين يتوقعون ، عادة ، أداء الجميل لهم ولا ينتظر منهم أحد الاعتراف به . وتتعدد مجالات ممارسة قيمة المجاملة فى مجتمعنا فى الريف أكثر مما تتعدد فى الحضر . ذلك لأن معظم أهل الريف ، بالاضافة الى عوامل أخرى ، من المستضعفين ..

ولعل القارىء ، أيضا ، أن يعرف أساليب ممارسة قيمة المجاملة فى مجتمعنا مثل الكاتب وربما يعرف عنها أكثر من الكاتب . ان هذه الأساليب عديدة .. لأن مجالات ممارسة قيمة المجاملة عندنا ومناسباتها عديدة كذلك. وما أفدح الثمن الذى يدفعه الكثير منا على مذبح قيمة المجاملة (فالمال بكل صوره يضيع ، فى معظم الأحيان ، هباء .. والوقت المسفوك فى سبيل هذه القيمة غزير وكثير .. وآثار كل ذلك تجلب التعب النفسى والارهاق الجسمى وألوانا عديدة من التعاسة .. والمجاملة بأساليبها وبخاصة ما يتصل منها بـ « المحسوبية » تعنى ، فى الواقع ، اهدار حقوق بعض الناس وضياعها واعطائها لغير مستحقيها ..

ولعل دراسة قيمة المجاملة فى مجتمعنا المعاصر ، فى الوقت الحاضر ، أن تكون مسألة بالغة الأهمية . ان التعرف الموضوعى على اتجاهات أعضاء

مجتمعنا نحو هذه القيمة ، وعلى معناها عندهم •• ومجالاتها •• وأساليبها••
أصبح فى ضوء ظروفنا الحالية •• ظروف بناء المجتمع الجديد •• المجتمع
الاشتراكى •• أمرا حيويا وضروريا ، لأن قيمة المجاملة عندنا تملأ المنـاخ
الثقافى لمجتمعنا المعاصر لا تزال • ونحن نرى أعضاء مجتمعنا ، فى كل يوم،
يسلكون أنماطا معينة من السلوك فى ضوء هذه القيمة •• ترى الواحد منا
يقول ان فلانا « جميله عـلى راسى » أو يقول شخص عن شخص آخـر ،
مادحا ، انه « صاحب جمـايل » ، أو يقول عنه « لو قيدنا صـوابعنا العشرة
شمع مانقدرش ننسى جمـايله » • وأعضاء شعبنا اذ يقولون مترنمين « من
قدم السبت يلقى الحد قدامه » يقولون مترنمين كذلك « اطعم الفم تستحى
العين » ••

« المراجع والتعليقات »

١ -

— M. Rosenthal and P. Yudin, «A Dictionary of philosophy.»Progress Publishers, Moscow, 1967, P. 471.

٢ - سيد عويس : مذكرات يوغسلافية ، انطباعات وحقائق وآراء - مكتبة القاهر الحديثة ، ١٩٦٤ ، صفحتا ١٠٨ - ١٠٩ .

- يلاحظ أن المجتمع المصرى ، فى ضوء تاريخه الطويل ، كان يأخذ ثقافات جديدة وكان يعطى ثقافاته أو بعض عناصرها لغيره من المجتمعات .. ولكن يلاحظ ، أيضا ، فى بعض الفترات ، أن المجتمع المصرى كان فى شخص الملايين من جماهيره العريضة فى ضوء عمليات التثقيف التى كانت تحدث عن طريق الاحتكاك الثقافى .. يبدو وكأنه منعزل ثقافيا .. أى كان يؤدى ، فى معظم الأحيان ، دور المشاهد أو المنتظر ، يدل على ذلك أمور عديدة .. منها وأهمها وجود ظاهرة التخلف الثقافى ، وظاهرة العزلة الثقافية .. فضلا عن وجود العديد من العناصر الثقافية المادية وغير المادية المستمرة فيه حتى الآن ..

ولعل اضطرار المجتمع المصرى فى شخص الملايين من جماهيره العريضة ، فى معظم الأحيان ، الى تبنى هذا الاتجاه .. اتجاه المشاهدة والانتظار أنه كان فى نظر معظم الحكام السابقين مجرد كل مهمل .. فلم يهتم أحد منهم بخلق الشعور بالاستعداد عنده لقبول التغير الى الأفضل، ولم يسهم أحد منهم فى تيسير فرص الامكانيات التى تيسر الممارسة العملية الشاملة لعناصر هذا التغير . وحتى اذا اضطر المجتمع المصرى فى شخص الملايين من جماهيره العريضة الى قبول المستحدث، فان المستحدث لم يكن لينسخ ما هو قديم أصيل فيه ، ويبقى المستحدث دخيلا عليه حتى اذا ما واتت الفرصة تخلص منه .. أى أن هذا المستحدث لم يكن يهم

المجتمع المصرى فى شخص الملايين من جماهيره العريضة ، فى معظم الأحيان ، لأنه كان لا يفهمه أو يدركه •• وفى أغلب الحالات لم يستوعبه أو يتمثله •• وفضلا عن ذلك فانه لم يكن فى حاجة ماسة اليه ••

٣ - ان التراث الثقافى المصرى مملوء بمصادر القيم الاجتماعية الايجابية فى مجتمعنا • وقد حاول الكاتب أن يجمع ، على المستوى النظرى ، بعض هذه القيم التى تضمنتها آيات الذكر الحكيم وبعض الأحاديث النبوية والأمثال الشعبية التى تجرى ، عادة ، على ألسنة أعضاء المجتمع المصرى المعاصر • وقد صنف الكاتب هذه المصادر وفقا لما يلى :

- القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الصبر والمثابرة والكفاح ، والايمان بالنصر وتقوية العزائم •

- القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الاقبال على التطوع للجهاد والتدين والجهاد فى سبيل الله والثبات وضبط النفس •

- القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن التضحية فى سبيل المجموع بالمال والجهد وأداء الواجب وتحمل المسئولية فى العمل الايجابى المشترك •

- القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الثقة بالنصر والتوكل المثمر المقترن بالسعى والعمل والتفاؤل والصبر على مزاولة المشاق والتمسك بالأخلاق والمثل العليا والاعتزاز بالوطن والطاعة التلقائية للقوانين •

- القيم الاجتماعية التى تتضمن الأخوة والألفة والتماسك فى محيط المجتمع وجماعاته ••

أولا – بعض مصادر القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الصبر فى الكفاح ، والايمان بالنصر وتقوية العزائم

أ – آيات قرآنية

١ – يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم الله ويثبت أقدامكم (٤٧ م محمد ٧) •

٢ – لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (٣ م آل عمران ١١١) •

٣ – ولا تهنوا فى ابتغاء القوم أن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (٤ م النساء ١٠٤) •

٤ – ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين • ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (٣ م آل عمران ١٣٩ – ١٤٠) •

٥ – وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين •

(٣ م آل عمران ١٤٦ – ١٤٧) •

٦ – بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم •

(٣ م آل عمران ١٢٥ – ١٢٦)

٧ - يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون •

(٣ م آل عمران ٢٠٠)

٨ - يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير •

(٨ م الأنفال ١٥/١٦)

٩ - ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص •

(٦١ م الصف ٤)

١٠- ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين •

(٨ م الأنفال ١٨)

١١- وأصبروا ان الله مع الصابرين •

(٨ م الأنفال ٤٦)

١٢- وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم •

(٤١ ك فصلت ٣٥)

١٣- والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين • الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون •

(٢٩ ك العنكبوت ٥٨ ، ٥٩)

١٤- يابنى أقم الصلات وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور •

(٣١ ك لقمان ١٧)

١٥- فاصبر ان وعد الله حق •

(٤٠ ك غافر ٥٥)

١٦- فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثما أو كفورا •

(٧٦ م الانسان ٢٤)

١٧– ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة .

(٩٠ ك البلد ١٧)

١٨– والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

(١٠٣ ك العصر ١ ، ٢ ، ٣)

١٩– واصبر وما صبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون .

(١٦ ك النحل ١٢٧)

٢٠– ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين .

(٢ م البقرة ١٥٥)

ب– احاديث نبوية :

١ – من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، فميتته جاهلية .

(عن أبى هريرة)

٢ – من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فانه من خالف الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية .

(عن ابن عباس)

٣ – كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس .. وأن رسول الله فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام فى الناس خطيبا وقال « لاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال « اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم .

(عن سالم بن أبى النضر)

٤ – من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان له من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا .

« عن أبى هريرة »

ج – امثال مصرية شعبية :

١ – عيش فى العز يوم ولا تعيش فى الذل سنة .
٢ – ادينى عمر وارمينى البحر .
٣ – الرب واحد والعمر واحد .
٤ – آخر الحياة الموت .
٥ – ما لها الا رجالها .
٦ – السبع عمره ما يبقى ضبع .
٧ – السبع سبع ولو فى قفص .
٨ – خذ اللص قبل أن يأخذك .
٩ – اتغدا به قبل ما يتعشى بك .
١٠– الزقل بالطوب ولا الهروب .
١١– صاحب الحق عينه قوية .
١٢– الحق اللى وراه مطالب مايموتش .
١٣– الباطل مالوش رجلين .
١٤– طولة العمر تبلغ الأمل .
١٥– طولة البال تهد الجبال .
١٦– هى حلاوة بلا نار ؟

١٧– يوم النصر ما فيهش تعب .

١٨– شدة وتزول .

١٩– المال مال ابونا والغرب يطردونا ؟

٢٠– يبقى ماله ولا يهناله .

٢١– البيت بيت ابونا والغرب يطردونا ؟

٢٢– صاحب الحاجة أولى بها .

٢٣– جحا أولى بلحم طوره .

٢٤– ماحد بيجى من الغرب يسر القلب .

٢٥– لابد دون الشهد من ابر النحل .

٢٦– اذا كنت سندانا فاصبر واذا كنت مطرقة فاوجع .

ثانيا : بعض مصادر القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الاقبال على التطوع للجهاد والتدين والجهاد فى سبيل الله والثبات وضبط النفس .

أ — آيات قرآنية :

١ — وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقــوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانت لاتظلمون .

(٨ م الانفال ٦٠)

٢ — اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .

(٢٢ م الحج ٣٩)

٣ — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا الله الوسيلة وجاهـدوا فى سبيله لعلكم تفلحون .

(٥ م المائدة ٣٥)

٤ — الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون .

(٩ م التوبة ٢٠)

٥ — فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا .

(٤ م النساء ٨٤)

٦ — وقاتلوا فى سـبيل الله الـذين يقاتلونكم ، ولا تعتـدوا ان الله لايحب المعتـدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل .

(٢ م البقرة ١٩٠ — ١٩١)

٧ - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين •

(٢ م البقرة ١٩٣)

٨ - كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون •

(٢ م البقرة ٢١٦)

٩ - فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما •

(٤ م النساء ٧٤)

١٠- وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير

(٨ م الأنفال ٣٩)

١١- ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراه والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم •

(٩ م التوبة ١١١)

١٢- قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين •

(٩ م التوبة ٢٤)

١٣- يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا •

(٤ م النساء ٧١)

١٤- ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون •

(٣ م آل عمران ١٦٩)

١٥- وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا .

(٣ م آل عمران ١٤٥)

١٦- لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما .

(٤ م النساء ٩٥)

١٧- الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

(٣ م آل عمران ١٧٣)

ب - احاديث نبوية :

١ - لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها .

(عن انس بن مالك)

٢ - أتى رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال مؤمن يجاهد فى سبيل الله بما له ونفسه ، قال ثم من ؟ قال مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره .

(عن ابى سعيد الخدرى)

٣ - رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها .

(عن سهل بن سعد الساعدى)

٤ - لايكلم أحد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ، الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك .

(عن ابى هريرة)

٥ ـ ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سـبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض •

(عن ابى هريرة)

٦ ـ ما أحد يدخل الجنة ويحب ان يرجع الى الدنيا وما له على الأرض من شيء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيـــا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة •

(عن انس بن مالك)

ثالثا - بعض مصادر القيم الايجابية التى تتضمن التضحية فى سبيل المجموع بالمال والجهد واداء الواجب وتحمل المسئولية فى العمل الايجابى المشترك •

أ - الآيات القرآنية :

١ - مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم •

(٢ م البقرة ٢٦١)

٢ - آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير •

(٥٧ م الحديد ٧)

٣ - •••••• وماأنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين •

(٣٤ ك سبأ ٣٩)

٤ - •••••• وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون •

(٢ م البقرة ٢٧٢)

٥ - يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد •

(٢ م البقرة ٢٦٧)

٦ - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون •

(٦١ م الصف ١٠ ، ١١)

٧ - وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين .

(٦٣ م المنافقون ١٠)

٨ - ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .

(٢ م البقرة ١٧٧)

ب - الاحاديث النبوية :

١ - من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله فى أهله بخير فقد غزا .

(عن زيد بن خالد)

٢ - يا بن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى .

(عن ابن عمر)

٣ - كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله (صلعم) يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (٣ م آل عمران ٩٢) قام أبو طلحة الى رسول الله (صلعم) فقال يارسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب مالى بيرحاء وانها صدقة الله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله (صلعم) بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح ، وقد

سمعت ما قلت وانى أرى أن تجعلها فىالأقربين فقال أبو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه .

(عن اسحق بن عبد الله انه سمع انس بن مالك يقول)

ج – أمثال شعبية مصرية :

١ – من خدم الناس صارت الناس خدامه .

٢ – الجارى فى الخير كفاعله .

٣ – كلوه يروح فرقوه يفوح .

٤ – سيد القوم أشقاهم .

٥ – بدل ما أقول للعبد ياسيدى أقضى حاجتى بايدى .

رابعا - بعض مصادر القيم الايجابية التى تتضمن الثقة بالنصر والتوكل المثمر المقترن بالسعى والعمل والتفاؤل والصبر على مزاولة المشاق والتمسك بالأخلاق والمثل العليا والاعتزاز بالوطن والطاعة التلقائية للقوانين .

ا - آيات قرآنية :

١ - يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون .

(٨ م الأنفال ٦٥)

٢ - فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتوهم فشدوا الوثاق فأما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم .

(٤٧ م محمد ٤)

٣ - فلا تهنوا وتدعو الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

(٤٧ م محمد ٣٥)

٤ - ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما .

(٤ م النساء ١٠٤)

٥ - وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شىء قديرا .

(٣٣ م الأحزاب ٢٦ - ٢٧)

٦ - ولا تهنوا ولا تحزوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم

قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين •

(٣ م آل عمران ١٣٩ - ١٤٠)

٧ - يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا •

(٤ م النساء ٥٩)

٨ - يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون •

(٨ م الانفال ٢٠ - ٢١)

٩ - واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا ان الله مع الصابرين •

(٨ م الانفال ٤٦)

١٠- ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكى لاتحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون •

(٣ م آل عمران ١٥٢)

١١- يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا •

(٤ م النساء ٩٤)

١٢- لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

(٣٣ م الأحزاب ٢١)

١٣- لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجـــرا عظيما .

(٤ م النساء ١١٤)

١٤- يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفســكم ولا تنابذوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

(٤٩ م الحجرات ١١)

١٥ - يا أيهـا الذين آمنـوا اجتنبـوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا .

(٤٩ م الحجرات ١٢)

١٦- والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقـد احتملوا بهتانا واثما مبينا .

(٣٣ م الأحزاب ٥٨)

١٧- أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين .

(١٠٧ ك الماعون ١ ، ٢ ، ٣)

١٨- واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا .

(٤ م النساء ٨٦)

١٩- وان ليس للانسان الا ما سعى .

(٥٣ ك النجم ٣٩)

٢٠- ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .

(٤١ ك فصلت ٨)

٢١- انا لا نضيع أجر من أحسن عملا .

(١٨ ك الكهف ٣)

٢٢- ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون .

(٤٦ ك الأحقاف ١٩)

٢٣- قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين .

(٩ م التوبة ١٠٥)

٢٤- ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . (١٧ ك الاسراء ١٩)

٢٥- فاذا عزمت فتوكل على الله .

(٣ م آل عمران ١٥٩)

ب - احاديث نبوية :

١ - احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لاينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف (عن ابن عباس) .

٢ - اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة بالحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . (عن انس بن مالك) .

٣ - مامن شيء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق ، وأن صاحب حسن

الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة • (عن أبى الدرداء)

٤ - المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه • ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج على مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة •
(عن عبد الله بن عمر)

٥ - كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه ، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم • (عن أبى هريرة)

٦ - لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا • (عن عمر بن الخطاب)

٧ - أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر • (عن عبد الله بن عمر)

ج - أمثال شعبية مصرية :

١ - من خدم الناس صارت الناس خدامه •

٢ - من قدم السبت يلق الحد قدامه •

٣ - الصبر خير •

٤ - الصبر مفتاح الفرج •

٥ - كل شىء دواه الصبر •

٦ - الجارى فى الخير كفاعله •

٧ - الجارى فى الشر ندمان •

خامسا - بعض مصادر القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الأخوة والألفة والتماسك فى محيط المجتمع وجماعاته

أ - آيات قرآنية :

١ - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

(٥ م المائدة ٢)

٢ - واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا •

(٤ م النساء ٣٦)

٣ - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا •

(٣ م آل عمران ١٠٣)

٤ - انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون •

(٤٩ م الحجرات ١٠)

٥ - ولا تنسوا الفضل بينكم (٢ م البقرة ٢٣٧) •

٦ - لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين •

(٦٠ م الممتحنة ٨)

٧ – يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير •
(٤٩ م الحجرات ١٣)

٨ – ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن •
(٤١ ك فصلت ٣٤)

ب – الأحاديث :

١ – المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا •

(عن أبى موسى)

٢– مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسـد الواحـد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى •
(عن النعمان بن بشير)

٣ – انصر أخاك ظالما أو مظلوما • فقال رجل يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أرأيت ان كان ظالمـا فكيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره •

(عن أنس بن مالك)

٤ – من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جـاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقـل خيرا أو ليصمت •

(عن أبى هريرة)

٥ – ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل الا ظلى •

(حديث قدسى)

٦ - لا تباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .

٧ - سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله أمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أعطت يمينه .

(عن أبى هريرة)

ج - امثال شعبية مصرية :

١ - البركة فى كتر الأيادى .

٢ - البركة فى اللمة .

٣ - ايد على ايد تساعد .

٤ - ايد لوحدها ماتسقفش .

٥ - استودوا تستحبوا .

٦ - جنة من غير ناس ماتنداس .

٧ - السجرة اللى ماتضل على أهلها تستاهل قطعها .

٨ - أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب .

٩ - قالوا لعنتر انت تضرب ألف قال أضرب ألف وورايا ألف .

١٠- الزرع زى الاجاويد يشيل بعضه .

١١- اللى تحبه لنفسك حبه للناس .

١٢- الناس بالناس والناس بالله .

١٣- اللى يحب نفسه تكرهه رفاقه .

٤ - سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٦ ، صفحة ١٩٦ .

٥ - ولعل القارىء أن يذكر مفهوم الصبر بمعانيه المتعددة وأنماطه المتباينة فى أغانينا .. وفى مرثياتنا .. وفى قصصنا الشعبية .. ومنها .. وأبرزها .. قصة أيوب المبتلى :

- ياما ينول الصابرين بصبرهم	اللى صبر نال الهنا والمغفرة
- اللى صبر نال الهنا ويا المنا	واللى غلب من ايه ياهلترى
- ياما جرى لأيوب فى أول منامه	وبنت عمه على البلاوى صابرة
- وبنت عمه على البلاوى تعللت	مايوم شكت منه ولا الخل درى
- أول سنة يا أيوب صلى على النبى	تانى سنة يا أيوب لغلبك صابرة
- تالت سنة يا أيوب قلنا بتنقضى	قلع ثياب العز بعد الغندرا
- قلع ثياب العز بعد الهنا	نايم على فرشه حالاته معبرا
- نايم على فراشه حالاته عدم	يشبه جمل بارك وحمله جاى ورا
- يشبه جمل بارك حزامه على اليمين	يمرغ على الجنب اليمين والميسرا
- يمرغ عالجنب اليمين والشمال	خايف يبوح بالسر يبقى معيرا
- صايم وصابر وجروحه مملقة	وريحته ترمى الطيور الطائرة
. . . . .	. . . . . الخ

(انظر قصة أيوب المبتلى .. القاهرة .. مكتبة الجمهورية العربية ، صفحات ١١ - ١٤) .

والموال ، كفن ، هو ، كما يعلم القارىء ، الفن الوحيد بين الفنون الشعبية الذى يترك أثرا بعيدا فى أعماق السامعين ، وذلك لطريقة نظمه

ورقة أسلوبه وحنان كلماته الموسيقية العذبة . وقد تناول فن الموال مفهوم الصبر ضمن موضوعات شتى .. فنجد من يقول :

ان كان علـى الـود . قلبى يا جميـــل طيب
وان كن عـلى الصـــبر . دقته وأعرفه طيب
وان كنت تهجـر حا أقولك يا جميـــل طيب
ومســير ليالى الهنـــا ترجـع ونتقابل ـ
طـول ما انت عايش دنا فى الدنيـا دى طيب

ونجد ، أيضا من يقول :

يا شجرة الصـــبر أنا لأجيبك وأزرعك عندى
تبقى مظلة اذا عمـــلوا عـلى عنـدى
راحم يجيبـــوا الدوا من الشامى والهنـدى
من سـوء بخت العليل وقع الدوا فى البحـر
هلبت يا عين بعد الشرد ما تندى

ونجد ، كذلك ، من يقول :

يا قلبى حظك كـده .. حتلاقى بختـك فين
اصـبر وكيد العدا .. ما تخافشى م اللايمين
الصـــبر بعده الفرج والسـعد للصابرين
رح تبكى ليه يا ترى عـلى الحظ والمقســـوم
دا كل شيء انكتب ولكل صـابر يوم
حتـلاقى مين يسمعك لو قلت ميت مظلـــوم
اصـــبر على قسمتك يا قلبى واوفى الديـن

(انظر أحمد حجاب : نافذة على الأدب الشـعبى ، القـاهرة ، المطبعة الكمالية ، صفحات ٦٩ و ٨٥ و ٨٩) .

٦ ـ الأب عيروط اليسوعى : الفلاحون ، ترجمة محمد غلاب ، القاهرة ، مطبعة كوثر بمصر ، ١٩٤٣ ، صفحات ١٨١ – ١٨٤ •

٧ ـ الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، صفحتا ٢٧٤ – ٢٧٥ •

٨ ـ فى ضوء العقيدة الدينية الراسخة المتمثلة فى نفوس أعضاء مجتمعنا •• نجد البذل السخى والعطاء الكريم واضحين عند مواجهة أزمة من الأزمات العامة أو الخاصة •• نجدهما عند الموت وعند المرض وعند بناء المساجد والزوايا والمستشفيات •• أى أننا نجد التضحية بالمال وبالجهد وبالوقت وبالراحة يتسابق أعضاء المجتمع فى سبيل بذلها عن رضا وعن ايمان ••

وفى ضوء الفكرة الواضحة الصالحة المتمثلة فى نفوس أعضاء مجتمعنا •• نجد هذه التضحية وهذا البذل وهذا العطاء •• يتسابق أعضاء مجتمعنا فى سبيل القيام بها وتحقيقها •• نجد ذلك ، واضحا ، فى بناء النوادى الاجتماعية وفتح طريق وبناء ملجأ •• الخ ، وقد تسامى التضحية ، أحيانا ، لتبذل النفوس طواعية فى سبيل تحقيق تحرير الانسان أو اقامة العدالة الاجتماعية •

– George M. Foster « Traditional Cultures : & the Impact of Technological Change » Newyork. 196 , pp. 05 - 52.

١٠ـ محمود خطاب : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة ، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ، صفحة ٢٧ •

الفصل الخامس

من مشاعرنا الجماعية

يتضمن الفصل الحالى الموضوعات الآتية :

١ ـ الموتى يتحكمون فى الأحياء •

٢ ـ من مشاعرنا الحزينة •

٣ ـ الصدقات والنذور •

٤ ـ ظاهرة التدين •

٥ ـ الدعوات المستجابة •

٦ ـ الذكـر •

٧ ـ ظاهرة العصبية فى مجتمعنا •

٨ ـ ظاهرة التعصب فى مجتمعنا •

٩ ـ اللغة السرية •

١٠ـ من مقومات المكانة الاجتماعية فى مجتمعنا •

١ - الموتى يتحكمون فى الأحياء ••

ان تحكم الموتى فى الأحياء من أعضاء مجتمعنا ظاهرة ثقافية قديمة •• وهى مستمرة حتى الآن ، نراها واضحة فى معظم العادات والتقاليد المتعلقة بظاهرة الموت وبالموتى • والملاحظ أن الاختلاف بين نظرة المصريين المعاصرين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى وبين نظرة المصريين القدامى نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى •• اختلاف ضئيل • فاحتفالات الأحياء المسرفة بدفن الموتى من الأقارب وبعد دفنهم ، واحياء موالد الموتى من الأئمة والأولياء والقديسين بصورة ينفر منها التفكير الدينى السليم •• أو التفكير العلمى •• كما ينفر منها الذوق العام ، وزيارة الأحياء للموتى فى قبورهم أو فى أضرحتهم فى المواسم وفى الأعياد وفى غيرها ، وارتباط الأحيـــاء بالموتى وهم فى حكم العدم •• ارتباطا واضحا ، وتلقى الوحى منهم فى بعض الأمور ، والالتجاء اليهم فى أخرى ، وانتظارهم حتى يبتوا فى أمور حياتهم •• سواء كانت أمورا عادية لا تحتمل الانتظار •• أو أمورا غير عادية يكون من واجبهم أن يبتوا هم فيها - كلها عادات وتقاليد تمارس فى مجتمعنا المعاصر ••

وكل هذه العادات والتقاليد تبرز فى وضوح ارتفاع مكانة العناصر الثقافية غير العلمية فى تقدير بعض الناس ، كما تبرز سيادتها على حكمهم على الأمور والأشياء •• والكاتب يرى ، ولعل القارىء أن يفعل ذلك ، ان مجرد احتمال تساوى العناصر الثقافية العلمية مع العناصر الثقافية غير العلمية •• الداخلة فى الحكم على الأمور •• يكون ، أى مجرد هـذا الاحتمال ، فى الواقع ، فى حكم المستحيل •• ولنعط بعض الأمثلة التى تكون أقرب الى التصور من غيرها ، فنتصور الامام الشافعى الذى مات منذ نحو ١١٥٠ عاما ميلاديا •• قد حل محل مركز الشرطة أو محل محكمة من المحاكم لتلقى الشكاوى والمظالم ليحكم فيها ، أو نتصور غيره من الأموات كالأئمة أو الأولياء أو القديسين •• منهم من يتولى شئون تطبيب المرضى وعلاجهم ، ومنهم من يتولى مهمة توريد

المال لمن لا مال له ، والذرية لمن لا ولد له •• ومنهم من يتحكم فى القضايا السياسية ومشاكل الاسكان والتغذية •• كما تتصور غيرهم من الأموات العاديين الأقارب أو الغرباء يتحكمون فى مصائر ذويهم ، أو غير ذويهم ، من الأحياء •• فنرى ، مثلا ، أن أبا ، مات منذ زمن طال أو قصر ، لا يتصرف ابنه الذى على قيد الحياة فى أمر من أموره ، الا اذا زاره أبوه فى المنام وأشار عليه بالرأى •• وهو قد يراه فعلا فى المنام ، ويحلم به ناصحا ومشيرا ، ويفسر ما يراه كيفما شاء وحيثما اتفق • وليست هذه الأمثلة وهذه التصورات قد صنعها الخيال •• فبعضها ، ان لم يكن كلها ، موجود فعلا فى محيط بعض أعضاء مجتمعنا •• وقد عرف الكاتب زميلا له بلغ درجة عالية من الثقافة والوعى •• ومع ذلك حمل خبر حصوله على شهادته العالية الى قبر أمه ، ودب بالقدم أمام القبر ثم صاح بصوت عال مؤكدا الخبر •• وفى احدى زيارات الكاتب لضريح الامام الشافعى شاهد أحد المواطنين يعطى ظهره للضريح وهو يصيح ، وكأنه يعاتب صديقا على قيد الحياة ، قائلا له أنه : « مخاصمه » وأنه « لن يتحدث اليه » ! ••

ان تحكم الموتى فى الأحياء أمر له فى تقدير الكاتب خطورته •• ولعل هذا الأمر أن يكون له نفس هذا التقدير عند القارىء •• فهو •• أى تحكم الموتى فى الأحياء •• بالاضافة الى بعض الأمور المتعلقة بتفكير الناس ، يشل الأجهزة التى تضع فى اعتبارها أن تكون مهمتها علاج مشكلات الناس وحفظ حقوقهم • ذلك لأن انصراف بعض أعضاء مجتمعنا عن الأجهزة المنظمة لاحتياجات المجتمع الى أجهزة جمد العدم حركتها ، يجعلنا نتساءل عن مدى فاعلية الأجهزة الأولى •• أجهزة الحياة ، كما يجعلنا نتساءل عن العوامل التى تدفع بعض الناس الى تفضيل أجهزة العدم على أجهزة الحياة •• ولعل نجاح أو فشل أجهزة الحياة هذه ، طبية كانت أو قانونية أو قضائية أو اجتماعية أو سياسية • • • ، فى أداء مهامها الضرورية أن يرتبط كلاهما أو أحدهما ، فى ضوء بعض عناصر تراث مجتمعنا الثقافى ، ارتباطا مباشرا ، أو

ارتباطا غير مباشر ، بالكشف عن حقيقة النظرة التى يكنها أعضاء مجتمعنا نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى (١) .

ان تحكم الموتى فى الأحياء يعنى أن الأحياء لا يعيشون حياتهم كما ينبغى لهم أن يفعلوا .. ويعنى أنهم اذ يواجهون هذه الحياة يواجهونها بأسلوب فكرى ساذج .. أسلوب غير علمى .. أسلوب خلقه نوع من الايمان مبنى على قضايا يؤمن بها هؤلاء الأحياء .. قضايا تملأ المناخ الاجتماعى الثقافى الذى يعيشون فيه .. قضايا تنهار حتما فى ضوء البحث العلمى .. وكذلك فى ضوء الدين الذى يدينون به ..

ان مواجهة أمور الحياة .. كل الأمور .. الشخصية وغير الشخصية .. الاجتماعية والمادية ، الصغيرة والكبيرة ، لابد أن تكون فى ضوء دراستها موضوعيا للتعرف على عوامل وجودها ، وقوانين كينونتها . وفى ضوء هذا وحده ، يمكن مواجهة أمور الحياة مواجهة ايجابية .. مواجهة تهدف الى التغيير الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم .. هذا هو السبيل الوحيد لكى يسير التطور فى مجتمعنا المعاصر فى طريق حثيث متوائب .. طريق البناء .. بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد فى ضوء قيمنا ومبادئنا ومثلنا العليا الاشتراكية .. المجتمع الاشتراكى الذى نرجو ، بحق ، أن يتحقق .. ونأمل ، بحق ، أن يبرز الى الوجود .. (٢) .

٢ - من مشاعرنا الحزينة ..

نحن شعب نحب الدعابة ونتقن صناعتها ، ونحب الغناء والطـــرب .. ولكننا ، مع ذلك ، شـعب نحزن كثـيرا . اننا نبكى اذا حزنا .. ونبكى ، كذلك ، اذا فرحنا . واذا بدا لنا أننا نفرح .. وبدا لنا أن هذا الفرح زائد على الحد .. نرجع عن هذا الفرح قائلين « اللهم اجعله خـيرا » . ونحن نضحك بصوت عال .. ولكن قليلا ما نبتسم ، واذا كنا نبكى نبكى كذلك بصوت عال . ونحن نحزن كثيرا ولكن قليلا ما نغضب .. ونحن اذا غضبنا .. فان العواطف الجياشة تملأ صدورنا وتشل تفكيرنا الموضــــوعى .. وحتى اذا غضبنا فسرعان ما نصفو .. « فغضب المؤمن كالبرق اللامع » .. و « لاتغضب والصبر جميل » ..

نحن نفعل كل ذلك عـلى مستوى الأشخاص .. ونفعله ، أيضا ، عـلى مستوى الجماعات .. فى الريف يبدو كل ذلك واضحا .. وفى المدينة .. يبدو ، أيضا ، كل ذلك واضحا ..

ان مشاعرنا الحزينة تبدو عميقة عمق ما تعكسه عيون أمهاتنا ونسائنا وحتى شـاباتنا .. ان ما تعكسه هـذه العيون فى معظم الأحيـان ، مهما انفرجت الشـفاه ، يدمى القـلوب .. وبخاصة قلوب أطفالنا الصـغار .. وبعض الرجال .

وحزننا يبدو مجلجلا عند مواجهة الموت . منذ القديم نحن المصريين نفعل ذلك .. وحتى الآن نفعل ذلك . لقد أبدع مجتمعنا نظما اجتماعية فريدة لهذه المناسبة . نظم تنسق البكاء والصراخ و « الصوات » ، نظم خلقت دور « المعددة » أو دور « الندابة » .. ودور « ضاربة التار » ، نظـم يعمل بها الأحياء عند وفاة الأقرباء وغير الأقرباء وبعد الوفاة وفى أثناء تشييع الجنازة وعند الدفن وبعد الدفن ، نظم للتعزية والعزاء .. الخ . صـحيح .. ان

معظم هذه النظم غير ثابت ، وأنه يتطور ، ولكنه باق لا يزال • وصحيح •• أيضا •• ان معظم هذه النظم لا يقره ، كما هو ، عقل أو دين •• وأنه بدع قبيحة مذمومة يجب على القادرين منعها ومن لم يمنعها مع القدرة فسق ، وأن الله تعالى يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة - ولكن هذه النظم باقية لا تزال ••

ونحن اذا حزنا نبكى •• ولكننا كذلك نقول الرثاء • اننا نرثى من ماتوا من شبابنا وآبائنا وأمهاتنا ومن تركوا يتامى أو أطفالا • والرثاء يبكينا والغناء الحزين يجتذب قلوبنا •

ومن الغريب أن أمهاتنا وزوجاتنا ، وبخاصة فى الريف وفى بعض الأحياء فى المدينة ، يتعمدن الذهاب الى التعزية بقصد البكاء •• وبقصد الاستماع للرثاء أو انشاد الرثاء • وأن رجالنا ، وبخاصة فى الريف وحتى فى المدينة ، يحرصون الحرص كله على تشييع الجنازات وعلى التعزية •• ويؤكد ذلك القول السائد « احضر جنازة ولا تحضر جوازة » • والملاحظ أن أصحاب الميت يتوقعون التعزية من الأقارب ومن المعارف والجيران • والتعزية ، كنظام اجتماعى ، لها فى واقعنا وظيفتان •• الأولى ، وهى واضحة ، وظيفة المجاملة ، والوظيفة الثانية ، وهى كامنة ، تبدو أهم من الوظيفة الأولى •• فهى تيسر اعادة المياه الى مجاريها اذا لم يكن الأطراف المعنية •• أصحاب الميت والمعزون •• على وفاق قبل حدوث الوفاة •• أو كانت الصلة بينهم •• صلة الرحم •• أو صلة الجوار •• أو صلة الزمالة •• لسبب أو لآخر •• مقطوعة •

والملاحظ أن رثاء موتانا يعكس الكثير من قيمنا واتجاهاتنا •• فهو يعكس رأينا فى المعاملة فى المستشفى •• كما يعكس نظرتنا الى الأطباء « الأشلا (القشلاق •• أى المستشفى) وحشة وبابها عالى •• وفيها التمرجى يبهدل

الغالى » و « والأشلا وحشة وبابها بنور •• وفيها التمرجى يبهدل الغندور » و « يقول هاتى لى يا امه حكيم يكون شاطر •• يشوف عباى ويجبر الخاطر، حكيم يا امه سافر بلاد الروم •• صاحب الوجيعة رايح بها مهموم ، حكيم يا امه سافر بلاد الشام •• صاحب الوجيعة رايح بها زعلان » • وهو يعكس، أيضا ، تقديرنا للآباء بعامة •• وتقدير اخواتنا لهم بخاصة •• « يابا ياجسرنا العالى •• أمشى على حسك يابا واطوح أكمامى » و«يابا ياجسر بين بلدين•• أمشى على حسك يابا وأطوح الكمين » و « بابك كبير يابا وسلمه كويس •• صبح البيت يابا بعديك بلا ريس » و « يابت شوفى أبوكى فى المندرة الحمرا •• ولا شوفيه يابنتى فى مجلس الأمرا » • وهو يعكس ، كذلك ، تقديرنا للأمهات وعطفنا على اليتامى « يا امه ياطرحتى الزيتى •• ياسائلة على يا امه وانا فى بيتى » و « ان غبت يا امه ابعتى لنا جواب •• والله المطلة يا امه على الولا يثواب » و « لموا اليتامى كلهـم فى البيت •• وقيدوا الفتيلة وكتروا الزيت » و « لمـوا اليتامى من العصر عشـوهم •• لا يخش الليـــل عليهم وتنسوهم » ••

وقد يكون الرثاء عاما لا يعنى شخصا بعينه •• ولكنه يعنى من يفعل فعلا بعينه كأن يتعاطى المخدرات مثلا •• ، وفى هذه الحالة نجد الرثاء يتضمن السخرية اللاذعة •• ومن هذا القبيل نجد :

شـاف الحـكيم الجـدع نايـم وقال لامه
بايه أداوى عليـك والدوا سـمه ؟
ناحت عرايس وجرت شـعرها • عـلى مين ؟
عـلى العريس اللى عمـره نقصـه الكوكايين
جمـل المحـامل يشيل الحمـل ويعيـده
تقل عليه الجرام واتخبلت ايده

يا زارعين الريحـــان • خلوا الريحـان يتلم
قطع الحـــكيم الزيارة والتـراب انشم
يا لى ربطت الكفـن ، ليه الكفـن مربوط ؟
حاش الهوى ع لى داخل تربته مبسوط (٣)

والمصريون يصلون على موتاهم • المسلمون منهم يفعلون ذلك •• والأقباط منهم ، أيضا يفعلون ذلك • والصلاة على الميت عند المسلمين فرض كفاية •• ولها فضل •• ولها شروط وأركان •• ولها كيفية • والصلاة على المتوفى الرجل يقوم الامام فيها حذاء رأس الرجل •• وعلى المتوفاة المرأة يقوم الامام فيها عند الوسط • وقد تصلى الصلاة على أكثر من واحد •• ، ويستحب أن يصف المصلون على الجنازة ثلاثة صفوف • ويصلى على المسلم ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا • والسقط اذا لم يأت عليه أربعة أشهر فانه لايغسل ولا يصلى عليه • وتجوز الصلاة على الشهيد الذى قتل فى المعركة بأيدى الكفار ويجـوز أن لا يصلى عليه •• ومن جرح فى المعركة وعاش حيـاة مستقرة ثم مات يغسل ويصلى عليه • ويصلى على من قتل فى حد كحد الزنا مثلا •• كما يصلى على الغال وقاتل نفسه وسائر العصاة • ولا يجوز لمسلم أن يصلى على الكافر • وتجوز الصلاة على الميت بعد الدفن فى أى وقت ، ولو صلى عليه قبل دفنه ، كما تجوز الصلاة على الغائب • ولا بأس بالصلاة على الميت فى المسجد ، وقد كره الجمهور الصلاة على الجنازة وسط القبور • ويجوز للمرأة أن تصلى على الجنـازة مثل الرجل •• سواء أصلت منفردة أم صلت مع الجماعة •

ومن أركان الصلاة عند المسلمين الدعاء •• فاذا صلوا على الميت •• فيجب أن يخلصوا له الدعاء • ويتحقق الدعاء مهما قل • والمستحب فيه أن يدعو المصلون بأية دعوة من الدعوات المأثورة (٤) •

والمصريون الأقباط يصلون على الأموات .. وهم يرتلون مزامير خاصة فى هذه المناسبة تختلف باختلاف المتوفين. فقد يكون المتوفون رجالا أو أطفالا ذكورا أو أطفالا ماتوا فى جمعة البصخة أو نساء كبيرات أو نساء متن فى جمعة البصخة أو بنات أبكارا أو بنات متن فى جمعة البصخة أو نساء متن بعد الولادة . أو يكون المتوفون بطاركة أو مطارنة أو أساقفة أو قمامصة أو قسسا أو شمامسة أو رهبانا أو راهبات سواء ماتوا فى جمعة البصخة أو فى غيرها .. وقد تكون المتوفيات راهبات عذارى متن فى جمعة البصخة . وتتضمن المزامير المرتلة فصولا لجناز تمام الشهر والستة الشهور والسنة وليالى التذكارات ، كما تتضمن فصولا لليوم الثالث واليوم الأربعين والتذكارات (٥) .

ونحن لا نرثى أمواتنا من الأقارب وغير الأقارب .. مباشرة أو بطريق غير مباشر ، سواء كانوا ذكورا أو اناثا .. أو كانوا كبارا أو صغارا .. أو كن نساء متن بعد الولادة أو بنات متن عذارى ، وسواء ماتوا فى جمعة البصخة أو فى الأيام العادية فحسب .. ولكننا اذ نرثى هؤلاء .. نرثى كذلك « بختنا » ، رجالنا يفعلون ذلك باستمرار .. ونساؤنا يفعلن ذلك أكثر من الرجال .. « مقهورة يا امه والقهر طلع على وشى .. وخلا خلى البال يا امه ما يشوفشى » و « طلت من الحيطان اللى سعدها زمانها .. طلت من الحيطان واتفرجت يا امه على البخت لما مال ، يا امه دا البخت لما مال .. كما مال السرج على الخيال » و « اللى نصفها زمانهـا طلت وقالت لى .. وانتى اشتكونى ياخية تكونى مثلى » و « والله ان قابلنى البخت لا أقوله .. ولاشوية يابخت ماتميلوشى كله » .

ونحن لا نرثى « البخت » عند الموت فحسب .. ولكننا نفعل ذلك فى أغانينا « قسمتك جت كده .. بختك أجيبه منين » ، ونفعل ذلك فى أحاديثنا العادية اذا ما فاتتنا فرصة من الفرص » .. « البخت عند الله » و « تجرى جرى

الوحوش غير رزقك ماتحوش » و « قليل البخت يلقى العضم فى الكرشه » و « قراط بخت ولا فدان شطارة » ..

والملاحظ أنه اذا كان الموت يهز مشاعرنا ويزعجنا .. فاننا اذ نخشاه ونرهبه .. لا نخشى موتانا ولا نرهبهم ، واننا اذ نبالغ فى حب شخص نقول « نحبه موت » ، أو نبالغ فى وصف صنف من أصناف الطعام .. نقول « ده لذيذ موت » .. (٦)

٣ - الصدقات والنذور ..

ان شعبنا الكريم شعب يتصدق بالمال أحيانا وبغير المال أحيانا أخرى . وهو اذ يفعل ذلك يفعله فى كل الأوقات أحيانا .. ويفعله فى أوقات معينة أحيانا أخرى .. ، أى فى مناسبات معينة فى شهر رمضان وفى الأعياد ، مثلا ، حتى عند زيارة الأموات .. ، أى أن الصدقات تملأ مناخنا الاجتماعى الثقافى ، وتبرز أهـم ما فى أعضاء مجتمعنا القادرين من مشاعر انسانية تدفعهم الى ما يمكن أن يقال عنه « التعاون على البر » .

ان عقائد مجتمعنا تقدس الله جل وعلا الذى يمتحن عباده بالمـال والنعيم ليظهر السمح الـكريم ويعرف الحريص البخيل . وآيات القرآن الكريم تتلألأ بالمعانى الانسانية الكريمة من حيث أن الدين جعل فى مال الأغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم ، وفرض الزكاة وجعلها ركنا من أركان الاسلام ، وحض على البذل والعطاء ، ودعا الى التصدق على الفقراء ، وجعل الانفاق فى سبيل الله دليلا على صدق الايمان ، تقوية للروابط بين أعضاء المجتمـع وتدعيما للصلات بين الأغنياء والفقراء ، واحياء للمعانى الانسانية .. حتى تنتشر المحبـة ويعم التراحم والتعـاطف وتقوم عـلاقة الناس على التـاصر والمشاركة فى الخير والتعاون على البر .. فتسعد الأمة ، وتسودها المودة ، وتحقق ما أمرها الله بقوله « وتعاونوا على البر والتقوى » (٥ م المائدة ٢).

وكما يكون الانفاق من المال يكون من الطعام ومن الملابس ومن الكساء .. فالله يقول فى من حنث فى قسمه « فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم .. » (٥ م المائدة ٨٩) .

وقد اهتم الدين الاسلامى بمصرف الزكاة وشروط من تدفع لهم الزكاة

ومال الزكاة ، كما اهتم بالسائل الذى يجب ألا ينهر •• ولا ينهى الاسلام عن الأخذ من غير السؤال ، ولكنه ينهى عن السؤال وخاصة من الملحفين ••

ومن ثم نجد أن أغلبية كبيرة من أعضاء مجتمعنا المعاصر يتصدقون عن حسن نية •• يتصدقون كأشخاص •• كما يتصدقون التصدق الجماعى • ولن يبلغ التصدق الفردى مهما عظم ما يبلغه التصدق الجماعى • وفى ضوء تعاليم الاسلام نجد أن للحاكم جمع الزكاة وصرفها لمستحقيها • ومع ذلك نجد أن الاسلام يحض دائما على السعى والعمل •• ولكن العبرة تكون فيما يتعلق بأذهان الناس من تفسيرات للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثة على التعاون على البر والتقوى • وهى تفسيرات فى حاجة الى علماء الدين لكى يعيدوا تفسيرها فى ضوء روح الاسلام الذى يحض دائما على السعى والعمل ، وفى ضوء قيم مجتمعنا الجديد الذى لا يقر السؤال أو التسول •• ويعمل على حماية كرامة الانسان • فالعمل المنتج ، فى هذا المجتمع ، طقس من الطقوس المقدسة •• وخير ما فى الانسان ، عنده ، هو عمله المنتج •• (٧)

ونحن شعب نؤدى النذور ونفى بها ، عادة ، وقد لا نفى بها أحيانا •• كما نؤدى القربان كذلك •• نفعل ذلك منذ الماضى السحيق •• حتى الآن • ونحن اذ ننذر •• نوفى النذر مشروطا •• واذا كنا نؤدى قربانا •• نفعل ذلك بقصد التقرب الى الله •• اعترافا بفضله •• أى بدون شرط •• ونحن ننذر لله جل وعلا •• كما ننذر لأولياء الله •• ونحن اذ ننذر قد ننذر صياما لله اذا تم مطلب معين أو ننذر مالا نقديا أو عينيا فى مقابل تحقيق رغبة شخصية نحن فى حاجة اليها أو فى مقابل دفع ضر نريد أن نتجنبه ونتحاشاه •

ومهما يكن من الأمر •• فاننا نلاحظ أن صور نذورنا عديدة •• فهى عينية كالذبائح والمأكولات والشموع والسجاجيد والحصر وأدوات

النظافة • وهى نقـدية •• وهى طقوسية كأن ينذر الشخص منا صـوما أو صلاة لله • وهنـاك صور أخرى •• كأن ينذر الشخص أن يكنس ضريح أحد الأولياء لمدة معينة ، أو ينذر تقديم خدمة معينة ، أو ينذر تقديم خدمة معينة لزوار هذا الضريح •• كأن يسقيهم ماء •• أو يقدم لهم طعاما ••

واننا نلاحظ ، فى مجتمعنا المعاصر ، أن الدولة تشارك أعضاء هذا المجتمع فى الاهتمام بموضـوع النذور •• فى شخص وزارة الأوقاف ، التى تهتـم اهتماما بالغا بحصيلة صناديق النذور بمساجد أولياء الله حتى أنها خصصت ادارة من اداراتها لتنظيم المبالغ التى تدرها هذه الصناديق ولتوزيعها ••

ولا ينذر المصريون المعاصرون نذورهم لأولياء الله الأموات فحسب بل وفى نفس الوقت غالبـا ما ينذرون للمشايخ القائمين عـلى خدمة هؤلاء الأولياء ، وخاصة اذا كان المتردد عـلى الضريح يأخـذ خدمة مباشرة فى الحـال كما سيتضح من السطور القليلة القادمة •

ويقدم الناس النذور وبعد اجابة طلباتهم كل حسب مقدرته ، فمنهم من ينذر شيئا مما يستهلك فى مسجد الضريح ، أو مأكولات توزع على العاملين بالمسجد ، ومنهم من ينذر نقودا يغيبها فى صندوق النذور التى تحملت وزارة الأوقاف تكاليف انشائه ؟!•

ومن الغريب ان الناس يقسمون بعض أضرحة أولياء الله الى مناطق نفوذ •• لكل منطقة بعض الاختصاصات ، وتتصل هذه الاختصاصات بنواحى الحياة المختلفة ، وأوسع هذه الاختصاصات انتشارا هو الناحية الطبية التى تتفرع منها عدة فروع نوردها فيما يلى :

ـ نجد أن المرأة المصابة بالعقم تتردد على ضريح الشيخ المغاورى تتمرغ على الأرض حول الضريح لتشفى من عقمها ، وتعتبر هذه العملية خدمة

مباشرة يؤجر عليها الشيخ الذى يعمل بضريح الولى والـذى يقوم فى نفس الوقت بتعديد مآثر هذا الولى فى شفاء العقم وانجاب الذرية الصالحة ولا يسمح لأى امرأة بالحصول على هذه الخـــدمة ما لم تنفح الشيخ المـذكور ما فيـه القسمة • وبعـد ذلـك تنذر نذرا ، توفيـه اذا ما تم الحمل ؟!•

- أما الشيخ أبو السعود فعيادته مفتوحة كل يوم ثلاثاء • وهى عبارة عن عدة فرق للزار تحتكر مكانا حول الضريح باسم علاج النساء اللاتى عليهن عفاريت ، وما على المرأة التى ترغب فى العلاج الا أن تدفع ما فيه القسمة ـ على الا يقل عن خمسة قروش لشيخة الزار التى تقوم بتبخيرها استعدادا للترنح فى « الدقة » التى يفضلها العفريت الذى عليها والذى سبب لها المرض بطريقة ما ، والذى سيشفيها من مرضها حين تترنح فى دقته المفضلة ـ والدقة فى الزار عبارة عن نغمات موسيقية تشترك فيها الآلات الوترية وآلات النفخ والايقاع والصاجات • وكل دقة لها لحن مميز ، وهى عادة نغمات موسيقية عنيفة ذات ايقاع راقص أقرب ما تكون الى موسيقى « الجز » • وتختلف النغمات حسب جنسيات العفاريت فهذا سودانى وآخر مغربى وثالث مصرى ورابع جركسى •• وهكذا •• ولاتنسى المرأة أن تنذر نذرا لأبى السعود توفيـه فى حالة شـفائها من المرض !

- أما الشيخ الشعرانى فاخصائى فى الأمراض النفسـية والعصبية وضيق الصدر و « الزهقان » • وما على المريض الا أن يغتســـل من ماء البئر الموجود بالمسجد ثلاثة أسابيع متتالية ينذر بعدها نذرا للشيخ الشعرانى يوفيه بعد شفائه • ولايتسنى للمريض الحصول على هذا العلاج الا بعد دفع مبلغ معين لحارس البئر ، ويختلف هذا المبلغ تبعا لكمية الماء •• •• فجردل الماء أغلى ثمنا من كوزه •

هذا بالنسبة لأمراض الكبار أما أمراض الأطفال فيختص بها عدد آخر من الأولياء كل حسب اختصاصه .

- فمثلا يختص أولاد نوح وأولاد عنان (٨) بالأمراض النفسية والعصبية التى تسببت فيها عين حسدت الطفل . ويقوم شيخ معمم فى ضريح الولى برقية الأطفال المرضى ، وفى الضريح ، أيضا ، يقوم هذا الشيخ بفتح الكتاب للطفل المريض ووصف الدواء له كأن يوصى أمه باختيار لون معين لملابسه والابتعاد عن لون آخر ، أو شراء خاتم من فضة عليه نقوش وتعاويذ ينتقيها هو وتكتب فى داخله ويلبسه الطفل . كل هذا نظير مبلغ معين من المال ،ونذر للولى يوفى بعد أن يشفى الطفل .

- أما الشيخ ريحان فيختص بالأطفال الذين انكفأوا فى عتبة فى وقت الصلاة فآذتهم العفاريت التى تسكن الأرض . وتبدأ اجراءات الشفاء بأن يمنح شيخ مختص فى الجامع مبلغا من المال ، يأخذ على اثره الطفل المريض ويدخله فجوة فى مقام الولى وهو يقرأ عليه بعض التعاويذ والأدعية ، ثم يخرج الطفل ، وينصح الأم بالنذر للشيخ ريحان ليأخذ بيد طفلها ويشفيه ، والتردد ثلاثة أسابيع لتكرار هذه العملية ، فاذا كان فى عمر الطفل بقية تتحسن حالته فى الأسبوع الثالث ويأخذ الشيخ حلاوة ذلك نقدا أو منحة عينية وكذلك يوفى نذر الولى . أما اذا كان العكس فان الطفل يموت ، هكذا يقول الشيخ للأم .

- أما نهر النيل العظيم فلم ينج من أفاقين يبتزون أموال البسطاء المطحونين بالعجز . فيشاهد على شط النيل فى منطقة كوبرى أبو العلا عدد من النساء الفلاحات يرتدين سراويل طويلة حتى الركبتين ويشمرن الجلاليب حتى الخصر ، ويقمن بعلاج الأطفال المصابين بحالات غير عضوية مثل كثرة البكاء أو كثرة السكوت أو العناد . وتبدأ العملية بقبض الثمن ثم تغطيس الطفل فى مياه النيل فى صلاة الجمعة ثلاث

مرات لمدة ثلاثة أسابيع متتالية • فاذا شفى الطفل أخذت المعالجة هدية وأخذ نهر النيل طقم ملابس الطفل يقذف به بين أمواجه •

– أما الخلافات والمشاكل الزوجية فلها ولى متخصص ، هو الشيخ يحيى يعالج حالات الهجر ، أو تزوج الزوج بزوجة أخرى ، وتذهب الزوجة وتنفح شيخ الضريح بعض المال فيسمح لها بأحد ثلاثة تصرفات – أو بها كلها – هى :

أولا – أن تكنس الضريح بملاءتها أو منديلها أو طرحتها ، وفى هذه الحالة يعود الزوج ، أو يطلق زوجته الثانية •

ثانيا – أن توقد شمعة بالمقلوب أى من الطرف الذى ليس له فتيل وذلك لمضايقة الولى فيتخذ أى اجراء فى صالحها •

ثالثا – أن تدلك مقامه بفصوص الثوم فيتضايق – لأنه مغربى ويكره رائحة الثوم – ويتحرك من رقدته ويتخذ الاجراء الذى تريده •

وتظل المرأة تتردد على الضريح وفى كل مرة تدفع النقود لشيخ الجامع ليسمح لها بالعمليات السابقة ، وقد تدفع مبلغا آخر لصندوق الولى ، وتنذر نذرا معينا اذا ما تم المراد !!

والأمثلة السابقة مجرد نماذج لبعض صور النذور فى مدينة القاهرة ، على أن هناك من الأولياء من تتسع اختصاصاتهم لتشمل أنواع الرعاية الاجتماعية المختلفة مثل الامام الشافعى والسيد البدوى والسيدة زينب ، والسيد الحسين ، والسيد عبد الرحمن القنائى •• •• الخ ، ويلجأ اليهم المواطنون بنذورهم لتحقيق طلباتهم التى يفترض دائما أن تقوم بها الدولة • (٩) •

وقد اكتشف الكاتب فى احدى الدراسات أن بعض الرسائل ترسل الى ضريح الامام الشافعى حيث يعد فيها مرسلوها بارسال النذور الى الامام الشافعى ان تحققت طلباتهم . وكان أكثر من وعد بارسال النذور من الاناث .. ونجد فى احدى الرسائل ، مثلا ، سـيدة كانت تحصل على معـاش من الضمان الاجتماعى ، وهى تشكو شخصا سمته وسمت أمه لأنه كان السبب فى حرمانها من هذا المعاش ، وتطلب من الامام الشافعى القصاص وتعده اذا نفذ هـذا القصاص فى الشخص المذكور بقولها « يا شافعى لك دبيحة ان بينت فيه » . وتشكو سيدة أخرى الى الامام الشافعى من شخص مجهول فتح صندوقها وأخذ مصوغاتها ، وتطلب من الامام ان يخلص حقها بمعرفته من هذا الشخص الذى لاتعرفه والذى تعتقد ان الامام يعرفه ، وتختم شكواها وطلبها بالعبارة الآتية : « ونبعتلك البشرى فى الخطاب » . وفى رسالة أخرى نجد سيدة تشكو شخصا معينا سمته وسمت والديه الى الامام الشافعى ، وموضوع الشكوى انه يعمل اسحارا ضدها وضد آخرين ينتمون اليها ، وتطلب من الامام الشـافعى قلب « الكتابة والاسحار » حتى يوفق الله بينهم ، وتعد الامام بقولها ، « والله يقدرك للعمل الصالح والنذر ٥٠ خمسون قرش نذر » . وسيدة أخرى تشكو الى الامام كل من يعتدى عليها وتستنجد به من الظالم ، ثم تخاطب رئيس المسجد قائلة « أعرفك لما ربنا يبلغ المقصود لك الحلاوة ان شاء الله » . وفى رسـالة أخرى نجد سيدة تبث شكواها الى الامام ضد شخص لاتعرفه ولكنها تقول « وانت ياسيدى الامام تعرفه شخصيا » ، وتطلب من الامام أن يظهره وان ينتقم منه ، وتختم الرسـالة بقولها « وان شـاء الله عندما يظهر البيان وتصـير سليمة سـنحضر لك شـخصيا وندفع لك ما فيـه النصيب » . وتشـكو سيدة آخرين الى الامام لأنهم « تعدوا عليها بالألفاظ التى تحزن النفس ويكتئب منها القلب » ، وتطلب منه أن يتصرف فيهم ، ثم تعد الامام قائلة « وان بينت فيهم يبقى لك عندى نايب كبير » . ومن الرسائل التى أرسلها ذكور نجد رجـلا يوكل الامام على كل من ظلمه وكل من غشه وكل من اعتدى عليه ، ويطلب أخذ الحق منهم ، ثم يعد الامام قائلا « ولك علينا نذر بأن نقوم لله بليلة للفقراء

وعلى قدر طاقتنا » • ورجل آخر نجده فى رسالة أخرى يخاطب الامام قائلا « أنا متعشم فى بطل منصان » ، ويطلب بعد أن يشكو اليه أمره احقاق العدل والحق ، ثم يعد الامام وهو يقول « ويبقى عادة على أن أدفع النذر فى كل سنة عند خلوص حقى » • ونجد فى رسالة أخرى رجلا يعرض شكواه على الامام ويقسم قائلا « أقسم بالله عندما تأخذ حقى من المعتدين لأعمل لك خاتمة لوجه الله وانفق على المحتاجين والفقراء وأقبل عتبة مقامك وأبرز جهدى فى سبيل كراماتك » • ونجد شخصا آخر يشكو الى الامام ممن كان السبب فى موت جاموسته ، ويطلب ايذاءه ثم يعد الامام بأن « نبعتلك نذر ٥٠ قرشا » • (١٠) •

والناس اذ يفعلون كل هذا •• والمسلمون منهم خاصة •• يفعلونه على الرغم من أن الاسلام ينهى عن الاعتقاد فى قبور الصالحين والأولياء أنها تنفع أو تضر أو تقرب الى الله تعالى أو تقضى الحوائج بمجرد التشفع بها « فان ذلك من عادة المشركين وقد يفضى ذلك الى ما كانت عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان ، وفى المنع من ذلك كلية قطع لهذه الذريعة المؤدية الى فساد العقيدة » • وهم يفعلون كل هذا •• على الرغم من ان الدين الاسلامى يعتبر نذر النــــذور من أعمال الجاهلية ومخالفا لدين الله ورسوله « ولو عرف الناذر بطلان ذلك ما أخرج درهما لأنه اضاعة للمال ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررا بل فيه المخالفة والمحاربة لله تعالى ورسوله ويجب رد المال الى من أخرجه •• وقبضه حرام ، لأنه أكل مال الناذر بالباطـل ، وفيــه تقرير للنــاذر على قبح اعتقاده وشنيع مخالفته • فهو كحلوان الكاهن •• ومهر البغى •• » (١١) •

٤ - ظاهرة التدين .. ..

ان القول بأن الشعب المصرى المعاصر شعب متدين لايختلف عليه اثنان .. والمقصود بظاهرة التدين هو الحرص على اداء الواجبات الدينية من فروض وسنن ونوافل .. ولعل وجود المساجد والزوايا التى لا تحصى .. ووجود الكنائس العديدة فى مجتمعنا ، ولعل تلاوة القرآن المستمرة التى تملأ المناخ الاجتماعى الثقافى لهذا المجتمع ، ولعل اذاعة آذان الصلوات من على المآذن أو عن طريق أجهزة الاعلام كالراديو والتليفزيون ، ولعل رنين أجراس الكنائس الذى لاينقطع ، لعل كل هذه الأمور وغيرها .. أن يؤكد وجود ظاهرة التدين ويؤكد احترامها وتقبلها .. كما يؤكد تأثيرها وآثارها .. فى محيط أعضاء مجتمعنا .. (١٢) .

ونرى هذه الظاهرة .. ظاهرة التدين .. بوضوح وجلاء فى محيط أعضاء المجتمع بعامة .. وفى محيط من يسكنون القرى أو من لايزال الشعور بالانتماء الى القرى عندهم قويا ، منهم ، بخاصة . والملاحظ فى الريف أن أعلا مكانة اجتماعية يعترف بها أعضاء المجتمع الريفى هى .. مكانة رجال الدين .. مهما كانت مستوياتهم الاقتصادية أو الثقافية .. ولعل مكانة رجال الدين فى الحضر أن ينافسها بعض المكانات الاجتماعية الأخرى التى يعترف بها أعضاء المجتمع الحضرى ، ومع ذلك فالمكانة الاجتماعية لرجال الدين فى الحضر مكانة اجتماعية عالية لا تزال ..

ويلاحظ أن مهنة رجال الدين ، كقادة اجتماعيين لهم مكانة اجتماعية عالية فى مجتمعنا مهنة قديمة جدا .. بل هى من أقدم المهن فى هذا المجتمع .. وهى مهنة تعمل فى ميدانها الانسانى فى ضوء تقاليد انسانية ، مثلها مثل مهنة الطب .

ونجد ثورتنا الواعية ، فى ضوء التغيرات الجذرية التى حدثت فى بناء مجتمعنا ووظائفه ، قـد استبقت مع ما استبقت بعض الأدوار الاجتماعيـة القيـادية التقليدية •• وكان على رأسها الدور الاجتماعى القيادى الذى يؤديه رجل الدين ••

ويلاحظ ، أيضا ، أن علاقة الدين بالطبيب ذات أهمية خاصة • وفى ضوء التاريخ نجد أن كلا من رجل الدين والطبيب ، فى بعض الفترات ، قد عملا معا فى انسجام وتآزر وتفاهم •• وفى أحيان أخرى نجدهما قد عملا فى سبيل تحقيق أهداف مماثلة وان كان اعترافهما بأهدافهما المشتركة اعترافا جزئيا • واذا رجعنا الى الماضى السحيق نجد أن مهنة الطب كانت ، ما فى ذلك من شك ، مجرد فرع من فروع مهنة رجال الدين • وكان من نتائج هذا الاتصال الوثيق بين المهنتين بعض الصعوبات ، وان كان يمكن أن ينتج عنه التعاون الضرورى بينهما ••

ومهما يكن من الأمر ، فسواء اعترف بهذا التشابه بين المهنتين فى الأصول والفروع والأهداف أم لم يعترف به •• فانهما ، فى واقع الأمر ، تتقابلان فى مواقف اجتماعية عديدة •• عند كوارث الولادة ، مثلا ، والأمراض الخطيرة ، وعند الموت • وهما يخدمان ، فى الواقع ، نفس الأشخاص • ان ما يعانى منه المريض قد يدفعه الى زيارة عيادة الطبيب •• كما يدفعه ، كذلك ، الى زيارة المسجد أو الكنيسة •• أو زيارة ضريح من أضرحة الأولياء أو القديسين ••

وبالاضافة الى ذلك نجد أن المهنتين فى حاجة ماسة الى الاعتراف بالاسهامات الرائعة التى قامت بهـا العلوم الانسـانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الانتروبولوجيا • ولايكتفى بالاعتراف •• ولكن يجب أن تعمل المهنتان جنبا الى جنب مع هذه العلوم • (١٣) •

٥ - الدعوات المستجابة ..

نحن شعب ندعو كثيرا .. ندعو الله .. وندعو الناس لكى يدعوا لنا الله .. ندعو للأحياء كما ندعو للأموات .. على السواء . ونحن اذ ندعو نعترف ، فى الواقع ، بافتقارنا الى الله الغنى الحميد ، كما نعترف باقرارنا بالعظمة لله القوى المتين . وما الدعاء ، في الواقع ، الا انصراف الداعى عن الناس وعن الاستعانة بهم أو الاستنجاد بهم .. الى الاستعانة والاستنجاد بالله جل وعلا ..

وللدعاء فى تراثنا الثقافى فضل كما له آداب .. فليس أكرم على الله من الدعاء . والدعاء عبادة .. ولا يرد القضاء الا الدعاء . ونحن نبدأ دعاءنا بالثناء على الله ، وأغلبية أعضاء مجتمعنا يستقبلون القبلة .. ويرفعون الأيدى حال الدعاء .. واذا دعونا الله فاننا نناجيه فى أغلب الأحيان ، فالله قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه . والدعاء الذى ندعوه دعاء التعميم .. لأن التعميم فى الدعاء أقرب الى الاجابة . وفى تراثنا الثقافى ترانا اذا دعونا لا نتجاوز الحد فى الدعاء فنحن لا نطلب .. أو يجب أن لا نطلب ، مثلا ، ما يستحيل شرعا.. ونحن اذا دعونا ندعو ، عادة ، الى ما فيه خيرى الدنيا والآخرة . ومهما كنا مقصرين فى حق الله فاننا ندعوه .. فان الله قد أجاب دعاء شر خلقه ابليس حين قال « رب انظرنى الى يوم يبعثون » (٣٦ ك الحجر ١٥) . ونحن اذ ندعو الله نختم الدعاء بالتأمين لأنه أضمن للاجابة ، فنحن اذ نقول « آمين » نقول فى الواقع « استجب يا الله » . واذا دعونا الله لا نستعجل اجابة الدعاء . لأن اجابة الدعاء أنواع منها الاجابة بعين المطلوب فى الوقت المطلوب ، ومنها تأخير الاجابة لوقت آخر لحكمة يعلمها الله تعالى اقتضت تأخيرها ، ومنها دفع شر بدله الله للداعى أو اعطاؤه أحسن مما طلب ، ومنها ادخار الدعاء ليوم القيامة لكون الداعي أحوج الى ثوابه فيه ..

ونحن ندعو فى كل الأوقات .. فى ساعات النهار أو ساعات الليل ، ندعو حين نفرح .. وعندما نغنى وفى أثناء الغناء وعندما لا نغنى .. وندعو حين نحزن .. وندعو عندما ننفرد بأنفسنا ، كما ندعو عندما نكون مع آخرين.. ومع ذلك فللدعاء فى تراثنا الثقافى أوقات مستحبة .. منها الثلث الأخير من الليل ، ومنها بين الآذان والاقامة ، ومنها فى السجود ، ومنها فى ساعات الجهاد . ويوم الجمعة يرى أغلبية أعضاء مجتمعنا فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء .. قيل أنها من طلوع الفجر الى طلوع الشمس .. ومن العصر الى الغروب .. وقيل غير ذلك ..

وقد جاء العديد من الأحاديث النبوية الشريفة بالأدعية فى المناسبات المختلفة ، وليس للمسلم أن يفضل على الصيغة التى اختارها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه عليه الصلاة والسلام أعرف بالأفضل والأكمل .. ومن هذه الأحاديث ما يتضمن دعاء الصباح ودعاء المساء ودعاء الليل والدعاء عند النوم والدعاء عند القيام من النوم ، ومنها دعاء قضاء الحاجة ودعاء بعد الوضوء .. ودعاء الخروج الى المسجد ودعاء دخول المسجد والخروج منه . ومنها دعاء الوسيلة ودعاء الاستفتاح ودعاء الركوع والسجود والدعاء بين السجدتين والدعاء قبل السلام والدعاء عقب السلام والقنوت فى الوتر والدعاء بعد ركعتى الفجر ودعاء سجود التلاوة ودعاء الضحى ودعاء التوبة ودعاء ليلة القدر ، ومنها دعاء اللباس وأدعية الزواج (ليلة الزواج ووقت الجماع) ودعاء من تناول طعاما ودعاء رؤية الهلال ، ومنها تشميت العاطس ، ومنها دعاء الحاجة والكرب والدعاء عند الخوف والدعاء لمن أسدى للداعى معروفا ودعاء ختم المجالس ، ومنها الدعاء للمريض والدعاء للميت وقت الصلاة عليه وبعد دفنه والدعاء له بعد ذلك ، ومنها الدعاء للحاج وتهنئته ودعاء المسافر ..

والمسلمون منا يدعون دعاء ليلة النصف من شهر شعبان ، كما يدعون دعاء قراءة عدية يسن ، ودعاء السبع الآيات المنجيات .. كما يدعون في ليلة الاسراء

والمعراج • ويدعو المصريون ، على وجه العموم ، بالستر ، وبخاصة ستر العرض ، فيقولون « ربنا يستر عرضنا » ، ولعل القيمة الاجتماعية التى تمثل العرض فى مجتمعنا أن تكون قيمة لها قداستها ورفعتها •• ومن ثم فان ستر هذا العرض يعنى حفظ هذه القيمة الاجتماعية المقدسة الرفيعة •• وكم من جرائم ارتكبت فى سبيل حفظ هذه القيمة الاجتماعية فى مجتمعنا •• انالكثير من جرائم القتل وغيرها من جرائم العنف التى تقدم الى محاكمنا دليل ساطع على مدى اهتمام أعضاء هذا المجتمع بحفظ هذه القيمة الاجتماعية •

ومن الدعوات المستجابة دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم ودعوة الامام العادل ودعوة الصائم حين يفطر ، ومن أقرب الأدعية الى الاجابة وأسرعها دعوة غائب لغائب •

والشخص المؤمن حقا هو الذى يتوجه بسؤاله الى الله ، ولا يسأل سواه •• فمن لم يسأل الله يغضب عليه •• يسأله جل شأنه بلسان لم يعصه به ، والدعاء بالاسم الأعظم دعاء مستجاب ، وطلب الدعاء من الصالحين مباح ••

والملاحظ أن الكثير من أعضاء مجتمعنا يدعون ، أحيانا ، غير الله سبحانه وتعالى •• فهم يسألون الأحياء من الحكام والأمراء ، وهم يسألون الأموات من الأقارب أو الأئمة أو الأولياء أو القديسين •• يطلبون منهم قضاء حاجاتهم أو يشكون اليهم مما يصيبهم من ظلم أو عنت ••(١٤)

ونحن ، كشعب ، ندعو لأنفسنا وندعو لغيرها من أحبائنا ومن فى حكمهم كما ندعو على أعدائنا ومن فى حكمهم • وتراثنا الثقافى مملوء بالدعوات ضد الأعداء ومن فى حكمهم •• وذلك بطلب الانتقام منهم عن طريق اصابتهم باصابات جسمية أو بالموت أو بالهلاك أو بالانتقام من أولادهم أو بتشتيتهم أو بتخريب ديارهم•• الخ ، ويلاحظ أن طلبات الانتقام هذه تظهر ما فى نفوس

الداعين من غل ومن حقد ومن مرارة ، اذا لاحظنا أن الدوافع اليها لا تبرزها في الكثير من الأحيان ..

ومن الدعوات الشائعة نجد أنه عندما يتزوج رجل زوجة ثانية .. تدعو الزوجة الأولى على الثانية دعوات تتصل ، عادة ، بعدم انجاب الأطفال ، « لا تطول ولا تنول ولا تداوى ولا تنادى طول عمرها » .. و « كل من قطعنى من زوجى أقطعها من ولدها وأستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تلف » ..

ودعوة تخريب الديار قد تكون دعوة جادة أو دعوة هازلة .. فالمعروف أن عبارة : « الله يخرب بيتك ! » أو عبارة « ادعوله ادعوله .. يخرب بيت أبوه ! » من العبارات التى يرددها بعض الناس فى الكثير من الأحيان ، وقد يتبادلونها وهم جادون أحيانا ، أو يتبادلونها وهم هازلون أحيانا أخرى . وفى هذا الضوء يمكننا أن نصل الى نتيجة معينة هى : اذا كان الهازلون والجادون من هؤلاء الناس قد استوى عندهم معنى (خراب البيوت) وهان عليهم ، فان عمارها قد استوى معناه عندهم وهان عليهم كذلك . أى أن الكثير من الناس فى مجتمعنا قد لا يهمهم ، فى كثير أو فى قليل ، عمار بيوتهم أو خرابها . ولعل المعنى فى أذهانهم غير الواعية أنه لا توجد عندهم بيوت يحرصون على كيانها ، ومن ثم فخرابها أو عمارها سيان عندهم ، وكأن لسان حالهم ينطبق عليه المثل الشعبى القائل « ضربوا الأعور على عينه .. قال خسرانة خسرانة » .. (١٥)

وقد ندعو ضد أعدائنا ومن فى حكمهم بقصد الوقاية من شرهم . وقد يكون هؤلاء الأعداء معروفين أو مجهولين .. فنقول ، مثلا « ربنا يكفينا شر الحاكم الظالم » و « ربنا يكفينا شر المؤذين » و « ربنا يكفينا شر ولاد الحرام » .. وليس ، بالضرورة ، أن يكون الأخيرون ، فعلا ، من الأبناء غير الشرعيين . وقد ندعو ضد شر « بتاع الناس » ، فنقول ، مثلا ، أو يقول بعضنا ، مثلا ، « ربنا يكفينا شر بتاع الناس » والمقصود ما يملكه الآخرون

ولا يحق لنا ، أن نأخذه ظلما •• أى ربنا يكفينا شر المال الحرام ، وذلك لأن «بتاع الناس كناس» أى أن المال الحرام يذهب ويذهب معه المال الحلال • وقد ندعو دعوات جامعة مانعة ضد عناصر الشر غير المعروفة مجتمعة •• فنقول : «ربنا يكفينا شر الطريق» ، أو «ربنا يكفينا شر المخبى» •• والملاحظ أنه ليس كل ما هو مستتر أو مخفى •• أى ليس كل ما هو « مخبى » ، بالضرورة ، أن يكون شرا أو أن يجلب الشر •• ولكنه فى تصور الكثيرين أمر رهيب لأنه غير معروف أو غير متوقع •• وقد يكون أى شىء قبيح أو أى أمر سىء يحدث فجأة دون ما توقع أو انتظار • ومع ذلك فالدعاء ضد شر « المخبى » يعنى أنه ، عند الكثيرين من الناس ، أمر آت لا ريب فيه •• وأنه سيف مسلط ، باستمرار ، على رؤوسهم رضوا بذلك أم لم يرضوا •• ، وان شره أكثر من خيره •• وأنه من الخير أن يتوقوا شره بالدعاء ضده • ولعل كل ذلك أن يعنى أن الكثيرين من أعضاء مجتمعنا المعاصر ، وهم ينظرون الى حياتهم أو الى دنياهم ، يرجحون نظرة التشاؤم على نظرة التفاؤل ••

وكما يدعو الأحياء فى مجتمعنا المعاصر ، نجد ، فى تراثنا الثقافى ، أن الأموات يدعون كذلك •• فنجد على قبور المصريين القدماء كلمات الاستغاثة منقوشة وهى تحض عابرى السبيل على ترتيل الدعوات بالنيابة عن المتوفى ••

« أنت الذى تعيش وتبقى ، أنت الذى تحب الحيـــاة »

« وتمقت الموت ، كـل من يمر الى هـذا القبـــر ، »

« كما تحب الحيـــاة ، وتمقت الموت ، لهذا السبب »

« فانك تهب لى بكل ما فى يديك • وان كنت صفر »

« اليدين ، فتحدث بفمك كهذا :

« ألف من الخبـــز ، ومن الجعـة ، ومن الثيران »

« ومن الأوز ، ومن أوعيــة مصــنوعة من الرخــام »

« ومن النيــل • ألف من كــل الأشــــياء النقية الى »

« المــوقر انيوتيف Enyotef بن انيـــوتيف »

« ابن خيو Khnu » •

وفى الوقت الحاضر •• كثيرا ما نشاهد على شواهد قبور بعض الموتى من المسلمين كتابات مماثلة ، تحض زائريها على ترتيل الدعوات •• منها :

« يا زائرى هــــل لى من دعــوة صــــالحة »

« ابســط يديك الى الســـماء واقــــرأ »

« لروحى الفاتحة » • (١٦)

٦ - الذكر

اننا .. نحن المصريين .. نذكر الله كثيرا . فقد أمرنا سبحانه وتعالى بالاكثار من الذكر . أى أننا ، فى ضوء عقائدنا .. وقيمنا الدينية الأصيلة ، لا ننسى الله .. ولا يمكن أن ننسى الله . ونحن اذ نذكر الله .. تجرى على ألسنتنا وقلوبنا من تسبيحه جل وعلا وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .. (١٧)

ان من يذكر الله ، جل وعلا ، يذكره . فهو عند ظن عبده به ، وهو معه حين يذكره .. « فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان اقترب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان اقترب الى ذراعا اقتربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة » ..

وقد خص الله سبحانه أهل الذكر بالتفرد والسبق ، وأنهم هم الأحياء على الحقيقة ، فالذكر رأس الأعمال الصالحة ، وهو سبيل النجاة ، وان ما يذكره الناس « من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش ، لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟ » ..

وقد أمر الله جل ذكره .. بأن يذكر ذكرا كثيرا .. وأن يذكر فى كل وقت من الأوقات . نذكره جل شأنه دون حد معلوم .. نذكره قياما وقعودا وعلى الجنوب ، بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال ..

وكل عامل لله بطاعة لله فهو ذاكر لله .. ومجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتنكح وتطلق ..

وتحج وأشباه ذلك ؟ ومجلس ذكر يعني مجلس علم وتذكير ..

والمقصود من الذكر تزكية الأنفس وتطهير القلوب ، وايقاظ الضمائر . والذاكر حين ينفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه .. يمده الله بنوره فيزداد ايمانا الى ايمانه ، ويقينا الى يقينه ، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (١٣ م الرعد : ٢٨) .

واذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى ، وأخذ سبيله اليه ، دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ، ولا دوافع الشهوة . ومن ثم عظم أمر الذكر ، وجل خطره في حياة الانسان ، ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يلفظه اللسان .. فان حركة اللسان قليلة الجدوى ما لم تكن مواطئة للقلب .. وموافقة له .. « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين » (٧ ك الأعراف : ٢٠٥) .

ومن آداب الذكر أن يكون الذاكر نظيف الثوب طاهر البدن طيب الرائحة .. فان ذلك مما يزيد النفس نشاطا ، ويستقبل القبلة ما أمكن .. فان خير المجالس ما استقبل به القبلة ..

وحلق الذكر هي رياض الجنة .. « فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر .. فاذا أتوا عليهم حفوا بهم » ، ويباهي الملائكة من جلسوا يذكرون الله تعالى ويحمدونه على ما هداهم للاسلام ومن به عليهم ، واذ تحف الملائكة بالذاكرين الله تعالى .. تغشاهم الرحمة .. وتنزل عليهم السكينة .. ويذكرهم الله فيمن عنده ، و « ما قال عبد : لا اله الا الله قط مخلصا الا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى الى العرش .. ما اجتنبت الكبائر » وان تجديد الايمان هو نتيجة الاكثار من قول : لا اله الا الله ،

وأن أفضل الذكر : لا اله الا الله .. وأفضل الدعاء : الحمد لله ، و « لان أقول سبحان الله .. والحمد لله .. ولا اله الا الله .. والله أكبر .. أحب الى مما طلعت عليه الشمس » ، وأن أحب الكلام الى الله : سبحان الله وبحمده ، و « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » ، و « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة .. كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا عمل أكثر من ذلك » : رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .. وزاد مسلم والترمذى والنسائى « ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » . ومن لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

ومن جوامع الذكر .. أن نقول : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، ومنها : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك . وعن ابن عمر رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك ، فعضلت بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها .. فصعدا الى السماء فقالا : ياربنا ان عبدك قد قال مقالة لاندرى كيف نكتبها ؟ قال الله ، وهو أعلم بما قال عبده ، ماذا قال عبدى ؟ قالا : يارب ، انه قد قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك ، فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها .. » : رواه أحمد وابن ماجه . (١٨)

واذا ذكرنا نعد الذكر على الأصابع .. أو نعده على «السبحة» ..والتسبيح على الأصابع أفضل من السبحة وان كان يجوز العد عليها (١٩) ، واذا ذكرنا يكون ذكرنا « ذكر الله تعالى الوارد فضله فى الكتاب العزيز والسنة المقدسة، وهو المتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطرق المتواترة والآحاد الصحيحة ، ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام أفصح العرب وأبلغهم وأصحابه الآخذون عنه هم من الفصاحة والبلاغة بالمكان الأعلى واللسان الأغلى ، والقرآن العزيز والسنة المطهرة .. انما أخذا عنهم على الحال الواصل الينا بطريق التواتر أو الآحاد الصحيحة من المد أو القصروالتفخيم أو الترقيق والادغام أو الفك ونحو ذلك .. » (٢٠)

٧ ـ ظاهرة العصبية فى مجتمعنا ..

المقصود بظاهرة العصبية هو العلاقات الاجتماعية الوثيقة التى تربط بعض جماعات المجتمع أو أعضاء هذه الجماعات . وتبنى هذه العلاقات الاجتماعية الوثيقة ، عادة ، عن طريق القرابة التى تستند على وحدة النسب ، سواء كان بمعناه الضيق ، أو كان بمعناه الواسع .. أى الذى يتضمن الحلف والولاء والدخالة . (٢١)

واذا لاحظنا نوع العلاقات الاجتماعية الوثيقة المشار اليها نجد أن هـذه العلاقات هى علاقات تعاضد الجماعات أو أعضائها وتناصرهم واتحادهم وقوة شوكتهم وحمايتهم من العدوان الخارجى ، مهما كان لون هذا العدوان ..

وكلما توجد ظاهرة العصبية فى محيط جماعات المجتمـع نتوقع الترابط الوثيق بين هذه الجماعات وأعضائها .. كما نتوقع ، فى ضوء بعض الظروف الاجتماعية ، التطاحن بين هذه الجماعات نفسها .. أى أن آثار هذه الظاهرة ، مثل كل الظواهر ، انسانية كانت أو مادية ، آثار غير مطلقة .. أى أنها قد تؤدى الى الخير الذى يتوقعه المجتمع ، أو قد تؤدى الى الشر الذى يحاول المجتمع أن يتجنبه ..

ونجد ظاهرة العصبية ، فى مجتمعنا المعاصر ، فى محيط جماعات الريف كما نجدها فى محيط جمـاعات المدينة التى لا يزال الشـعور بالانتماء الى الريف عند أعضائها قويا . ويعنى هذا أن العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص الذين يعيشون فى ريفنا المصرى تكون ، عادة ، علاقات وثيقة .. عـلاقات الوجه للوجه .. أى هى علاقات شخصية . وأن العـلاقات الاجتماعية بين الأشـخاص الذين يعيشون فى المناطـق المصـرية الحضرية تكون ، عادة ، علاقات غير وثيقة .. علاقات ثانوية .. أى هى علاقات غير شخصية . ويعنى هذا ، أيضا ، أن قيمة الشخص ، قيمته الاجتماعية ، فى الريف ، كبـيرة

جـدا .. فهو .. اذ يقوم بأدواره الاجتمـاعية فى استطاعته أن يضر وأن ينفع .. أى أنه يستطيع أن يقف فى سـبيل تحقيق رغبات من حـوله أو ييسرها . أما فى المناطق الحضرية .. فنجد أن قيمة الشخص الاجتماعية ، بسبب طبيعة ظروف الحيـاة فيها ، ليست كـبيرة .. لأنه فى هـذه المناطق تسـتبدل بقيمة الشخص ، كشخص ، قيمـة أخرى تمثل فى المـال بكل صوره .. نقود .. ممتلكات .. سلع .. الخ ، ذلك لأن العلاقاتالاجتماعية فى المنـاطق الحضرية علاقات ، فى الغالب ، كما سـبق أن أوضحنا ، غـير شخصية . والمال فى المناطق الحضرية ، بكل صوره ، يقوم ، فى الواقع ، بتحقيق رغبات الأشخاص الذين يعيشون فى هذه المناطق . وقلة المال ، فى الواقع ، فى معظم الأحـوال ، تكون حجـر عثرة فى سـبيل تحقيق هـذه الرغبات . والمال فى المناطق الحضرية ، بكل صـوره ، علامة من علامات النجاح فى الحياة . والنجاح فى الحياة هدف كبير يسعى الأشخاص العاديون الى تحقيقـه .. سـواء كانوا يعيشـون فى المناطـق الحضرية أو يعيشـون فى المناطق الريفية . والحصول على هـذا الهدف فى المناطق الأخـيرة .. هو الحصول لا على المال بقدر الحصول على كسب تأييد الأشخاص . فأعضاء الأسرة الكبيرة (العائلة) فى المناطق الريفية أقرب الى تحقيق النجاح فى الحياة من الأشخاص الذين ينتمون الى أسر أصغر ، وهم ، من باب أولى ، أقرب من الأشخاص غـير المنتمين الى أسر .. والأقربون أولى بالمعـروف و « أنا واخويا على ابن عمى وانا وابن عمى على الغريب » .. (٢٢)

ونحن فى ضوء ظروف بناء مجتمعنا الاشتراكى المعاصر .. نجد أنالمناطق الحضرية فيه تزداد يوما بعد يوم .. ومع ذلك فاننا نجد ، أيضا ، أن ملامح ظاهرة العصبية لا تزال ، فى بعض مناطقه ، قائمة .. ومتسلطة . ولعـل الوقت قد حان لكى ندرس آثار هذه الظاهرة ، دراسة علمية ، لكى نفهمها .. ومن ثم نستطيع أن نوجهها نحو الخير الذى يتوقعه المجتمع الجديد ..

أو أن نوجهها عن الشر الذى يحاول هذا المجتمع أن يتجنبه . والملاحظ أن الدين الاسلامى دين الجماعة ، وهو دين الاتحاد والوئام . تراه دائما ينفر من التفرقة .. كما ينفر من العصبية .. ويؤكد كل هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة فمات .. فميتته جاهلية . ومن قاتل تحت راية عميه يغضب لعصبته ، ويقاتل لعصبته ، وينصر عصبته فقتل .. فقتلته جاهلية ، ومن خرج عن أمتى يضرب برها فاجرها لا يتحاشى لمؤمنها ، ولا يفى لذى عهدها فليس منى ولست منه » .

٨ - ظاهرة التعصب فى مجتمعنا .. ..

يقصد بظاهرة التعصب التحيز ضد شخص معين أو ضد جماعة من الجماعات • ويبنى هذا التحيز ، عادة ، على أساس الانفعال الزائد على الحد الذى يندفع من شخص معين ضد شخص آخر أو من جماعة معينة ضد جماعة أخرى • وتتضمن ظاهرة التعصب ، بالضرورة ، صورة من صور الشعور بالعداوة • وقد يكون هذا الشعور بغضا مقنعا ، أو يكون فعلا بغيضا موجها ضد شخص (فرديا) ، أو ضد جماعة من الجماعات (جماعيا) • وما الفعل البغيض الفردى أو الجماعى الا تعبيرا ظاهرا عن الشعور بالعداوة ..

والتحيز ضد الأشخاص أو ضد الجماعات شىء يكتسب .. أى أنه ، عادة ، شىء يتعلمه البشر • ونحن نلاحظ الأطفال الصغار قبل سن الالتحاق بالمدرسة قلما يظهرون تحيزا ، بالمعنى المفهوم ، ضد شخص من الأشخاص أو ضد جماعة من الجماعات مثل الجماعات العنصرية أو مثل الجماعات الثقافية (Ethnic groups) • وربما يكون التحيز عند الشخص البالغ ضد آخر أو ضد جماعة أخرى أمرا مستقلا عن خبرة هذا الشخص .. خبرته الشخصية • أى أن بعض التحيزات كثيرا ماينشأ أو يكون قد نشأ دون أى اتصال مباشر بأعضاء الجماعة أو الجماعات التى يكون التحيز ضدها • أى أن الاتجاهات العنصرية ، مثلا ، ليست ، بالضرورة ، نتيجة من نتائج خبرات الاتصال المباشر .. أو احدى وظائف هذه الخبرات ..

وعندما يتيح المجتمع فرصة وجود الطبقات الاجتماعية أو حتى وجود بعض الفئات الاجتماعية المعينة فيه .. نجد ، فى مجالات العلاقات الجماعية ، ظهور درجة من التحيز المعادى اذا بدا وضوح هذه الطبقات الاجتماعية أو هذه الفئات الاجتماعية ، جليا ، كما بدت المنافسة بينها .. (٢٣)

والملاحظ أننا قوم لا نتعصب .. ترى السماحة تعطر مناخنا الثقافى .. وترى المحبة شعارا لامعا من شعارات ثقافتنا ، ويعيش أعضاء المجتمع .. الرجال منهم والنساء والأطفال ، على وجه العموم ، يتعاونون ويتصارعون.. ولكن الصراع بينهم يتبدد بكلمة طيبة أو بابتسامة مضيئة أو بدعابة من الدعابات .

ومع ذلك فاننا اذ نقول « صاف يا لبن .. حليب ياقشطة » . بقصد ازالة الحزازات .. واذ نقول « غضب المؤمن كالبرق اللامع » بقصد عدم استمرار هذه الحزازات ، نقول كذلك « عدو زمان مالوش أمان » بقصد الحذر المستمر من الأعداء ، وبقصد الوقاية المستمرة من شر الأعداء ..

والملاحظ ، أيضا ، أننا قوم فينا عصبية بكل عناصرها .. أى بعناصرها الايجابية والسلبية جميعا . وقد ورثنا هذه العصبية ، اجتماعيا ، فى ضوء ظروف مجتمعنا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، من العهود السابقة .. ومع ذلك فان قيم مجتمعنا الايجابية .. وهى عديدة .. لا تدعو الى التعصب ، بالمعنى السابق ، أى بآثاره البغيضة ، بقدر ما تدعو الى دعم الولاء.. أى الى تبادل الشعور بالمحبة والاهتمام والتقويم الى الأصلح ، والى ازالة أسباب التوتر والحماقة والتعاسة ..

ومع ذلك فان صورا من صور ظاهرة التعصب توجد فى محيط بعض جماعات مجتمعنا المعاصر .. أى أن بعض ألوان التعصب .. وهى ألوان قليلة جدا .. تظهر من حين الى حين .. وهى تظهر ، حتما ، عند المنافسة الشديدة ، المحتملة أو المتوقعة ، الفردية أو الجماعية ، من أجل الحصول على المكانة الاجتماعية المرموقة أو الحراك اليها فى مجالات العمل أوالسياسة (الانتخابات) ، أو حتى من أجل الحصول على لقمة العيش . وهى تظهر ، فى بعض الأحيان ، عند الزواج ، وتظهر هذه الألوان ، فى مجتمعنا ، عادة ،

عندما تتميز طائفتان من الناس يتصلون بعضهم ببعض ، بسمات متباينة .. ليست سمات فطرية أو عنصرية ولكنها ، فى الغـالب ، سمات ثقافية . ومع ذلك فاننا نجد ، فى مجتمعنا ، على مستوى الأشخاص ، بعض المعانى المحببة التى يعطيها هذا المجتمع لـ « الخال » أو « الشامة » ، و « طابع الحسن » ، و « اللون الأسمر » . كما نجد ، أيضا ، المعانى الاجتماعية للرجل «الأشقر» « عدو الشمس » ، وللرجل الذى لا شارب له ولا لحية « الأجرود » .. و « صباح القرود ولا صباح الأجرود » ، وللرجل الطويل نسبيا « طويل وهبـل » .. والقصير نسبيا « قصـير ومكير » و « شبر وقطع » وغيرها من المعانى الاجتماعية التى تعطى لذى الستة الأصابع .. وأصحاب العاهات مثل الأعور « أبو فانوس مطفى » وغيرهم وغيرهم . وكلها معانى اجتماعية غـير محببة ولا مقبولة فى مجتمعنا ، ولكنها لا تحمل فى طياتها ذرة من التعصب الفطرى أو العنصرى .. وان كانت تحمل فى طياتها مجرد السخرية اللاذعة فى بعض الأحيان .. (٢٤)

٩ - اللغة السرية ..

يعنى مفهوم « اللغة » الوسيلة الانسانية غير الغريزية التى توصل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة ارادية، واللغة .. فضلا عن ذلك .. عون آلى للتفكير ووسيلة للتسجيل وللرجوع الى ما يسجل . وقد يرى بعض العلماء أن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل ، بل ان وظيفتها أن تكون حلقة فى سلسلة النشاط الانسانى المنتظم ، وأنها جزء من السلوك الانسانى وضرب من العمل . ومهما تكن وظائف اللغة فهى ، بالضرورة ، وظائف اجتماعية ..

واللغة تميز الأفراد أو الأشخاص حسب ما يتميزون من أصوات طبيعية أو لوازم أو عيوب عضوية أو عيوب عضوية نفسية أو تحصيل ومعرفة بها ، وهى .. أى اللغة .. تميز الفئات والجماعات حسب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمهنية .. (٢٥)

والملاحظ أن الأطفال ، كفئة ، قد يستخدمون فيما بينهم لغة خاصة بهم ، وهم يستعملونها خشية سلطة الآباء أو الأمهات أو من فى حكمهم من المدرسين أو النظار ، ونجد كل فئات الشباب وطلاب الجامعة والموظفين الصغار وغيرهم .. فى ضوء الخشية من سلطة معينة ، يصطنع أعضاؤها مفردات وتعبيرات لا يعرف معناها من ليس منهم أو من لم يتصل بهم ويكشف عنها . وهذا ما يعبر عنه باللغة السرية الخاصة بأعضاء هذه الفئات ..

والملاحظ ، أيضا ، أن المجرمين ، بفئاتهم ، كالنشالين ومتعاطى الحشيش و « القوادين » والمزيفين والمتشردين .. الخ لهم لغاتهم السرية ، يستعملونها خشية سلطة المجتمع وعقابه فى شخص رجال الشرطة ورجال القضاء ، أو خشية المجنى عليهم وعقابهم .. (٢٦)

والملاحظ ، كذلك ، أن مفردات اللغة السرية وتعبيراتها هى ، فى الأصل، مفردات وتعبيرات فى اللغة المشتركة ولكنها أعطيت دلالات جديدة .. واعتمدت على الاستعمالات المجازية . وقد تستعمل فى اللغة السرية كلمات مأخوذة من لغات أجنبية محرفة أو غير محرفة ، وقد يخترع بعض الكلمات والتعبيرات ، فيها ، اختراعا .. ومهما يكن من الأمر فان هذه اللغة ليست ثابتة .. أى أن ألفاظها غير ثابتة ولا مستقرة ، بل هى ، ككل شىء مادى أو غير مادى ، فى تغير مستمر .. وذلك تبعا لمدى سريتها أو معرفة الأشخاص الآخرين أو المسئولين بها .

ويماثل اللغة السرية ، فى بعض الأحيان ، لغة الدعابات « التنكيت » . والملاحظ أن الدعابات « النكت » أنواع .. منها النكت الاجتماعية ومنها النكت السياسية ومنها النكت الفنية أو الشكلية . والنكت الأخيرة هى التى تعتمد أساسا على الاستعمالات المجازية ، دون المضمون ، وذلك بهدف الاضحاك لذاته . والنكت الاجتماعية والسياسية تكون ، فى ضوء بعض الظروف ، نكتا علنية .. وقد تكون ، فى ضوء بعض الظروف الأخرى ، نكتا سرية .. ومن ثم يمكن اعتبارها من قبيل اللغة السرية ..

والنكت الاجتماعية أو السياسية السرية .. هى ، فى الواقع ، تعبير عن رأى عام معين فى بعض قضايا المجتمع يلجأ اليه أعضاؤه ، عادة اذا لم تتوافر لهم المنافذ الاجتماعية غير الضارة الأخرى .. .. أى عندما لا تتوافر لهم الأساليب التى يمكن عن طريقها أن تفرغ شحنات الدوافع العدوانية (الناتجة عن ظروف حياتهم أو الناتجة عن عدم وجود هذه النوافذ) ، عندهم ، بشرط أن لاتخرق هذه الأساليب القواعد الأساسية اللازمة لبقاء كيان النظام الاجتماعى . وتتضمن هذه الأساليب ، أهم ما تتضمن ، سيادة مبادىء الديمقراطية بأنماطها وممارستها . ومن هذه الأساليب ، وبخاصة التى تيسر تفريغ شحنات الدوافع العداونية عند أعضاء المجتمع ، ما يوفره المجتمع من ألوان الفنون والرياضة

واحياء المواكب والاحتفالات والمهرجانات فى الأعياد وفى غيرها . والملاحظ أن الفنون ، بأنواعها ، لا تؤدى دور المنافذ غير الضارة فى المجتمع فحسب ، بل هى على اختلاف صورها ومنابتها ، كما يعلم القارىء ، من الوســائل الانسانية التى تؤكد سبيل الاتصال السلمى والتفاهم الواعى بين الشعوب كذلك .. (٢٧)

ويشتهر مجتمعنا ، كمعظم المجتمعات البشرية ، بممارسة لغة الدعابات .. فالملاحظ أن روح الدعابة تسرى فى نفوس أعضائه وكأنها سمة طبيعــة فيهم . تراهم يصيغون النكت بألوانها يضحكون بها على الناس أو يضحكون بها على أنفسهم . وهم يلجأون ، فى بعض الأحيان ، الى النكت الاجتماعية أو السياســية العلنية ، كما يلجأون ، فى بعض الأحيــان الأخــرى الى النكت الاجتماعية أو السياسية السرية ..

١٠ - من مقومات المكانة الاجتماعية .. في مجتمعنا ..

يقصد بالمكانة الاجتماعية التقدير الاجتماعى الذى يخلعه المجتمع أو جماعاته على عضو من أعضاء المجتمع . وتتضمن عناصر هذا التقدير الاحترام والخشية والاعجاب .. كلها أو بعضها أو واحدا منها . ويلاحظ أن كل عضو من أعضاء المجتمع له مكانة اجتماعية معينة . ولكننا نجد ، على مستوى المجتمع ، أو على مستوى الجماعات ، من هم أعلى مكانة اجتماعية من غيرهم.. كما نجد من تكون مكانتهم الاجتماعية فى الحضيض .

ومهما يكن من الأمر .. فانه يجب أن يلاحظ أن المكانة الاجتماعية ، بالمعنى السابق ، ليست مفهوما مطلقا . فقد يوجد شخص لا يأبه له أحد فى ظروف معينة .. قد تكون ظروفا مكانية أو ظروفا زمانية .. ومع ذلك نجده فى ظروف أخرى ملء السمع وملء البصر ..

وقد تتحدد مكانة الشخص الاجتماعية بالوراثة الاجتماعية أو الوراثة البيولوجية عن طريق ظروف أسرته الاجتماعية أو فئته الاجتماعية أو طبقته الاجتماعية أو عن طريق نوعه ولونه ووسامته وجماله .. وقد تكتسب المكانة الاجتماعية فى ضوء بعض المقومات : منها مستوى الشخص الاقتصادى، ومنها الدور الذى يؤديه ، ومنها مستواه الثقافى ، ومنها مستواه الصحى ، ومنها مستوى المسكن الذى يسكن فيه ومستوى المكان (فى المدينة أو فى القرية) الذى يقع فيه المسكن .

وفى عصرنا الحالى نجد أن المكانات الاجتماعية التى تورث اجتماعيا أو بيولوجية تقل يوما بعد يوم..وبمرور الزمان ، وفى ضوء انتصارات الانسان المعنوية والمادية المذهلة .. نرى أن الأمل كبير فى اختفاء المكانات الاجتماعية الموروثة فى المستقبل القريب ..

ونجد في مجتمعنا المصرى المعاصر ، فى ضوء تاريخه الطويل المستمر ، أن الآباء والأمهات ورجال الدين والمدرسين وقادة الفكر ورجال القضاء ورجال الشرطة وضباط الجيش وأصحاب المناصب القيادية العامة أو الخاصة، على وجه العموم ، لهم مكانات اجتماعية عالية مكتسبة فى مجتمعنا • وفى مجتمعنا نجد كذلك •• بعض الأشخاص مثل رجال الطرق الصوفية •• والمجاذيب ومن فى حكمهم •• وكبار السن •• يتمتعون بمكانة اجتماعية عالية • وكبار السن ، وبخاصة فى الريف ، يحترمهم الناس ، فى الغالب ، لأنهم يمثلون عندهم الخبرة والتجارب الحية التى توجد بينهم •• أى أن كبار السن فى الريف هم « المكتبات الحية » الذين يرجع اليهم الناس ويتلمسون منهم الارشاد والهداية فى أحوالهم المعاشية ، وكأنهم يرجعون الى أمهات الكتب••والملاحظ أن أعضاء العائلات الكبيرة ، فى مجتمعنا ، أعلى مكانة اجتماعية من أعضاء الأسر الصغيرة •• أو من الذين لاينتمون الى أسر •

ونجد كذلك فى مجتمعنا المعاصر ، منذ وقت غير بعيد ، بعض الأشخاص الذين ارتفعت مكاناتهم الاجتماعية ، فى قطاع معين من أعضاء المجتمع ، ارتفاعا كبيرا •• ومن هؤلاء نجد الممثلات والممثلين والمغنيات والمغنين •• ولاعبى كرة القدم •

ولايزال مجتمعنا المصرى المعاصر لايعامل بعض الفئات بما تستحق من مكانة فى ضوء ما تقدمه من عمل خطير • وهو •• أى مجتمعنا •• يشترك فى ذلك مع العديد من المجتمعات الأخرى ، ففئة « الزبالين » وفئة « الحانوتية » وفئة « الممرضات والممرضين » وفئة « الاخصائيين الاجتماعيين » وفضلا عن ذلك بعض الذين يعملون فى المسرح ومنهم ، بخاصة ، فئة « الملقنين » وفئة « مديرى المسرح » •• •• الخ ، مثلا ، فى مجتمعنا ، لا يقدرون حق قدرهم على الرغم من العمل النافع الحيوى الذى يقومون به • والمرأة المصرية ، على الرغم من النيات الطيبة نحوها ، لاتزال تستجدى المكانة المرموقة التى تستحقها ••

والملاحظ ان السمة السائدة التى نجدها فى الأشخاص الذين ترتفع مكاناتهم الاجتماعية ، عادة ، فى مجتمعنا ، هى سمة السلطة .. وقد تكون هذه السلطة سلطة معنوية أو سلطة مادية . وأهم مصادر المكانة الاجتماعية العالية ، فى مجتمعنا ، بصفة خاصة ، الدور الذى يؤديه الشخص ومستواه الثقافى ومستواه الاقتصادى ، فالدور الذى يؤديه الشخص اذا كان دورا ذا سلطة رفع مكانة صاحبه الاجتماعية الى الآفاق ، ونجد أعضاء المجتمع المصرى ، فى ضوء ألوان الظلم القاتم التى عانوا منها فى الماضى ، يرهبون هذا الدور ويخشونه ، « السلطان هو البعيد عن السلطان » و « ربنا ما يحكمكشى على يتامى » و « اذا كان دراعك عسكرى اقطعه » و « الميه ماتجريش فى العالى » و « العين ما تعلاش على الحاجب » .. .. الخ . والمستوى الثقافى له مكانة فى نفوس أعضاء مجتمعنا « من علمنى حرفا صرت له عبدا » ، ويصنع المستوى الاقتصادى لصاحبه الانتصار والتفوق « بالفلوس على أحسن شىء تدوس » و « من جاور السعيد (أى صاحب المستوى الاقتصادى المرتفع) يسعد » ..

والأشخاص الذين ترتفع مكانتهم الاجتماعية ، فى مجتمعنا ، قد يكونون من الأحياء كما قد يكونون من الأموات . ومن الأخيرين نجد القديسين والأولياء . وقد لاحظنا أن مرسلى الرسائل الى ضريح الامام الشافعى .. الذى مات منذ نحو ١١٥٠ عاما ، وبخاصة الشاكون منهم اذ يعظمون من شأن الامام الشافعى نراهم يحقرون من شأن أنفسهم ويضعونها فى مستوى الذل والمهانة ، ويبدون وكأنهم مغلوبون على أمرهم ولا كرامة عندهم ، سواء خاطبوا الامام الشافعى نراهم يحقرون من شأن أنفسهم ويضعونها فى مستوى الذل والمهانة ، نفسه مخاطبا الامام بـ « العبد الفقير » أو بـ « المظلوم محسوبكم » أو بـ «المحسوب» أو بـ « الخادم » أو بـ « الابن الغلبان » . وقد يترنم أحدهم وهو يخاطب الامام الشافعى بالشعر أو بما يشبه الشعر قائلا :

عـــلى باب عـــزتكم وقفت بـذلتى
وأطـــــرقت رأسى من عظيم خبيئتى
وعفرت وجهى رغبـــة فى رضاكم
بترب نعلاكم (نعليكم) ثم أسبلت دمعتى
(٢٨)

والملاحظ أنه على الرغم مما يتضمنه المثل الشعبى الشائع : « السلطان هو البعيد عن السلطان » ، اننا نجد كل واحد من أعضاء مجتمعنا يرى ، كما يقول المثل الشعبى الشائع أيضا ، نفسه ، سلطانا !!

« المراجع والتعليقات »

١ - سيد عويس : نظرة المصريين المعاصرين نحو ظاهرة الموت ونحو ... ، دراسة علمية . (تحت الطبع) .

٢ - سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ ، صفحتا ٣٦٢ - ٣٦٣ .

٣ - محمود بيرم التونسى : فى كتاب أحمد سليمان حجاب : نافذة على الأدب الشعبى ، القاهرة ،دار الفنون والهندسة ، صفحتا ٢٨ - ٢٩ .

٤ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، القاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، صفحات ٨٥ - ١١٣ .

٥ - القمص حنا غبريال : كتاب التنجيز أى صلوات الموتى ، بنى مزار ، ١٩٢٨ .

٦ - جمع الكاتب بعض المرثيات التى تنشدها النساء ، عادة ، عند الوفاة . وهى مرثيات عديدة تم تصنيفها على الوجه الآتى :

أ - مرثيات الشباب :

- الاشلا وحشة وبابها عالى .. وفيها التمرجى يبهدل الغالى .
- الاشلا وحشة وبابها بنور .. وفيها التمرجى يبهدل الغندور .
- العيد انا جيكم ماتزعلوشى ياحبايبى .. وأجيب كساوى العيد وأراضيكم هلت مواسمكم قوموا تعالوا زى عادتكم .

- يقول هاتى لى يا امه حكيم يكون شـاطر
يشوف عياى ويجبر الخاطر
- حكيم يا امه سـافر بلاد الـروم
صاحب الوجيعة رايح بها مهموم
- حكيم يا امه سـافر بلاد الشـام
صاحب الوجيعة رايح بها زعلان
- اروح يا أخويا وأخرق القبـر بالدبوس
وأخش عليك وأغير الملبوس
- أروح يا أخويا وأخـرق القبر بالابرة
وأخش عليك وأغير البـدلة
- وجـع القليب حامى ابنى يقـولى
وجع القليب حامى يحب الطراوة والمقعد الهاوى
- ابنى يقـولى خـدى يا أمه ايدى
وجعت قلبك يا امه من كتر تنهيدى
- يا امه خدى الدوا كيه .. دوا يا امه ايه الفايدة فيه ؟

ب - مرثيات الآباء :

- يابا يا جسرنا العـالى .. امشى على حسك يابا وأطوح اكمامى
- يابا يا جسر بين بلدين .. امشى على حسك يابا واطوح الكمين
- ان غلبت يابنتى ما تقصديش حـد
لما أجيلك يا بنتى بين الرجال واتعد
- يابا هلت مواسـمكم .. تعـالى يابا زى عادتكم
- رصيت حبـايبى زى القصب فى البيت
يامبت ندامـة دا كلهم من البيت

- ما أحــلى حبــايبى فى الحى محــلاهم
يا فانوس دهب والريح طفــــاهم
- ما أحلا حبــــايبى فى الحى ما أحسنهم
يا فانوس دهب والـــريح كسرهم
- يا بنت شوفى ابوكى فى المنــدرة الحمرا
ولا شوفيه يا بنتى فى مجلس الأمرا
- بابك كبــــير يابا وســـــلمه كويس
صبح البيت يابا بعــديك بلا ريس
- يابا وصيت علينــــــا مين ؟
وصيت عليكم يا حبايبى كل قلب حنين
- يابا وصى وصــــــاياكم
وكتر الوصــــية يابا على ولايكم

ج - مرثيات الأمهات :

- يا امه ياحبيبتى ســـلامى يا بغــدادى
وآخر السلام يا امه سائله على أولادى
- ان غبت يا امه ابعتى لنا جــواب
والله المطلة يا امه على الولايا ثــواب
- ان غبت يا امه ابعتى لنا ورقـــة
والله المطلة يا امه على الولايا صــدقة
- يا امــه يا طرحتــى الزيتــى
يا ســـائلة عــلى يا امه وانا فى بيتى
- يا امه هـــاتى فى ايدى ايدك
وجعت قلبى يا امه من كتر تنهيدك
- من قال يا راسى يا امه لأبخـــره وارقيــه
ومن قال ياقلبى يا امه احتار دليلنا فيه

- أخـــويا القـــاسى ما تحننوا الا أمى
نص الليـــالى تقـوله خيتك يا ابنى
- دكتـورك يا امه طلعت أجرى وراه
فى الحوش قال عيانك يا خيا بين الرجاوالموت

- كـلام أمى تمـر فى الأوراق
وكلام الغرب صبر لم يذاق
- ياما قعدنا يا امه فى الحوش وسطانى
شـــبه الجنينة يا امه والبلـح رامى

- ما أحـلى كـلام البنت ويا الأم
زى البدن لما يركب عليه الكم
- بلدك بعيـدة يا امه قـــولى لى عـلى بلدك
وآخد ولادى يا امه وامشى على مددك

- بلدك بعيـدة يا امه قـولى لى عـلى بلادك
وآخذ ولادى يا امه وامشى على أمدادك
- يا بنتى هاتى لى حكيم وياخد منى
ويحـوش العيـا يا بنتى اللى مآلمنى

- هـــاتى لى يا بنتى حـكيم يكون شـــاطر
يشـوف العيا ويجبر الخاطر
- حـكيم العيانين يا امه سـافر بلاد الشـــام
واللحم انسلى يا امه والعضم راخر بان

- انا جيت أقولـــك يا امه طيبـــة ازيك
ما عاش العيـــا يا امه اللى تلف ضـــيك
- أنا جيت أقـولك يا امه طيبـة اشـــحالك
ما عاش العيا يا امه اللى تلف حالك

د - مرثيات الأطفال اليتامى :

- لــو اليتـــــامى كلهم فى البيت ..
وقيـدوا الفتيـــلة وكتروا الزيت
- لموا اليتامى من العصر عشوهم
لا يخش الليـــل عليهم وتنســوهم

هـ - مرثيات البخت :

- مقهـــورة يا امه والقهــر طلع عــلى وشى
وخلا خــلى البال يا امه ما يشوفشى
- طلت من الحيطان اللى ســـعدها زمانهـــا
طلت من الحيطان واتفرجت يا امه على البخت لما مال
- يا امه دا البخت لمـا مال
كما مال السرج عـلى الخيــــــال
- اللى نصـــفها الزمان طلت من الحيطـــان
واتفرجت يا امه على البخت لمـا مال
- اللى نصفها زمانها طلت وقالت لى
وانتى اشتكونى يا خيبة تكونى مثلى
- والله ان قابلنى البخت لا أقوله
ولا شوية يا بخت ماتميلوشى كـــله
- يا اختى بقــوم عــلى كفوفى
راحت عافيتى واتقل من شـــوفى
- والله ان شـــيلونى يا امه حمــل الجمال لأشـــيل
وعيب على يا امه ان قلت حمل تقيل
- ان شـيلونى يا امه حمل الجمـــل لأمشى
وعيب عــلى يا امه ان قلت مقــدرشى

- يلاحظ عند تعزية السيدات .. تدخل السيدة المعزية وتحيى أهل الميت من النساء بقولها : « اشحل خاطركم » فيرددن عليها « اشحال الى عدم » .

ويلاحظ ، أيضا ، أن اعداد « الفتة » فى ليلة الوحدة (ليلة الوفاة) تؤنس المتوفى . وان الكبش اذا ذبح لهذا الغرض يؤنس المتوفى كذلك .. وأن الأكل من « الفتة » يعنى المقابلة .. أى مقابلة المتوفى يوم القيامة . ويلاحظ ، كذلك ، أنه عند موت الأطفال يوزع لبن الزبادى ولا داعى لاعداد « الفتة » واللحم .. أو أكلهما .. ذلك لأن الأطفال من الأبرار ..

- يجب أن يكون فى الحسبان الفرق بين الخشية من الموت وبغضه وبين الخشية من الموتى . ويلاحظ أن المصريين القدماء.. والمعاصرين.. لايشعرون بالخوف الكبير من موتاهم .. ويمكن اثبات ذلك من شواهد عديدة ، منها ، وربما يكون أهمها .. اننا لا نخشى قيامتهم .. ومنها سرقة مقابرهم والحض على زيارتها للعبرة والدرس .. « الذهاب الى بيت النوح خير من الذهاب الى بيت الوليمة لأن ذاك نهاية كل انسان والحى يصنعه فى قلبه » (جا ٧ : ٢) و « ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر » (١٠٢ ك التكاثر ١) ، ومنها ، كذلك ، سكنى المصريين المسلمين المعاصرين المقابر حيث يعيش الكثيرون معيشة الآدميين بكل ظروفها وأحوالها ، فضلا عن كون الكثير من هذه المقابر ، باعتبارها مساكن ، أماكن لتجارة المخدرات وتعاطيها ، والاتجار فى الأكفان وعظام الموتى .. وممارسة الدعارة .. (انظر : سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، صفحات : ٢٩ و ٣٤ و ٣٥ و ٤١ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧) .

٧ - سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر : صفحتا ١٩٣ - ١٩٤ .

٨ - فريدة أحمد : صناديق النذور فى مساجد أولياء الله ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦٣ ..

- أولاد نوح سلالة شيخ توارثوا عنه رقى الأطفال .. والشيخ الحالى موجود بناحية قلعة الكبش بالقاهرة ، ويتولى رقية الأطفال مقابل مبلغ معين من المال ، أما أولاد عنان فهو ضريح بقرب ميدان رمسيس بالقاهرة .

٩ - المرجع السابق .

١٠- من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى : صفحات ١١٤ - ١١٦ .

١١- محمود خطاب : الدين الخالص - الجزء الثامن ، صفحات ٦٨ و ٧٠ و ٧١ .

١٢- يلاحظ أن القاهرة التى يسكنها نحو خمسة ملايين نسمة بها وحدها ٢٠٠٠ مأذنة و ٢٠٠ برج كنيسة عدا أماكن العبادة الأخرى .

١٣- سيد عويس : محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، صفحة ٨٥ .

١٤- أحمد الشرقاوى : الدعوات المستجابة .. مطبعة الشرق ..

أنظر أيضا : السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، صفحات ٢١٢ - ٢٥٩ ..

- فيما يلى معلومات عن الدعاء وفضله وآدابه وأوقاته المستحبة وأحواله : دعاء الصباح والمساء ودعاء الليل والدعاء عند النوم والدعاء عند القيام من النوم ودعاء قضاء الحاجة ودعاء بعد الوضوء •• وأدعية الصلاة (دعاء الخروج من المسجد ودعاء دخول المسجد والخروج منه ودعاء الوسيلة ودعاء الاستفتاح ودعاء الركوع والسجود والدعاء بين السجدتين والدعاء قبل السلام والدعاء عقب السلام والقنوت فى الوتر والدعاء بعد ركعتى الفجر ودعاء سجود التلاوة)، ثم دعاء الضحى ودعاء التوبة ودعاء ليلة القدر ودعاء اللباس وأدعية الزواج ودعاء من تناول طعاما ودعاء رؤية الهلال وتشميت العاطس ودعاء الحاجة والكرب والدعاء ضد الخوف والدعاء لمن أسدى اليك معروفا ودعاء ختم المجالس والدعاء للمريض والدعاء للميت وقت الصلاة والدعاء للميت بعد دفنه والدعاء للحاج وتهنئته ودعاء المسافر والدعوات المستجابة والدعاء لله وحده والدعاء بالاسم الأعظم وأخيرا طلب الدعاء من الصالحين ••

١ - الدعـــاء

الدعاء اعتـــراف العبـــد بافتقاره لله الغنى الحميد : واقراره بالعظمة للقوى المتين • والدعاء انصراف العبد عن الناس وعن الاستعانة والاستنجاد بالخلق الى الاستعانة والاستنجاد بمن بيده ملكوت كل شىء وهو على كل شىء قدير •

وقد ورد الدعاء فى القرآن على أوجـــه : العبادة : (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) • (١٠ ك يونس : ١٠٦) والاســتعانة : (وادعوا شهداءكم) (٢ م البقرة : ٢٣) والسؤال : (ادعونى أستجب لكم) (٤٠ ك غافر : ٦) والنداء : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمـــده) (١٧ ك الاسراء : ٥٢) •

٢ - فضل الدعاء

ليس شىء أكرم على الله من الدعاء • بهذا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه •

وأخرج أبو داود وأحمد والنسائى وغيرهم عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء هو العبادة ، قال ربكم ادعونى استجب لكم • وروى الترمذى عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر •

وروى أيضا عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله تعالى شيئا أحب اليه من أن يسأل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء •

٣ - آداب الدعاء

اعلم أن الداعى انما يناجى رب الأرباب فلتدع ربك وكأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • ولا يقبل الله الدعاء من قلب غافل •

روى الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه •

وهذه بعض آداب الدعاء :

١ - بدؤه بالثناء على الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : روى الترمذى عن فضالة بن عبيد قال: بينما رسول الله صلىالله عليه وسلم قاعد اذ دخل رجل يصلى فقال اللهم اغفر لى وارحمنى •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجلت أيها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله ثم صل على ثم ادعه • قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبى : فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أيها المصلى ادع تجب •

ويستحب الجمع بين الصلاة والسلام والأفضل كونها بصيغة من الصيغ الواردة وهى كثيرة منها ما فى حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد •

أخرجه مسلم وأبو داود والبيهقى •

٢ - استقبال القبلة حال الدعاء : لعموم حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال : ان لكل شيء سيدا وسيد المجالس قبالة القبلة . أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن .

٣ - رفع الأيدى حال الدعاء ومسح وجهه بهما بعده خارج الصلاة :

لحديث سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا .

أخرجه أبو داود وغيره .

وحديث أنس فيه بلفظ : ان الله حيى كريم يستحى من عبده أن يرفع اليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا أخرجه الحاكم .

ولحديث ابن عباس قال : المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة . والابتهال أن تمد يديك جميعا (يعنى ترفعهما رفعا مبالغا فيه حتى يرى بياض ابطيك تضرعا الى الله تعالى فى دفع البلاء) رواه أبو داود .

والحكمة فى رفع الأيدى الى السماء أن السماء قبلة الدعاء منها نتوقع الخيرات والبركات وهبوط الأنوار ونزول الأمطار المحيى للأقطار .

٤ - عدم رفع الصوت بالدعاء : سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل قول الله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) (٢ م البقرة: ١٨٦) .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال

رســول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها النــاس انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذى تدعونه بينكم وبين أعناق رقابكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟

فقلت وما هو : قال : لا حول ولا قوة الا بالله •

رواه أبو داود والبخارى والترمذى وغيرهم •

٥ ـ التعميم بالدعاء : أثنى الله تعالى على من عمم فى الدعاء حيث قال (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) (٥٩ م الحشر : ١٠) • ولأن التعميم فى الدعاء أقرب الى الاجابة •

٦ ـ عدم الاعتداء فى الدعاء : وهو تجاوز الحد فيه •

عن ابن سعد بن أبى وقاص قال : سمعنى أبى وأنا أقول :

اللهم انى أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا • وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا • فقال يابنى انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيكون قوم يعتدون فى الدعاء فاياك أن تكون منهم • انك ان أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير • وان أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر • أخرجه أبو داود • ويكون الاعتداء فى الدعاء أيضا بطلب ما يستحيل شرعا : كطلب النبوة بعد خاتم النبيين نبينا صلى الله عليه وسلم أو طلب ادخال من مات عـلى الـكفر الجنة • أو عادة : كأن يسأل نزول الســماء مكان الأرض أو العكس أو يحيى له الموتى وغير ذلك •

٧ ـ ويستحب الجوامع من الدعاء : وهو الدعاء بالكلمات التى تجمع خيرى

الدنيا والآخرة . وقيل ما كان لفظها قليلا ومعناها كثيرا مثل : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . واللهم ارزقني الراحة في الدنيا والآخرة . واللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم .

٨ - عدم تعليق الدعاء بالمشيئة . أي يجزم في دعائه بأن الله يجيبه لحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يقولن أحدهم اللهم اغفر لي ان شئت ، اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له . رواه الشيخان وغيرهما .

وقال ابن عيينة : لا يمنعن أحدا الدعاء ما يعلم في نفسه (يعني من التقصير) فان الله قد أجاب دعاء شر خلقه ابليس حين قال (رب انظرني الى يوم يبعثون) (٣٦ ك الحجر : ١٥) .

٩ - التأمين بعد الدعاء : وهو ختم الدعاء بآمين لأنه أضمن للاجابة ومعنى (آمين) استجب يا الله .

ففي حديث أبي مصبح المقرائي قال : كنا نجلس الى أبي زهير النميري ، وكان من الصحابة ، فيتحدث أحسن الحديث فاذا دعا الرجل منا بدعائه قال : اختمه بآمين فان آمين مثل الطابع على الصحيفة .

قال أبو زهير : أخبركم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح في المسألة فوقف النبي صلى الله عليه وسلم يستمع منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أوجب ان ختم . فقال رجل من القوم بأي شيء يختم فقال بآمين ، فانه ان ختم بآمين فقد أوجب فانصرف الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الرجل فقال : اختم يا فلان بآمين وأبشر . رواه أبو داود .

وحـديث عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدتكم على السلام والتأمين أخرجه أحمد وابن ماجه . والتأمين من خصوصيات هذه الأمة .

لحديث أنس رضى الله عنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال : ان الله قد أعطانى خصالا ثلاث: أعطانى صلاة فى الصفوف وأعطانى التحية (السلام) انها لتحية أهل الجنة . وأعطانى التأمين ولم يعطه أحدا من النبيين قبلى الا أن يكون الله قد أعطاه هارون ، يدعو موسى ويؤمن هارون . أخرجه ابن خزيمة .

١٠- عدم استعجال اجابة الدعاء لحديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى أخرجه الشيخان وغيرهما .

واجابة الدعاء على أنواع :

منها الاجابة بعين المطلوب فى الوقت المطلوب .

ومنها تأخير الاجابة لوقت آخر لحكمة يعلمها الله تعالى اقتضت تأخيرها .

ومنها دفع شر بدله الله له أو اعطاؤه أحسن مما طلب .

ومنها ادخار الدعاء ليوم القيامة لكون الداعى أحوج الى ثوابه فيه .

روى الترمذى والحـاكم من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا (ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف عنه من السوء مثلها) .

وفى حديث أبى هريرة عن أحمد : اما أن يعجلها له واما أن يدخرها له . فينبغى للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه فانه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم

والتفويض•فترك الأمر للمدبر الحكيم العليم الخبير الذى يرى من مصلحتك ما لا ترى • وبين له أنك راض بقضائه ومنتظر فضله ولو طال الزمن •

مر أحد الزهاد على رجل جالس فى صومعة وهو مريض يدعو بالشفاء • قال الزاهد كم بقى لك على هذا الحال قال : عشرون سنة ، فقال له ما احساسك • قال : أنتظر فضل الله • قال له : أنت اليوم تعلمنى الزهد الحقيقى •

والسعادة الحقيقية ليست فى الأموال والأملاك ، والوظائف والمراكز • رجل تحوطه الأموال من كل جانب ويقال له : حذار أن تأكل اللحوم ، كل الطعام (مسلوقا من غير سمن) • ولو ذهب أحدنا الى أحد المستشفيات لعرف ما به من النعمة • ترى اليوم أحدهم يطلب بوقت محدد كانذار اخلاء • أو كأن الله منفذ لأوامره ونسى قوله تعالى فى الحديث القدسى : ابن آدم : تسألنى فامنعك لعلمى بما يصلحك • تلح على فى السؤال ، فأجود بكرمى عليك ، وأعطيك ما سألتنى فتستعين به على المعاصى فأستر عليك ثم تعود الى المعاصى فأستر عليك • فكم من جميل أصنعه معك وكم من قبيح تصنعه معى يوشك أن أغضب عليك فلا أرضى بعدها أبدا •

أرأيت الى ذلك العياش الذى سئم من العمل : فقال يارب أنت على كل شىء قدير وتستطيع أن تطعمنى من غير عمل وأنا جالس فى مكانى • فما انتهى من طلبه حتى رأى نزاعا بين قوم فوقف معهم وجاء الجند فأخذوا الجميع الى الحاكم فأمر بسجنهم جميعا حتى ينظر فى أمرهم فى اليوم التالى • وظل العياش فى سجنه يأتيه طعامه من غير عمل • وفى الليل سمع هاتفا يقول : طلبت ما طلبت فأجبت •

وانظر الى وزير أحد الملوك السابقين كان مؤمنا : اذا اشتكى اليه الملك امرا قال له : اصبر • لله فى ذلك حكم ، حتى اذا خرج الملك للصيد وتلفت

احدى عينيه قال له الوزير : لله فى ذلك حكم ، فغضب الملك عليه وطرده من قصره ثم وضع مكانها عينا من الزجاج . وبعد شفائه خرج راكبا فرسه ليصطاد . فأسرعت به دابته حتى ألقته بين جماعة يأكلون لحوم البشر ففرحوا بفريستهم فساومهم على المال فأبوا ، وعلى ملكه فأبوا ، حتى اذا جاء يوم افتراسه أرادوا التأكد من سلامة بدنه كما هى عادتهم فاذا بهم يرون عينه الزجاجية فقالوا له : ليس لنا فيك مأرب .. فارجع حيث كنت فرجع الى قصره وكانت عينه التالفة سببا فى نجاته . فبعث الى الوزير فحضر وقال له يا مولاى لم بعثت الى ؟ قال : لله فى ذلك حكم .

وقد قص الله علينا فى كتابه الكريم : قصة ثعلبة بن حاطب كان ملازما للجمعة والجماعة والمسجد . جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه . ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما لك فى أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت . ثم أتاه بعد ذلك فقال له : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالا . فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها ، وهى تنمو كما ينمو الدود فكان يصلى مع رسول الله الظهر والعصر ويصلى فى غنمه سائر الصلوات ، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة . فكان اذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار . فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : ما فعل ثعلبة فقالوا له يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد . فقال رسول الله : يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة . فلما نزلت آية الصدقة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة ، وكتب لهما أسنان الصدقة

وكيف يأخذانها • وقال لهما : مرا على ثعلبة بن حاطب وعلى رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما • فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وقرآ عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال : ما هذه الا جزية ، ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى ، فانطلقا وسمع بهما السليمى • فنظر الى خيار أسنان أبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا عليك • قال خذاه فان نفسى بذلك طيبة • فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة • فقال أرونى كتابكما فقرأه • فقال ما هذه الا جزية ، ما هذه الا أخت الجزية • اذهبا حتى أرى رأيى فانطلقا فلما رآهما رسول الله قال : (قبل أن يتكلما) يا ويح ثعلبة • ثم دعا للسليمى بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فأنزلت الآية (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون • فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) (٩ م التوبة : ٧٥ – ٧٧) •

فجاء بعد ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال : ان الله منعنى أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعنى •

ثم جاء بها الى أبى بكر فى خلافته فقال : لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها • فلما ولى عمر أتاه بها فقال : لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك • فلم يقبلها فلما ولى عثمان أتاه فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان •

٤ - أوقات الدعاء المستجبة

١ - الثلث الأخير من الليل : فى هذا الوقت الذى يهدأ فيه العالم يقوم المؤمن مناجيا ربه مبتهلا اليه • فخليق بدعائه أن يجاب فقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (٣٢ م السجدة ١٦ - ١٧) •

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير • فيقول من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ رواه الشيخان •

والحديث من جهة النزول مصروف عن ظاهره باجماع السلف والخلف •

٢ - بين الأذان والاقامة : لحديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة • أخرجه أحمد والثلاثة وحسنه الترمذى وزاد قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة • ولحديث أبى أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا نادى المنادى فتحت أبواب السماء وأستجيب الدعاء أخرجه الحاكم وغيره • ويستحب أن يقال بعد أذان المغرب : اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعائك فاغفر لى كما رواه أبو داود وغيره فى حديث أم سلمة •

٣ - فى السجود : لحديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء • رواه مسلم •

٤ - ساعة الجهاد : فعن سهل بن سعد قال : ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وكل داع ترد عليه دعوته : حضرة النداء للصلاة والصف فى سبيل الله أخرجه مالك فى الموطأ موقوفا • وأخرجه ابن عبد البر مرفوعا •

٥ - فى يوم الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء لقول أبى هريرة : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الجمعة فقال : فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله عز وجل شيئا الا أعطاه الله اياه وأشار بيده يقللها أخرجه الشيخان وغيرهما •

وقيل ان ساعة الاجابة من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومن العصر الى الغروب • وقيل غير ذلك •

٥ - احوال الدعاء

جاءت الأحاديث بالأدعية التى اختارها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فى المناسبات المختلفة • وليس للمسلم أن يفضل على الصيغة التى اختارها نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه عليه الصلاة والسلام أعرف بالأفضل والأكمل ونحن نورد هنا بعضها :

٦ - دعاء الصباح والمساء

١ - عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ولا اله الا الله وحده لا شريك له • له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير • اللهم انى أسألك خير هذه الليلة وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها • اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر •

وإذا أصبح قال أصبحنا وأصبح الملك لله • أخرجه مسلم وأبو داود •

٢ – وعن ابن عمر قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح : اللهم انى أسألك العافية في الدنيا والآخرة • اللهم انى أسألك العفو والعافية في دينى ودنياى وأهلى ومالى • اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى • اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى • أخرجه الأربعة الا الترمذى •

٣ – وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال اذا أصبح اللهم انى أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك على وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات اذا أصبح واذا أمسى كان حقا على الله أن يتم عليه • أخرجه ابن السنى •

٤ – وعن عبد الله بن حبيب قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى لنا فأدركناه فقال : قل فلم أقل شيئا • ثم قال : قل فلم أقل شيئا • ثم قال قل فلم أقل شيئا • ثم قال : قل • قلت يا رسول الله ما أقول ؟ •

قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء • أخرجه أبو داود والنسائى •

والأحاديث في ذلك كثيرة •

٧ - دعاء الليل

من الأحاديث الواردة فيه حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة من جوف الليل يقول : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض • ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن • أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق • ومحمد صلى الله عليه وسلم حق • اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت • فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر • أنت الذى لا اله الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله • أخرجه الجماعة •

٨ - الدعاء عند النوم

١ - كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه قال :

باسمك اللهم أحيا وأموت • رواه البخارى •

٢ - وعن البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له اذا أتيت مضجعك فتوضأوضؤك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسى اليك • وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت • فان مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول • أخرجه السبعة •

٣ - آية الكرسى لحديث أبى هريرة • أخرجه البخاري •

٤ - وعن حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات أخرجه أحمد وغيره .

٥ - وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا آوى الى فراشه : اللهم رب السموات والأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء . فالحق الحب والنوى منزل التوراه والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته . أنت الأول فليس قبلك شيء . وأنت الآخر فليس بعدك شي . وأنت الظاهر فليس فوقك شيء . وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عنا الدين وأغننا من الفقر . أخرجه مسلم والأربعة .

٩ - الدعاء عند القيام من النوم

كان صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور . أخرجه أحمد ومسلم عن البراء بن عازب .

ويستحب لمن استيقظ وهو يريد النوم أن يذكر الله تعالى حتى يغلبه النوم . قال صلى الله عليه وسلم من تعار (استيقظ) من الليل فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . والحمد لله وهو على كل شيء قدير . والحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال : اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلاته أخرجه الجماعة الا مسلما .

أما اذا فزع الانسان من نومه فليدع بما جاء فى حديث عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا فزع أحدكم فى النوم فليقل : أعوذ بكلمات

الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فانها لا تضره أخرجه أحمد وغيره

١٠ - دعاء قضاء الحاجة

يندب لمن يريد قضاء الحاجة أن يقول جهرا عند دخوله محل قضائها : باسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث (أى ذكور الشياطين ونسائهم) كما فى حديث البخارى وغيره • واذا خرج من الخلاء قال :

غفرانك • الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى ، الحمد لله الذى أذاقنى لذته وأبقى فى قوته وأذهب عنى اذاه اللهم حصن فرجى وطهر قلبى ومحص ذنوبى •

١١ - دعاء بعد الوضوء

يستحب لمن توضأ أن يدعو بعد الوضوء مستقبل القبلة رافعا بصره الى السماء يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله • اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين • ويختم الدعاء بقوله : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك •

١٢ - ادعية الصلاة

(أ) دعاء الخروج الى المسجد :

يسن لمن خرج من بيته ولو لغير صلاة أن يدعو بما فى حديث أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من بيته قال : باسم الله توكلت

على الله • اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على • أخرجه الأربعة •

وبما فى حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال اذا خرج من بيته : باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله • يقال له : حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان • أخرجه الثلاثة •

واذا كان خارجا الى المسجد استحب له أن يدعو أيضا بما فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وخلفى نورا وفى عصبى نورا وفى لحمى نورا وفى دمى نورا وفى شعرى نورا وفى بشرى نورا • أخرجه الشيخان •

(ب) دعاء دخول المسجد والخروج منه :

اذا دخل المسجد يقول :

١ - باسم الله والسلام على رسول الله : اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك • (الحديث) أخرجه أحمد وغيره عن فاطمة الزهراء •

٢ - أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم • (الحديث) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو •

٣ - السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (حديث ابن عباس) • أخرجه أحمد •

واذا خرج يقول :

١ - باسم الله والسلام على رسول الله • اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك • (الحديث) أخرجه أحمد عن فاطمة الزهراء •

٢ - اللهم انى اعوذ بك من ابليس وجنوده •
(الحديث) أخرجه ابن السنى عن أبى أمامة •

(ج) دعاء الوسيلة :

عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الـذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيـامة • أخرجه أحمد والبخارى والأربعة •

(د) دعاء الاستفتاح :

١ - سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك •
(الحديث) أخرجه أبو داود وغيره عن عائشة •

٢ - وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين • ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا اله الا أنت : أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر ذنوبى جميعا انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لأحسن الاخلاق لايهدى لأحسنها الا أنت • واصرف عنى سيئها لا يصرف سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله فى يديك والشر ليس اليـك • أنا بك واليـك تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب اليك •

(الحديث) أخرجه الشافعى وأحمد ومسلم وغيرهم عن على رضى الله عنه •

٣ - اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب•اللهم نقنى

من خطاياى كالثوب الأبيض من الـدنس اللهم اغسـلنى بالثلج والمـاء والبرد •

(الحديث) أخرجه السبعة الا الترمذى عن أبى هريرة •

(هـ) دعاء الركوع والسجود :

١ - سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة (الحديث) أخرجه الثلاثة عن عوف بن مالك •

٢ - سبحانك اللهم ربنا بحمدك • اللهم اغفر لى • (الحديث) أخرجه أحمد والشيخان عن عائشة •

٣ - وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده : اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره (الحديث) أخرجه مسلم عن أبى هريرة •

٤ - وكان يقول : أعوذ برضاك من سخطك • وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك • (الحديث) أخرجه مسلم والأربعة عن عائشة •

٥ - رب أعط نفسى تقواها • زكها انت خير من زكاها • أنت وليها ومولاها • أخرجه أحمد عن عائشة •

(و) الدعاء بين السجدتين :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كا نيقول بين السجدتين اللهم اغفرلى وارحمني واجبرنى واهـدنى وارزقنى • أخرجه الترمذى •

(ذ) الدعاء قبل السلام :

١ - اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر • وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات • اللهم أعوذ بك من المأثم والمغرم• (الحديث) أخرجه السبعة الا ابن ماجه عن عائشة •

٢ - اللهم انى أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لى ذنوبى انك أنت الغفور الرحيم • (الحديث) أخرجه أحمد وغيره عن محجن بن الادرع •

٣ - اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا وأهدنا سبل السلام • ونجنا من الظلمات الى النور وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن • وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابليها وأتمهـا علينا • (الحديث) أخرجه ابو داود عن ابن مسعود •

٤ - اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت • فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور الرحيم : أخرجه الشيخان عن ابن عمر •

(ح) الدعاء عقب السلام :

بعد ختم الصلاة بالوارد عقب السلام يدعو المصلى بالمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم • ومنه :

١ - اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر • أخرجه البخارى وغيره عن سعد بن أبى وقاص •

٢ - اللهم عافنى فى بدنى • اللهم عافنى فى سمعى • اللهم عافنى فى بصرى • اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر • اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر • لا اله الا أنت • أخرجه أبو داود عن مسلم بن بكرة عن أبيه •

٣ - وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى صـــلاته مسح جبهته بيده اليمنى ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله الرحمن الرحيم • اللهم اذهب عنى الهم والحزن • أخرجه ابن السنى •

٤ - وعن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من الصـلاة قال : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت • وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى • أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت • أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما •

٥ - وعن شداد بن أوس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنـا كلمات ندعو بهن فى صلاتنا أو قال فى دبر صلاتنا • اللهم انى أسألك الثبات فى الأمر • وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك • وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا • واســـتغفرك لمـا لا أعلم وأسألك من خير ما تعلم • وأعوذ بك من شر ما تعلم • أخرجه أحمد والنسائى والترمذى •

٦ - وعن الحارث بن مسلم التميمى قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم اذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم : اللهم أجرنى من النار سبع مرات • فانك ان مت من يومك ذلك كتب الله لك جوارا من النار • واذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم : اللهم انى أسألك الجنة • اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك ان مت من ليلتك تلك كتب الله لك جوارا من النار • أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى بسند جيد •

(ط) القنوت فى الوتر :

قال الحسن بن على • علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى قنوت الوتر • اللهم اهدنى فيمن هديت • وعافنى فيمن عافيت • وتولنى فيمن توليت • وبارك لى فيما أعطيت • وقنى شر ما قضيت فانك تقضى ولايقضى عليك وانه لايذل من واليت ولا يعز من عاديت • تباركت ربنـــا وتعاليت • أخرجه أحمد وغيره •

(ى) الدعاء بعد ركعتى الفجر :

اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات •
(الحديث) أخرجه ابن السنى عن عامر بن أسامة عن أبيـه ويزاد يوم الجمعة :

أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه • ثلاث مرات •
(الحديث) أخرجه ابن السنى عن أنس •

(ك) دعاء سجود التلاوة :

ان كان سجوده فى الصلاة يقل فيه ما يقال فى سجودها • وان كان خارجها قال ما شاء مما ورد ومنه :

١ - سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته •
(الحديث) أخرجه أحمد عن عائشة والبيهقى • وزاد (فتبـارك الله أحسن الخالقين) • (٢٣ ك المؤمنون : ١٤) •

٢ - اللهم احطط عنى بها وزرا واكتب لى بها أجرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود •
(الحديث) أخرجه الترمذى عن ابن عباس •

١٣ – دعاء الضحى :

اللهم بك أصاول وبك أحاول وبك أقاتل . (الحديث) أخرجه ابن السنى عن صهيب .

١٤ – دعاء التوبة :

يسن لمن ارتكب ذنبا أن يتطهر ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله مما جنت يداه .

وقد روى جابر أن رجلا جاء جاء الىالنبى صلى الله عليه وسلم فقال واذنوباه فقال له قل : اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى . فقالها ثم قال : عد فعاد ثم قال عد فعاد فقال قم فقد غفر الله لك . أخرجه الحاكم وصححه .

١٥ – دعاء ليلة القدر :

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى . (الحديث) رواه الترمذى عن عائشة .

١٦ – دعاء اللباس :

من لبس ثوبا جديدا يقول اللهم لك الحمد انك كسوتنيه . أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع . أخرجه أحمد وغيره عن أبى سعيد الخدرى .

وعن أبى أمامة : لبس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي . ثم قال: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى أخلق أو ألقى فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا • قالها ثلاثا • أخرجه ابن ماجه والترمذى وحسنه والحاكم وصححه •

ويقال لمن لبس ثوبا جديدا :

البس جديدا • وعش حميدا • ومت شهيدا ويرزقك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة • (الحديث) أخرجه أحمد وغيره عن ابن عمر •

١٧ - أدعية الزواج :

يضع الزوج ليلة الزواج يده على ناصية الزوجة ويقول :

اللهم ارزقنى خيرها وخير ما خلقت له • واعوذ بك من شرها وشر ما خلقت له •

أما وقت الجماع فيقول :

باسم الله اللهم جنبنى الشيطان • وجنب الشيطان ما رزقتنا •

أما الدعاء للزوج فيقال له : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير •
(الحديث) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة •

١٨ - دعاء من تناول طعاما :

الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة • (الحديث) رواه أبو داود والترمذى عن معاذ ابن أنس •

١٩ - دعاء رؤية الهلال :

اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلام والاسلام • ربى وربك الله • هلال رشيد وخير • (الحديث) رواه الترمذى عن طلحة بن عبيد الله •

٢٠ - تشميت العاطس :

يقال لمن عطس فحمد الله : يرحمك الله • فيرد العاطس يغفر الله لنا ولكم • أو يهديكم الله ويصلح بالكم •

٢١ - دعاء الحاجة والكرب :

يتطهر الانسان ويصلى ركعتين ثم يدعو بما فى حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم • أخرجه الستة الا أبا داود •

(وحديث) أسماء بنت عميس قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو فى الكرب : الله الله ربى لا أشرك به شيئا • أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه •

٢٢ - الدعاء عند الخوف :

عن ابى بردة بن عبد الله أن اباه حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال : اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم • أخرجه ابو داود والنسائى •

٢٣ - الدعاء لمن اسدى اليك معروفا :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فأعيذوه • ومن سأل بالله فأعطوه • ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع

اليكم معروفا فكافئوه • فان لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه • رواه أبو داود وغيره •

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء • رواه الترمذى •

٢٤ - دعاء ختم المجالس :

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك وأتوب اليك •

٢٥ - الدعاء للمريض :

١ - أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات •

٢ - لا بأس عليك طهور ان شاء الله • اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يقيم طاعة من الطاعات •

٣ - اللهم رب الناس أذهب البأس أشف أنت الشافى لاشفاء الا شفاؤك شفاء لايغادر سقما •

٢٦ - الدعاء للميت وقت الصلاة عليه :

ورد فى ذلك الأحاديث الكثيرة منها :

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس • وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار رواه مسلم •

٢٧ - الدعاء للميت بعد دفنه :

عن عثمان بن عفان قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسأل • أخرجه ابو داود •

٢٨ - الدعاء للحاج وتهنئته :

قبل الله نسكك وأعظم أجرك وأخلف نفقتك وغفر ذنبك •

٢٩ - دعاء المسافر :

عن أنس رضى الله عنه : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه : اللهم لك انتشرت واليك توجهت وبك اعتصمت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى • اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم له وما أنت أعلم به • اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير اينما توجهت ثم يخرج أخرجه ابن جرير •

وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا أو غيره فقال حين يخرج باسم الله آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله • الا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج أخرجه أحمد •

وعن على بن ربيعة قال : رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال باسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون • ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال : سبحانك لا اله الا أنت قد ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لايغفر الذنوب الا أنت، ثم ضحك ، فقلت ممن ضحكت يا أمير المؤمنين• قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت • ثم ضحك

فقلت : مم ضحكت يا رسول الله قال : يعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لى ويقول : علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى • أخرجه أحمد والثلاثة بأسانيد صحيحة •

وعن ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما دب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود (العظيم من الحيات) وحية وعقرب • ومن شر ساكن البلد ومن شر والد وما ولد • أخرجه أحمد وغيره •

وعن خولة بنت حكيم السلمية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك • أخرجه ابن خزيمة والجماعة الا البخارى وأبا داود •

وعن صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها • أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم وصححاه •

وعن ابن عمر قال كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأى قرية يريد أن يدخلها قال : اللهم بارك لنا فيها ثلاث مرات ، اللهم ارزقنا جناها وحببنا الى أهلها وحبب صالحى أهلها الينا • أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند جيد •

وعن أنس قال : أقبلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أنا وأبو طلحة وصفية رديفته على ناقته حتى اذا كنا بظهر المدينة قال : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون • فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة • أخرجه مسلم والنسائى •

٣٠ - الدعوات المستجابة :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم • أخرجه أبو داود والبزاز والترمذى وحسنه •

ولا مفهوم للعدد بل مثل هذه الثلاثة دعوة الامام العادل والصائم حين يفطر •

لما رواه الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر ، والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب ، وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين •

وعن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان للصائم عن فطره لدعوة ما ترد : اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى • أخرجه ابن ماجه •

وكذلك الدعاء بظهر الغيب أقرب الأدعية الى الاجابة لما رواه أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب •

وروى مسلم وأبو داود عن أم الدرداء قالت : حدثني سيدي أبو الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ولك بمثل •

٣١ ـ الدعاء لله وحده :

العبد المؤمن حقا هو الذى يتوجه بسؤاله لله ، ولا يسأل سواه

فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنه : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى : يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله تعالى لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله تعالى عليك •

وفى بعض كتب الله المنزلة : ياعبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى ، واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى ، واذا أفشيت سرك فافشه الى فانى وفى •

قال الشوكانى (بعد كلام) اذا تقرر هذا فلاشك من اعتقد فى ميت أو حى أنه يضره أو ينفعه اما استقلالا أو مع الله أو ناداه أو توجه اليه أو استغاث به فى أمر من الأمور التى لا يقدر عليها المخلوق (فلم يخلص) التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة • (ثم قال) : أين من يعقل معنى : « انالذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » (٧ ك الاعراف : ١٩٤) • وقوله : « فلا تدعوا مع الله أحدا » (٧٢ ك الجن : ١٨) • وقوله : « له دعوةالحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء » (١٣ م الرعد : ١٤)•

ومن عجب أن يسأل الناس من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ويلحون فى السؤال لمن يغضب عليهم اذا سألوه ويتركون دعاء من يغضب عليهم اذا لم يسألوه .

فقارن بين هـذا الكرم الالهى قال صلى الله عليه وسلم ومن لم يسأل الله يغضب عليه : رواه الترمذى عن أبى هريرة .

وصدق الشاعر حيث يقول :

لا تسـألن بنى آدم حاجـة

وسـل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضـب ان تركت سـؤاله

وابن آدم حين يسـئل يغضـب

وللسلف الصالح مع الأمراء وغيرهم مواقف كريمة ارتفعت بها منزلتهم . وعلا قدرهم .

قال أحد الأمراء لرجل من الصالحين ارفع الينا حاجتك . فقال : قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فما أعطانى منها قبلت وما منعنى رضيت .

ورد آخر بقوله : أنا وأنت من عباد الله فمحال أن يذكرك وينسانى .

٣٢ - الدعاء بالاسم الأعظم :

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم سـمع رجلا يقول : اللهم انى أسألك انى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فقال : لقد سألت الله

بالاسم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب • أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى •

وعن أنس أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يصلى ثم دعا اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام يا حى يا قيوم • فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد دعا بالاسم العظيم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى رواه أبو داود والحاكم •

وعن أسماء بنت يزيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) (٢ م البقرة: ١٦٣) وفاتحة سورة آل عمران : (آلم الله لا اله الا هو الحى القيوم) (٣ م آل عمران : ١ ـ ٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه •

٣٣ ـ طلب الدعاء من الصالحين :

يطلب الدعاء من الصالحين وقد ورد فى الحديث القدسى : ادعنى بلسان لم تعصنى به •

ولقد بلغ من كمال تواضع النبى صلى الله عليه وسلم وهو أفضل خلق الله أن طلب الدعاء من عمر رضى الله عنه •

فقد ورد عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر قال : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن لى وقال : لا تنسانى يا أخى من دعائك • فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا • قال شعبة ثم لقيت عاصما بعد بالمدينة فحدثنيه • فقال أشركنا يا أخى فى دعائك • أخرجه أبو دواد والترمذى وقال حديث حسن صحيح •

وكان عمر رضى الله عنه يأخذ بيد الصبى فيقول له : ادع لى فانك لم تذنب بعد .

ـ يلاحظ أن أعضاء مجتمعنا المعاصر يدعون دعوات أخرى يعتقدون فى أنها مستجابة .. منها دعاء ليلة النصف من شهر شعبان حيث يصلى المسلمون المغرب ثم تقرأ أولا سورة يسن ثلاث مرات الأولى بنية طول العمر والثانية بنية دفع البلاء والثالثة بنية الاستغناء عن الناس ، وكلما تقرأ السورة مرة تقرأ بعدها الدعاء مرة وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول والانعام ، لا اله الا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ، وأمان الخائفين ، اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا على فى الرزق . فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى واقتار رزقى واثبتنى عندك فى ام الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات ، فانك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، الهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ، أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم انك أنت الأعز الأكرم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

ـ ومن هذه الدعوات دعاء « عدية يسن » ، وخطواته أن تتلى سورة يسن سبع مرات ، ثم يقرأ التالى بعدها من أول السورة الى قوله تعالى « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ، ثم يقول التالى « اللهم يا من نوره فى سره ، وسره فى خلقه أخف عنى أعين الناظرين وقلوب الحاسدين والباغين واحفظنى كما حفظت الروح فى الجسد انك على كل شىء قدير » ، ثم يقرأ الى قوله تعالى « وجعلنى من المكرمين » ثم يقول التالى

« اللهم اكرمنى بقضاء حاجتى » ، ثم يقرأ الى قوله تعالى « ذلك تقدير العزيز العليم » مكررها احدى عشرة مرة ، ثم يقول « اللهم انى أسألك من فضلك السابغ وجودك الواسع أن تغنينى عن جميع خلقك ، ثم يقرأ الى قوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم » مكررها أربع عشرة مرة ، ثم يقول التالى « اللهم سلمنا من آفات الدنيا ثلاث مرات ، ثم يقرأ الى قوله تعالى « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى » ثم يقول « والله قادر على أن يقضى حاجتى » ثلاث مرات ، ثم يختم السورة ويقرأ دعاءها .. ثم يختم التالى بسورة الاخلاص والمعوذتين وألم نشرح .

والملاحظ أنه فى حالة قيام نزاع بين أقارب أو بين جيران فانه حرصا على وجود العلاقات بينهم كما هى .. أى حرصا على عدم قطعها أو اعلان هذا القطع ، فان المظلوم منهم يلجأ الى قراءة « عدية يسن » على من ظلمه . ويحضر الكاتب فى هذا المجال تجربة شخصية هى أن أحد الناس قد علم علم اليقين أن خاله قد أتلف بعض مزروعاته ، فذهب الى أمه يشكو هذا الخال ، واضطر الى أن يدعه دون أن يبلغ عنه رجال الشرطة ، واكتفى باحضار بعض قراء القرآن الكريم وطلب منهم قراءة « عدية يسن » على كل من ظلمه . (أنظر من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، صفحة ٢٥٣) .

ومن الدعوات التى يرى البعض أنها مستجابة .. وبخاصة اذا كان الداعى يواجه الهم والغم أو الحزن .. والتى لاحظ الكاتب أن بعض الخاصة يستعملونها .. ويؤمنون بها ايمانا عميقا .. ما يلى :

- قراءة الفاتحة .
- قراءة خواتيم سورة البقرة من أول « آمن الرسول بما أنزل عليه . . . »

- قراءة سورة الاخلاص والمعوذتين وآية الكرسى .

- ثم قراءة الصيغة التالية .. ثلاث مرات :

« اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك . ناصيتى بيدك . ماض فى حكمك . عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى .. اللهم آمين » .

١٥- من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، صفحتا ٣٥٣ - ٣٥٤ .

١٦- الخلود فى التراث الثقافى المصرى : صفحة ٤٤ .

١٧- يذكر الله المصريون المسلمون كما يذكره جل وعلا المصريون المسيحيون على السواء .. وقد تتباين ألفاظ الذكر ولكن معانيها متشابهة .

١٨- السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، صفحات ١٦٩ - ٢٠٩ .

١٩- السبحة ليست عربية الأصل وهى فارسية الأصل يستخدمها المصريون عند الذكر والتسبيح لمجرد التيسير .. (شارل كوينز) .

٢٠- محمود خطاب : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ، صفحة ٣٠ .

- والملاحظ أننا نجد بعض الجماعات يذكرون الله ، أحيانا ، وهم اذ

يفعلون ذلك تجدهم يقولون « لا ايلها ايلا الله » باشباع همزة آله فتولدت عنها ياء ومد هائه فصارت على صيغة المثنى ، واشباع همزة الا فتولدت عنها ياء ، واثبات ألفها مع شدة صوت غليظ . ومنهم من يقول « لايلها الا الله » بتفخيم أداة النفى مع اخراجها من أقصى الحلق والغلظ وابدال همزة اله ياء واشباع هائه فتولدت عنها ألف وقصر لفظ الجلالة جدا عن المد الطبيعى مع قوة صوت منكر وخروشة من الجوف كصوت (الناهق) من الحيوانات ويسمونه تدويكا ، ويزجرون اتباعهم اذا ذكروا بالاسم خالصا كما جاء به القرآن ونطق به النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة المسلمين، ويوبخونهم على ذلك ، ويقولون لهم اخرجوا الدوكة من جوفكم بقوة وغلظ صوت لأجل أن تستنير قلوبكم ، وربما طردوا من لم يوافقهم على هذا الصنيع من مجلسهم ، ويقولون له أتلفت علينا المجلس أو نحو ذلك من الأقوال . ومنهم من يقول « لا الها » بالوقوف على آله بصيغة التثنية ثم يبتدئون بـ « الا الله » ، وتارة يقفون على « اله » بالسكون بدون ألف ويبتدئون بـ « الا الله » مع صوت تمجه الأسماع . وتارة يقولون « لوم لوم الا الله » بتفخيم اللام وضمها مع الفظاظة الشديدة والاشباع فتولدت عنها واو وابدال الألف « ميما » ساكنة وقصر لفظ الجلالة جدا عن المد الطبيعى وربما أسرعوا فلا تسمع لهم الا أصوات كأصوات «زوم» النابحين الى غير ذلك من الحالات . وتارة يذكرون بلفظ الجلالة وحده .. فمنهم من يقول « آلله آلله » بمد الهمزة مع التفخيم الغليظ كصوت من فى حلقه حجر ، وقصر الجلالة نحو ما مر مع السكون . وتارة يقولون « ألله » بالسكون مع القصر على نمط ما تقدم ، وقد يسرعون فيقولون « هل هل » بهاء مضمومة ولام غليظة مثقلة ، وتارة يقولون « آله آله » بهمزة ممدودة ولام قوية الغلظ وهاء ساكنة الى غير ذلك . ومنهم من يقول « اه اه » بهمزة مكسورة وهاء ساكنة .

ومنهم من يقول « أح أح » بهمزة مفتوحة وحاء ساكنة • ومنهم من يقول « ألله حى » بقصر لفظ الجلالة مع سكون الهاء ومد حى نحو العشر الحركات مع صوت مهول كصوت من يعالج اخراج حصاة من صدره ، وتارة « ألله ألله » بهمزة مضمومة شديدة الغلظ مائلة الى الهاء وقصر الجـــلالة وضم لامها مع سكون هائها وغلظ الصوت (المرجع السابق صفحتا ٢٨ - ٢٩) •

- والملاحظ أن حلق الذكـر فى مجتمعنا قد تعددت وظائفها • • فهى تعقد فى الموالد وفى الأفراح وفى المواسم •• نجد ذلك فى الريف بعامة ، كما نجده فى بعض المنـاطق الحضرية •• نجده فيما يسمى بـ « الحضرة » وفى حفلات الزواج وفى حفلات « الطهارة » •• وقد تكون حلقة الذكر الأسلوب الوحيد للاحتفال •• أو قد تكون أحـد الأساليب للوفاء بالنذور ••

- وفى ضوء تراثنا الثقافى ما نجده فى محيط بعض الجماعات •• نجـد المسئول ينصح مريديه قائلا : أيها الانسان جدد التوبة في غالب الأزمان وأكثر من الاستغفار • والصلاة والسلام على السيد المختار وذكر مولاك • الذى على موائد كرمه رباك • واعلم أن هذه الأمور كلها تجوز من قيام وقعود • واضطجاع ورقود • فى الخلوة والجلوة مع الاستدبار والاستقبال • والفراغ والاشتغال • بوضوء ومن غير وضوء ولو عليك جنـابة • وان كان مع الوضـوء وباقى الشروط أكمل فى الانابة • والغرض أن لا تغفل عن الطاعة • كلما أمكنك حـذرا من التفريط والاضاعة • ولو كل سـاعة مرة من ذلك • ليتصل بقلبك النور من السيد المالك وينفعك ذلك • عند ذكر مجلسك المخصوص فان قلبك حينئذ لا يتحول عن استحضار عظمة مولاك كأنه بنيان مرصوص • وتجده خاليا من التشويش والاختلاط • منشرحا للطاعة فى غاية القوة

والنشـاط • كل ذلك لاتصال قلبك بالأنوار • بسبب تجديدك الطاعة بالنهار • اذ اللغو وترك العبادة موجب للكسل وشغل القلب وزيادة • وأعلم أنه لابد لك فى كل أربع وعشرين ساعة من مجلس مخصوص فى الليل أو النهار والليل أولى بعد فراغك من الشواغل بأن تتوضأ ان أمكن وتصلى من النفل ما تشاء واذا كان عليك فوائت صل منها بدلا من النفل لأن فعل الفرض مقدم على فعل النفل • ثم تستقبل القبلة ان أمكن وتقرأ ما تيسر من القرآن كالفاتحة وسورة تبارك الملك ان كنت حافظا لها وسورة الكافرون ثم تستغفر الله بأية صيغة مائة مرة أو أكثر ثم تجدد التوبة وتندم على ما فعلت من المخالفات وتحاسب نفسك عـلى ذلك محاسبة شديدة كأنها طفل بين يديك تريد تربيته بزجره بكل ما تقدر عليه بمعنى أنك تذكر لها كل ما وقع منها طول النهـار من المخالفات والتفريط والكسل وغير ذلك وتذكر لها العذاب الذى جعله الله تعالى للعاصين والثواب الذى أعده تعالى للطائعين فتحكم عليها أن تقبل على العبادة فى تلك الليلة بقدر ما ارتكبت من المعاصى أو أزيد اذ الحسنات تكفر السيئات ، والمحاسبة المذكورة من أهم الأمور المطلوبة • ثم تصلى وتسلم على النبى صلى الله عليه وسلم بأية صـيغة مائة مرة فأزيد وينبغى الاكثار ليلة الجمعة • ثم تتجرد من الشواغل الدنيوية كلما أمكن أو بقدر ما يمكن لأنك تريد الدخول فى حضرة ربك التى هى كناية عن الاقبال التام على الله عز وجل والاعراض عن كل ما سواه حتى عن نفسـك وأنت جالس فى مكان طاهـر مظلم معطـم مطيب بالروائح الزكية كجلوسك للصلاة واضعا يديك على فخذيك مغمضا عينيك عما يشغل لأنه بتغميض العينين تنسد طرق الحواس الظاهرة ، وسدها يكون سببا لفتح حواس القلب ، لابسا لثياب بيض حلال مطيبات بالروائح البهية والفم والبدن مبعدا الروائح الكريهة لأن الروحانيين لا يقبلون الروائح الكريهة وانقطاعهم عن مجلس الذكر علامة عـلى انقطاع الخير •• ثم تذكر فى الاسم الذى اذن « الشيخ » لك فيه بهمة

تامة مستحضرا معنى ذلك الاسم فى قلبك حتى كأن قلبك هو الذكر وأنت تسمعه متباعدا عن تحريف الأسماء كما هو الواقع من أغبياء جهلة متصوفة الزمان .. ولا تختم الذكر حتى يحصل لك نوع من الاستغراق بأن تحس من نفسك بحلاوة الذكر ويحصل لك شوق وهيمان . ثم اذا ختمت سكنت واستحضرت الذكر باجرائه على قلبك متر قبال « وارد الذكر » . فلعله يرد على القلب وارد ينشأ عنه فى اللحظة من الثمرة ما لم ينشأ عن مجاهدة نحو ثلاثين سنة ، وهذا الوارد اما وارد زهد ، أو ورع ، أو تحمل أذى ، أو محبة ، أو نحو ذلك .. تاركا للواردات الدنيوية حابسا نفسك اذ ذاك ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا هكذا بالأفراد ، فلهذه السكتة ثلاثة آداب : مراقبة الله تعالى كأنك بين يديه ، وجمع حواسك بحيث لا تتحرك منك شعرة كحال الهر عند اصطياد الفأر ، وحبس نفسك مرارا حتى يدور «وارد الذكر » فى جميع عوالمك ويجرى على قلبك معنى الله كافا عن شرب الماء فى أثناء الذكر ، وبعد الفراغ منه ، لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات الجليلة ، وشرب الماء ربما أضعف تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن تصبر نحو نصف ساعة فلكية ، وكلما كثر كان أحسن ، بل الصادق لا يكاد يشرب الا عن ضرورة قوية لكون ترك شرب الماء من الآداب المؤكدة ، فلتحرص على هذا أيها الصادق .. الخ .. (العهد الوثيق لمن أراد أحسن طريق.. صفحات ٢ – ٤) .

٢١– صلاح مصطفى الفوال : البداوة العربية والتنمية : القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ ، صفحة ٤٠ .

٢٢– سيد عويس : مذكرات يوغوسلافية ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٤ ، صفحتا ٧٥ – ٧٦ .

٢٣- محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة : صفحة ٤٧ وصفحة ٥٣ .

٢٤- مذكرات يوغوسلافية : صفحتا ٤٢ - ٤٣ .

٢٥- محمود السعران : اللغة والمجتمع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، صفحات ٩ - ١٧ .

٢٦- أحمد حلمى زكريا حجى : اللغة السرية فى نطاق النشالين ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦٦ .

٢٧- محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة : صفحة ٥٩ .

٢٨- من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : صفحتا ١٣٢ - ١٣٣ .

الفصل السادس

من أنماط تفكيرنا

يتضمن الفصل الحالي الموضوعات الآتية :

١ – بعض أنماط التفكير .

٢ – مواجهة المجهول .

٣ – تجربة تربوية .

٤ – مفهوم الوقت .

٥ – الكم والكيف .

٦ – التفاؤل والتشاؤم : مثال واحد .

٧ – النظرة نحو المرأة .

٨ – من منابع أصول الحكمة فى تراثنا الثقافى المعاصر .

١ - بعض انماط التفكير ..

عند محاولة استبدال مورد المياه لأول مرة فيإحدى قرىالريف .. وذلك بحفر آبار صحية ، كمورد مياه جديد ، يستخدمها أهل القرية بدلا من مياه الترعة الضارة ، المصدر الأساسى لمرض البلهارسيا ومرض الانكلستوما .. كان حفر الآبار الجـديدة أمرا ســهلا ميسرا .. ولكن اقناع أهـل القرية باستخدام مياهها كان الأمر الصعب . فعندهم ماء النيل أحسن ماء للشرب .. أليس هذا الماء من صنع الله ؟ وهل يصنع الله شيئا ضارا ؟ ولم يرجع أهـل القرية عن هـذا الاتجاه الا عندما أراهم الشخص المسئول بالمجهـر الفرق الواضـح بين ماء النيل الذى يجرى فى الترع وماء الآبار . ورأى زعمـاء القرية .. امام المسجد وناظر المدرسة والعمدة وشيخ البلد .. الفرق . . واقتنعوا (١) .

وعند عرض آلات الدرس الحديثة على الفـلاحين لكى يستخدموها حتى يمكن معرفة مقدار ما ينتجون ، رفضوها .. وفضلوا عليها استخدام النورج.. الطريقة القديمة .. أى أنهم فضـلوا أن يضيع وقتهم ومجهوداتهم .. وأن يضيع بعض المحصول ، وذلك بتركه فى الأرض باقيا أو لتأكله الطيور . لقد فضل الفلاحون الطريقة القديمة .. ويقول الواحد منهم مبررا هذا التصرف: « ان المحصول سر بينى وبين ربى لا أريد أن يعرفه أحد » (٢) .

وعند حدوث اعتداء من اعتداءات الاسرائيليين الكثيرة على الجبهة المصرية فى خلال عام ١٩٥٥ ، قرأ مواطن ريفى فىالجريدة اليومية عن هذا الاعتداء ، وماكان منه الا أنأخذ يبحث عما ورد فىالجريدة عن لفظ «اسرائيل» ، وفى كل مرة يجد هذا اللفظ يمسحه باصبعه باسم الله الأعظم ، ثم كتب رسالة الى ضريح الامام الشافعى الذى مات منذ نحو ١١٥٠ عاما ، يطلب منه عقد جلسة شريفة يحضرها سيدنا الحسن وسيدنا الحسين والست زينب أم هاشم وجميع

أهل بيت النبى صلىّ الله عليه وسلم للنظر فى موضوع « مسح وازالة اسرائيلَ اليهود من علىَ وجه الأرض المقدسة فى هذا الأسبوع) (٣) .

كلّ هذه الحالات قد حدثت فى الريف المصرى المعاصر .. ولعل ذلك أن يرجع الى أن مجتمع القرية منذ فجر التاريخ كان منعزلا .. على الرغم من تكرار اتصالات المجتمع المصرى الكبير بالثقافات الأجنبية على مر الزمان ، الثقافات التى كان يحملها معهم المستعمرون .. وغيرهم من الأجانب ونحن نعزو ذلك لا الى أن الفلاح لم يكن مستعدا للتغيير .. ولكن لأنه لم تتح له فرصة تكوين هذا الاستعداد .. وحتى مجرد تكوين الاستعداد ، فى رأينا ، لا يكفى دون وجود الامكانيات التى تحقق مطالب هذا الاستعداد . وقد انعدمت هذه الامكانيات أو كادت فى ظل الاستعمار وما يشبه الاستعمار ..

ولعل الاستعمار الطويلَ .. أو ما يشبه الاستعمار الطويلَ .. الذى عاناه المصريون فى الماضى ، وخصوصا الفلاحون ، أن يكون مسئولا عن قهر وجود الاستعداد للتغير فى محيط بعض العناصر الثقافية . وربما تكون رواسب الظلم والقهر والاستبداد الناتجة عن هذا الاستعمار الطويل مسئولة عن معاناة الكثير من الفلاحين المصريين ، المستمرة ، من مواجهة المجهول ، ومن ثم نجدهم متمسكين بمواجهة الانتظار فى صوره المختلفة .. ومنها صور الحذر والتردد .. « أمش سنة ولا تخطى قنا » و « طولة البال تهد الجبال » .. ومنها الاحتماء فى ضباب الغيبيات .. « رب العطا يعطى البرد على قدر الغطا » ..

والملاحظ أنه اذا كانت الحالات السابقة قد حدثت فى الريف المصرى المعاصر .. فان حالات أخرى مثلها تحدث ، أيضا ، فى الحضر المصرى المعاصر . ولعل عوامل وجود الأخيرة أن تكون نفس العوامل . ولعل من الحالات التى تحدث فى الريف ، ما تحدث كذلك فى الحضر ، ومن الحالات التى تحدث فى الحضر .. ما تحدث كذلك فى الريف .. أى أنها تحدث

فى محيط معظم أعضاء المجتمع المصرى المعاصر سواء كانوا ريفيين أو حضريين •• أو أنها تحدث فى محيط بعض قطاعات هذا المجتمع أو بعض جماعاته ••

وقد شاهد الكاتب بعينى رأسه فى مدينة القاهرة ، مثلا ، عقد قران احدى خريجات الجامعة على أحد خريجى الجامعة •• يعملان فى القطاع العام بالدولة •• وهما من أسرتين من الأسر غير الريفية • وقد لاحظ الكاتب أنه فى أثناء عقد القران كانت العروس •• خريجة الجامعة •• تجلس على كرسى •• وقدماها فى اناء به ماء مملوء « بالسلق الأخضر » ، وكانت تحمل فوق رأسها مصحف القرآن الكريم ، وفوقه شمعة مضيئة •• وتحت ابطها رغيف من الخبز • وعندما أبدى دهشته تطوعت أم العروس بتفسير هذه الرموز •• ان « السلق الأخضر » يجعل قدم العروس « قدم سعد » على زوجها ، والخبز لكى « يخبز الله عيشها » مع زوجها ، أما المصحف فهو رمز البركة •• وترمز الشمعة المضيئة الى بقاء العروس فى عينى زوجها ، باستمرار ، مجلوة جميلة رشيقة كالشمعة المضيئة • وأضافت أم العروس بيانات أخرى •• منها أن العروس كانت تضع قطعة من السكر تحت لسانها ، وتضع قطعة من النقود الفضية فوق لسانها •• حتى يكون حديثها مع زوجها حلوا كالسكر وذا بريق كبريق الفضة ••

وعندما أعلنت المصادر الطبية أن أول عملية ناجحة فى العالم لزرع القلب فى جسم مريض قد تمت بنجاح ، أو فى سبيلها الى هذا النجاح ، فى أحد مستشفيات « كيب تاون » فى مجتمع جنوب أفريقيا •• أى المجتمع الذى يمارس فيه أبغض أنواع التفرقة العنصرية ، كتب أحد الصحفيين •• منوها بهذا الخبر الخطير •• خبر زرع القلب •• الذى ان دل •• فانما يدل على قدرة الانسان على محاولة التسلط •• فى ضوء العلم •• على الطبيعة •• ومحاولة التحكم فيها ، الأمر الذى يجب أن ييسر اشاعة التفاؤل الموضوعى

فى نفوس بنى البشر . ومع ذلك .. فاننا نجد هذا الكاتب .. يذكر كلاما يتساءل فيه .. فى ضوء الصورة اللاانسانية التى تعامل بها الأغلبية الساحقة من الافريقيين من أعضاء مجتمع جنوب أفريقيا .. « صورة العنصرية البغيضة ، والعقد ، والطبقية ، والتفرقة بأجلى معانيها » .. قائلا « لماذا لانقوم بنقل قلوب من الافريقيين أبناء جنوب أفريقيا لتحل محل قلوب هؤلاء البيض (الأقلية المتحكمة) الذين يحكمون تلك الدولة ويتحكمون فيها ؟ لماذا لاننقل تلك القلوب بكل ما تحمل من طيبة ، وصفاء ، وعدم حمل أية ضغينة .. لتحل محل تلك القلوب الجامدة القاسية ، التى تضع أصحابها فى مستوى أعلى من مستوى أهل البلد وتحمل لهم الحقد والكراهية والبغضاء ، ثم فوق كل ذلك تناصر كل أنواع الحكم الاستعمارى العنصرى بما يحمل من معان تتنافى وكل المثل الأخلاقية .. والقيم الانسانية .. ؟ » . ثم يرجو الكاتب أو يتمنى .. أن يتوصل « الطب الى أن يقوم بعملية زرع قلوب جماعية عند هذه الزمرة من البيض الذين عادوا العالم كله ، والذين تعرضوا لسخط كافة الشعوب الحرة .. » . والصحفى الكاتب اذ يرى أن « تغيير القلوب قد يستتبعه تغيير العقول وبذلك يتغير نوع التفكير وأسلوب المعاملة .. ونقضى على نوع من أبشع أنواع السيطرة والتحكم » .. لا يذكر ، مع الأسف ، وما نيل المطالب بالتمنى ، ولكن تؤخذ الدنيا غلابا .. (٤) .

ومن الغريب أن نجد صحفيا آخر قد أدلى بدلوه فى نفس هذا الموضوع .. موضوع زرع القلوب .. قائلا « اننى أقبل ، من حيث المبدأ ، أن أضع جسدى فى خدمة العلم ، وأن أعيش لفترة زمنية فأرا للتجربة ، ولكنى أرفض أن أقضى عمرى كله مجرد نشرة طبية حتى يستوثق العلم من أن مشاعرى وعواطفى لم تتغير » ، ذلك لأنه يرى أن الانسان قد عاش ملايين السنين يتصور أن القلب هو مركز كل العواطف والأحاسيس ، وان من حقه أن « يستوثق من أن تغيير قلبه لن يغير عواطفه تجاه من يحب ومن يكره ، ولن يغير موقفه من قضايا الولاء لوطنه وعقيدته ومثله العليا .. » . ولعل هذا

الصحفى الكاتب .. مثله مثل زميله السابق .. لا يدرى أن العواطف والعقائد والقيم الاجتماعية والمبادىء والمثل العليا .. كلها .. من صنع المجتمع الذى يعيش الانسان فيه . ان هذه الأمور .. كلها .. كما يجب أن يعلم هؤلاء المسئولون ، هى نتاج العلاقات الاجتماعية التى يعيشها الانسان ونتاج المواقف الاجتماعية التى يواجهها الانسان ، وأن مصدرها .. لا يوجد فى قلب ما .. انما يوجد فى الحياة المعاشة .. وهو نتيجة لهذه الحياة المعاشة.. وهو ، بطبيعته ، يكون جزءا من العناصر الثقافية غير المادية فى المناخ الاجتماعى الثقافى للمجتمع الذى نعيش فيه . أما القلب الانسانى .. أى قلب .. فهو، فى ضوء العلم ، عضلة من عضلات الجسم لها وظائف معينة ترتبط بالدورة الدموية فى هذا الجسم .. ولا يمكن أن ترتبط أبدا بالعواطف والعقائد والقيم الاجتماعية والمبادىء أو المثل العليا . والقلب مثل الأذن ومثل العين، فالملاحظ أن الأذن ، كجزء من أجزاء الجسم الانسانى تسمع ولكن المجتمع هو الذى يفسر لصاحب الأذن ما تسمع من أصوات ومن أنغام .. والعين جزء كذلك من أجزاء الجسم ترى ولكن المجتمع الذى يعيش فيه صاحبها هو الذى يعطى المعانى لكل ما ترى (٥) .

٢ - مواجهة المجهول ..

ان بنى الانسان وهم يواجهون مواقف الحياة بأنماطها وأنواعها .. يواجهون ، فى أغلب الأحيان ، أنماطا متباينة من المجهول . ومواجهة المجهول ، كما يعلم القارىء ، قد تكون شيئا رهيبا أو قد لا تكون . ومع ذلك فالناس ، جميعا ، والكاتب منهم ، والقارىء ، أيضا ، منهم ، يعيشون على الدوام على الافتراضات . فأنا أفترض ، مثلا ، أن القلم الذى فى يدى سيكتب وأن الكرسى الذى أجلس عليه سيحملنى ، وأن الشمس ستشرق فى الصباح وستغرب عند المغيب ، وأننى ، فى أول كل شهر ، سأحصل على مرتبى .. وسأدفع ايجار شقتى .. الخ .. كلنا نواجه المجهول على الدوام .. أى أننا نعيش على الافتراضات .. وبعضنا ، لحسن الحظ ، بسبب التعود على هذه المواجهة .. لا يشعر بذلك .. أو يحاول ، عن وعى ، أن لا يشعر بذلك ..

ويبدو المجهول شيئا رهيبا عند بعض أعضاء مجتمعنا المعاصر .. ومن الدعوات التى تتردد فى محيط هؤلاء الأعضاء ، نجد « ربنا يكفينا شر المخبى» و « المخبى » هو المجهول .. وهو ينم ، فى ضوء هذا الدعاء ، على مواقف عديدة متوقعة غير مستحبة أو غير مطلوبة ، يحاول أعضاء مجتمعنا المعاصر بهذا الدعاء أن يتجنبوها ..

ويلاحظ أن أسلوب مواجهة المجهول فى مجتمع ما ينم على المستوى الثقافى الذى وصل اليه أعضاء هذا المجتمع .. فمنهم من يستعد لمواجهته ايجابيا ، ومنهم من يستعد لمواجهته سلبيا . ومنهم ، كما يفعل الكثير من أعضاء مجتمعنا ، من يحاول أن يستبعده .. أى يتجنبه بالدعاء .. أو يتجنبه بالرقى والتعاويذ أو ما يشبه الرقى والتعاويذ . ويكفى أن يلاحظ أى شخص منا ما يكتبه بعض أصحاب السيارات واللوريات أو سائقوها ، فى مجتمعنا ، على نوافذ هذه السيارات واللوريات أو على جانب من جوانبها من كلمات أو

عبارات تتضمن بعض الآيات القرآنية أحيانا ، أو تتضمن أحيانا أخرى بعض الأمثال الشعبية أو بعض الدعوات أو غيرها .. كلمات وعبارات تعكس ما يرجونه من الوقاية من المواقف المتوقعة غير المستحبة أو غير المطلوبة .. كالحوادث مثلا أو غيرها من المعوقات المادية وغير المادية ، فقد نرى من يكتب مثلا « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » (١٢ ك يوسف : ٦٤) ، و « حفظناها من كل شيطان رجيم » (١٥ ك الحجر : ١٧) و « فان من العسر يسرا » (٩٤ ك الشرح : ٥) ، و « ماشاء الله » (٧ ك الأعراف ١٨٨) ، و « شهد الله أنه لا اله الا هو .. » (٣ م آل عمران : ١٨) ، و « ان الله يدافع عن الذين آمنوا .. » (٢٢ م الحج : ٣٨) ، و « ما توفيقى الا بالله » (١١ ك هود : ٨٨) ، و « الله جل وعلا » ، و « الحمد لله » ، و «الله أكبر» ، و « الله » ، و « الله يسمع ويرى » ، و « الصبر طيب » ، و « فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة » ، و « امشى بالراحة توصل بدرى » ، و «يقينى بالله يقينى » ، و « عين الحسود فيها عود » ، و « الحسود لا يسود » ، و « ماتبصليش بعين ردية .. بص لى انصرف على » ، و « المحروسة » ، و « عنك ! » و « حاسب ! » و « قاصد كريم » ، و « نصر الله » ، و «الحلم سيد الأخلاق » ، و « الحاجة » ، و « الستار موجود » ، و «يارب سترك» ، و«يابركة دعاء الوالدين» ، و«يارب رضاك» و«كده رضا» . ولايعنى أن كل الكلمات والعبارات المكتوبة هى كلها من هذا القبيل .. فالملاحظ أننا قد نجد مكتوبا كلمات وعبارات تحمل معانى أخرى .. معانى فيها بعض عناصر الدعابة أو بعض عناصر المظهرية .. وان كانت كلها ، فى رأى الكاتب ، تتضمن عناصر التيمن . ومن ذلك نجد « النبى تبسم » و « معلهش يا ظهر » ، و « يا أجمل هدية من أمى وأبويا » ، و «ماتفكرنيش بالماضى.. أنا كده متهنى وراضى» ، و « حلاوتهم » ، و « كيداهم » ، و « كوثر » ، و « منى » ، و « ميمى » ، و « انت الحب » ، و « صباح الخير ياعرب » .. الخ . وقد تحمل بعض

العبارات معنى العزاء فنجد مكتوبا « معلش يازمن الهجرة غربتنا والأيام علمتنا» و « عزيزة علينا يا بلدنا » ، أو نجد عبارات تتضمن مجاملة المسئولين عن المرور مثل « نزيه يامرور بلدنا » .. الخ . وقد يعلق بعض أصحاب السيارات واللوريات أو سائقوها ، بالاضافة الى هذه الكلمات والعبارات أو بدونها ، أشياء معينة درءا للحسد أو طلبا للرزق أو رجاء الوقاية من المجهول .. ومن الأمثلة على ذلك نجد من يعلق أمامه أو على عداد سيارة الأجرة (التاكسى) « خمسة وخميسة » ، أو يعلق ما يرمز الى رقم خمسة ، أو نجد من يعلق مصحف القرآن الكريم من الحجم الصغير أو مسبحة أو حجابا أو عقدا من الودع أو من سنابل القمح أو قطعة من الشبة ، أو يعلق دمية من الدمى على شكل « سمكة » أو « قرن شطة » أو « حدوة حصان » .. .. الخ .

ومهما يكن من الأمر .. فالملاحظ أن المجهول يلعب دورا خطيرا فى حياة الناس .. فهو يجتذب حب الاستطلاع عندهم على الدوام ، نجد البعض منهم يستخدم الأسلوب العلمى فى محاولة التعرف على المجهول ودراسته حتى يفهمه ويتسلط عليه .. ونجد آخرين يحاولون التعرف على المجهول عن طريق أساليب أخرى غير علمية ..

ومن الأساليب غير العلمية لمحاولة التعرف على المجهول قراءة البخت .. أو قراءة الحظ .. ويبدو أن هذا الأسلوب ينتشر فى محيط أعضاء مجتمعنا انتشارا عجيبا .. فقد وجد الكاتب ، فى ضوء نتائج دراسة علمية لاتجاهات قراء موضوع « بختك اليوم » فى الصحف اليومية ، أن نحو ٧٥٪ من موظفى مصلحة من مصالح الحكومة يواظبون على قراءة هذا الموضوع يوميا.. منهم من يقرأه لمجرد التسلية ، ومنهم من يقرأه لأنه يتفاءل بنتائج القراءة ، ومنهم من يقرأه لأنه يقارن بين ما يقع وبين ما يتنبأ به ، ومنهم من يقرأه لأن ما يقرؤن يتحقق عادة .. ومنهم من يقرأه لأنه يؤمن بنتائجه ..

والملاحظ أن هؤلاء الموظفين تتراوح أعمارهم ما بين ١٧ - ٥٥ عاما .. منهم نحو ٦٣٪ لا تزيد أعمارهم على ثلاثين عاما . وأن نحو ٥٢٪ منهم من مواليد محافظة القاهرة ، وأن نسبة الذكور منهم نحو ٧٨٪ ونسبة المسلمين منهم نحو ٨٢٪ ، ونسبة المتزوجين منهم نحو ٥٠٪ ، وأن نحو ٩٠٪ منهم قد حصلوا على شهادات متوسطة ، وأن نحو ١٠٪ منهم قد حصلوا على شهادات عالية ..

وقد تأكد للكاتب، عند عقد امتحان القبول فى أحد المعاهد العليا ، منذ وقت قريب ، أن نحو ٥٠٠ من الطلاب .. نصفهم من الذكور ، ومن الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها ، وتتراوح أعمارهم ما بين ١٧ - ٢٠ عاما - يعرف كل واحد منهم اسم « البرج » الذى ولد فيه .. حفظه ، عن ظهـــر قلب ، من القراءة فى الصحف اليومية أو الأسبوعية ..

ويلاحظ أن من يقرأون « بختك اليوم » يزورون المقابر كثيرا ، كمـــا يزورون أضرحة الأولياء والقديسين ويؤدون لهم النذور ويوفون بها.. وهم يؤدون فريضة الصلاة وفريضة الصوم .. ونسبة كبيرة منهم يؤمنون بالأشباح ويمارسون عمليات البخور فى المناسبات وقراءة الفنجان والكف وحمل التمائم وفتح المندل . .

وهؤلاء وأولئك من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر .. ولكنهم يتميزون بقسط من التعليم كما يتميزون بالشباب .. وببعض السلطان .. (٦) .

٣ - تجربة تربوية .. ..

رحم الله الأستاذ يعقوب فام ، كان مربيا ثوريا .. كرس حياته ليصنع حياة جيل من الصبيان والشبان من أعضاء مجتمعنا ، أبناؤه الآن رجال يصنعون الرجال . كان يؤمن بالديموقراطية بأنماطها العديدة ، ايمانا نظريا وعمليا .. كان هو يمارس الديمقراطية بأنماطها العديدة ، وكانت أساليبه التربوية أن يجعل الآخرين ، فى ضوء مواقف اجتماعية سليمة ، يمارسون الديمقراطية بأنماطها العديدة كذلك ..

كان ، رحمه الله ، يرى ، بحق ، أن أعضاء المجتمع ، وبخاصة الصبيان والشبان ، مهما كانت ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، يستطيعون ، اذا ما أتيحت لهم الفرصة ، أن يمارسوا الديمقراطية بأنماطها العديدة . جرب ذلك فى محيط طلبة المدارس الثانوية وطلبة الجامعة .

وجرب ذلك ، أيضا ، فى محيط العمال ، وجرب ذلك ، كذلك ، فى محيط الفلاحين ، وأخيرا جرب ذلك فى محيط الأحداث والشبان الجانحين . وقد نجحت تجاربه نجاحا باهرا ..

ان ايمان الأستاذ يعقوب بالديمقراطية الحقة ، بأنماطها العديدة ، كان ايمانا لا تشوبه الشوائب أبدا .. على الرغم من بعض الأخطاء .. وعلى الرغم من ظروف مجتمعنا المختلفة .. الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ..

وعندما كان مستشارا تربويا لاحدى مؤسسات الأحداث والشبان الجانحين ، كانت أهدافه الأساسية أن يغرس مبادىء الديمقراطية ، نظريا وعمليا ، فى مجتمع المؤسسة ، وهو مجتمع يضم أحداثا وشبانا ارتكبوا الجرائم على

تباينها •• ارتكبـوا جرائم السرقات والمخـــدرات •• والجرائم الجنسـية والضرب •• الخ ، كما وجدوا فى حالات التشرد المختلفة •• مثل حـالات التسول وجمع الأعقاب والمروق •• الخ ، وجاهد الأستاذ يعقوب كما جاهد مساعدوه فى سبيل تحقيق هذا الهدف السامى •• ولم تثن عزمهم عن ذلك أية عقبة من العقبات ••

وفى يوم من الأيام •• لاحظ المسئولون على المؤسسة انتشار وجود أعقاب الســجاير فى أيدى أبناء المؤســسة وفى جيوبهم •• يدخنونها تارة •• أو يتبادلونها مع بعضهم تارة أخرى •• أو يجعلونها مادة للعب القمار فيما بينهم فى بعض الأحيان • ونوقش هذا الموضوع فى اجتماع المسئولين عن المؤسسة •• وانتهوا الى أن فرض القوانين لا يجدى ان لم يجد الظروف المواتية التى تخلق صداه فى نفوس أعضاء المؤسسة ، وان كان مجديا ، أحيانا ، فان بعض آثاره قد يكون ضارا •• ذلك لأن الأهداف الأساسية للعمليات التربوية التى يأخذون أنفسهم لتحقيقها هى تنمية المادة البشرية أولا •• أى اعداد أعضاء المؤسسة لكى يكونوا مواطنين صـالحين • وهى ، ثانيا ، وقاية هـذه المـادة البشرية •• أى محاولة جعل أعضاء المؤسسة أن يبقوا ، باستمرار ، مواطنين صالحين • وهى ، ثالثا ، علاج المادة البشرية •• أى علاج من ينحرف من أعضـاء المؤسسة عن تقاليدها وقيمها ومثلها العليـا • وانتهى المسئولون عن المؤسسة ، أيضا ، الى أن هـذه المواقف •• مواقف انتشار أعقاب الســجاير فى أيدى أبناء المؤسسة وفى جيوبهم •• هى ، فى الواقع ، فرصة العمر لدعم مبادىء الديمقراطية بأنماطها فى مجتمع المؤسسة ، وذلك بتيسير ممارسـة هذه المبادىء ممارسة سليمة • وأتاحوا هذه الفرصة لأعضاء المؤســسة •• الذين ناقشوا الموضوع فى صراحة تامة تحت اشراف المسئولين •• ثم قرروا هم ، أنفســهم ، منع وجود أعقاب السجاير بالمؤسسة اطلاقا ، وقاموا ، هم ، أنفسهم ، بتنفيذ هذا القرار •• وفى خلال فترة وجيزة لم ير المسئولون على المؤسسة ، بعد ذلك فيها ، أثرا لعقب من أعقاب السجاير •• (٧)

٤- مفهوم الوقت .. ..

ان الاهتمام بالوقت والحرص عليه .. ومحاولة تسخيره والاستفادة منه.. كل هـذه سمات من سمات المجتمعات الصـناعية ، وبخاصة سمات المناطـق الحضرية فيها . ان ساكن المجتمع الصناعى .. ساكن المدينة فيه ، فى ضـوء ظروف حياته ، يكاد أن يقدس الوقت .. لأنه يعيش ، باستمرار ، فى مواعيد محددة . يخرج من بيته الى مكان عمله فى مواعيد محـددة .. وله أجازة محددة .. وحتى دور اللهو .. فهو يذهب اليها فى مواعيد محددة .

ان أعضاء المجتمعات الصناعية يرون أن الوقت مال . أى أنه يقدر بالمال.. أى أن ضياعه .. ضياع للمال ، على مستوى الأشخاص .. أو على مستوى المجتمع ككل .

وفى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر .. المجتمع الجديد .. نؤمن جميعا ، على المستوى النظرى ، بأهمية الوقت . ولكن نبض الحياة عندنا لا يحقق عادة هذا الايمان . فنحن مازلنا « نمشى سنة ولا نخطى قنا » ، ومازلنا نرى « أن طولة البال تهد الجبل » ، ونحن نقول محرفين « يامستعجل عطلك الله » بدلا من أن نقول « يامستعجل عطلك اللاهى (أى الشيطان) » .. ونحن نقول « ياخبر بفلوس بكره يبقى بلاش » و « كل وقت له آذان » و « تجرى جرى الوحوش غير رزقك ماتحوش » .. كما نقول ، كذلك ، « كل تأخيرة فيها خيرة » ، و « فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة » ، و « امشى بالراحـة توصل بدرى » ، و « طول بالك على السخن تاكله بارد » ..

ويبدو نبض الحياة هـذا واضحا فى الريف المصرى المعاصر .. أى أن الوقت فى الريف المصرى يبدو مهدرا ضـائعا .. ولعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية مسئولة عن هذا الاهدار وهذا الضياع . ويكفى أن

يتواعد الناس هناك للمقابلة « بكرة » •• •• أو بعد العصر•• أو فى «العشية» دون ما تحديد دقيق لموعد المقابلة • فالفلاح ، بالضرورة ، أكثر الناس خضوعا للطبيعة •• فهو ينتظر دائما تفضلها عليه ، ولعل انتظاره أن يطول أو أن يقصر ، وتراه ، فى الغالب ، ينتظر المعجزة عبثا •• أى أن الوقت يملكه أكثر من أنه يملك الوقت ••

والملاحظ أننا كشعب ، على وجه العموم ، نعيش فى الماضى •• كما نعيش فى الحاضر أكثر مما نعيش فى المستقبل • ولعل بنى البشر ، جميعهم ، أن يفعلوا ذلك •• فالحاضر يصير ماضيا بمجرد أن نعى به •• والمستقبل •• يكون حاضرا فى كل لحظة من الزمان • ولكن الآخرين اذ يفكرون فى الحاضر أو يفكرون فى المستقبل •• على العكس منا •• يحسبون حساب الحاضر وحساب المستقبل •• أى أنهم ، فى ضوء العلم ، يحاولون أن يتنبأوا بالمستقبل •• أى بما يأتى به المستقبل حتى اذا أصبح حاضرا يكونون على استعداد لمواجهته•• فلا تزعجهم المفاجأة بل يكونون ، على الدوام ، على وعى موضوعى بما سيكون •• وبما يكون • ولكننا •• بدورنا •• نؤكد دائما « اللى تعرفه أحسن من اللى ماتعرفوش » •• ونؤكد كذلك « احيينى النهاردة وموتنى بكرة » •• ونحن نرجىء عمل اليوم الى الغد •• على الرغم من أننا نعلم أنه يجب أن لا نفعل ذلك ، فى مكان العمل نرجىء عمل اليوم الى الغد •• وأبناؤنا فى دور العلم يفعلون ذلك •• وحتى فى محيط أعمالنا الشخصية نرى ذلك واضحا • ولعل القارىء أن يتفق مع الكاتب على أن الأمثلة على ذلك عديدة ••

وفى ضوء تراثنا الثقافى •• خلقنا من الوقت شبحا مخيفا •• نشكومنه مر الشكوى •• ونلقى التبعة عليه فى كل الأمور •• ونعيبه ولانعيب أنفسنا • فالوقت أو الزمان ، عندنا ، مسئول عن أشياء كثيرة • لعل أهمها مصيرنا وما أصبحنا عليه • والأيام •• وهى صور مجسمة من الوقت والزمان •• غادرة

فى معظم الأحيان •• « فمن سره زمن ساءته أزمان » و « اللى مايربيه أبوه وأمه تربيه الأيام والليـالى » • أى أننا بدلا من أن نسـخر الوقت بصـوره وأنماطه فى سبيل مصلحتنا •• تركناه يسخرنا •• ويفعل بنا ما يشاء •• **(٨)**

واذا كان نبض حياتنا الواقعية ، فى ضوء ظروف هـذه الحياة الاجتماعية والاقتصـادية ، يعطينا مفهوما للوقت يختلف اختـلافا بينا عن مفهـوم الوقت الصحيح •• مفهوم الوقت فى الثلث الأخـير من القرن العشرين •• عصر الصواريخ •• عصر سرعة الصوت أو الضوء ـ فاننا ، مع ذلك ، نؤكد •• فى بعض الأحيان •• أن « الوقت كالسيف اذا لم تقطعه قطعك » ••

٥ - الكم والكيف ٠٠ ٠٠

ان موضوع الكم والكيف يتصل بكل ما يتجه الانسان أو يهتم به ٠ وانتاج الانسان يتضمن أنماطا عديدة ٠٠ منها ما هو مادى ، ومنها ما هو فكرى أو معنوى ٠ واهتمامات الانسان منها ما هو أساسى مثل الحاجات التى يحاول اشباعها ماديا ٠٠ ما يأكله وما يشربه وما يكسى به بدنه أو يرعى به صحته ٠٠ ومنها ما هو معنوى كحاجته للشعور بالأمن والشعور بالمحبة وتبادل هذا الشعور ٠٠

والملاحظ أن الكم يتضمن كل ما يمكن أن يعد ٠٠ من حيث الحجم ومن حيث الطول والعرض والارتفاع ومظاهر كل ذلك٠ وهو ، فى الواقع ، أقرب الى الشكل منه الى المضمون ٠ أما الكيف فانه يتضمن نوعية الأمور والأشياء ٠٠ الأمور الفكرية والفنية والأشياء المادية ٠٠ سواء كان ذلك على مستوى الأشخاص أو مستوى المجتمعات ٠

والمجتمعات الحديثة تهتم بالكم فى بعض الأحيان ٠٠ كما تهتم بالكيف فى بعض الأحيان الأخرى ٠ ونلاحظ فى مجتمع كالمجتمع الأمريكى أن الضخامة فى البناء وفى العمارات ٠٠ وحتى فى مظهر بعض المأكولات والمشروبات وفى السيارات ٠٠ أمر مقبول ٠٠ ومعترف به ٠ وعكس ذلك ما نجده فى المجتمعات الأكثر قدما ٠٠ فى المجتمعات الأوربية مثلا ٠٠ حيث المضمون يعتبر أكثر أهمية من الشكل ٠٠ وحيث الكيف يسود الكم فى معظم الأحيان ٠ ومع ذلك فالملاحظ فى المجتمع الأمريكى ، كذلك ، أن عملية التحسين مستمرة ٠٠ أى أن الاتجاه نحو الكيف مستمر ٠٠ أى أن مكان الكيف فيه موجود وملاحظ ومهتم به ٠٠

واذا كانت المجتمعات الحديثة ، كالمجتمع الأمريكى مثلا ، تفاخر بالكم فى بعض الأحيان ٠٠ فالمجتمعات القديمة ٠٠ تحاول أن تعوض ذلك ٠٠ عن طريق التفاخر ٠٠ بكل ما هو قديم وبكل ما هو أصيل ٠٠ كما تفاخر بالتقاليد الراسخة ٠

ونحن فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر ، وهو مجتمع قديم قدم الدهر ومستمر استمرار الحياة ، نلاحظ التفاخر بالقديم الأصيل .. كما نلاحظ ، أيضا ، التفاخر بالتقاليد الراسخة . واذا كنا نواجه ، فى الوقت الحاضر ، محاولة تجديد مجتمعنا وتغييره الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم .. فاننا نلاحظ ، فى بعض الأحيان ، الاهتمام بالكم على حساب الاهتمام بالكيف . ولعل ذلك أن يرجع الى أننا نبدأ هذا التجديد أو هذا التغيير فى مرحلة ثقافية أقل تقدما من المرحلة الثقافية التى تعيش فيها المجتمعات الغربية أو بعض المجتمعات الشرقية .. أى لعل ذلك أن يرجع الى أننا نسابق الزمن للحاق بما وصلت اليه ، فى ضوء العلم ، المجتمعات المشار اليها .. أو لعل ذلك أن يرجع الى أننا لأول مرة فى تاريخ مجتمعنا ، منذ فترة طويلة من الاستعمار أو ما يشبه الاستعمار ، نمسك زمام أمورنا بأيدينا تحت قيادة مصرية صميمة .. ومن ثم نحاول ، عن طريق الكم ، أن نثبت وجودنا ونحقق ذاتيتنا .. بقصد الاعتراف بنا كبشر .. عاشوا فترة طويلة من حياتهم يبنون مع البانين الحضارات الانسانية ، ويسهمون اسهاما فعالا فى هذا البناء .. ثم اضطروا الى الانقطاع عن هذا البناء وعن هذا الاسهام اضطرارا . أو لعل ان اتجاهنا الحالى نحو الكم أن يرجع الى تصور البعض أن الكيف فى ضوء تراكم الكم لابد أن يشرق يوما ما .. أو لعل ذلك أن يرجع الى العناصر الثقافية التى لاتزال تملأ مناخنا الثقافى وتدعو الى المظهرية .. أو تدعو الى الشكل قبل الموضوع: « بصلة المحب خروف » و « لاقينى ولاتغدينى » و « فوت على عدوك معرش ولاتفوتشى عليه مكرش » و « كبر الجرن ولا شماتة الأعداء » و « بيت الفقير مليان أعزن » و « لبس البوصة تبقى عروسة » (٩) .

ومهما يكن من الأمر فاننا نرى ، فى ضوء ظروف مجتمعنا الحالى ، أن اللب خير من المظهر .. وأن الموضوع خير من الشكل .. وأن الكيف خير من الكم . مع الأخذ فى الاعتبار أنه لا يوجد لب دون مظهر أو موضوع دون شكل أو كيف دون كم .. (١٠)

٦ - التفاؤل والتشاؤم : مثال واحد

النـاس فى كل المجتمعات يتفاءلون ويتشاءمون • انهم يتفاءلون من بعض الأمور والأشياء والمواقف والأشخاص •• وهم ، كذلك ، يتشاءمون من بعض الأمور والأشياء والمواقف والأشخاص • ويتدخل بعض العناصر الثقافية المعينة فى تحديد هذه الأمور والأشياء والمواقف والأشخاص •• وهذه العناصر تختلف من مجتمع لآخر • وهذا الاختلاف يعود ، بالضرورة ، الى العوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى ، بدورها ، تختلف من مجتمع لآخر •

ويبدو ، فى ضوء ما سبق ، أن الناس لا يتفاءلون أو يتشاءمون فحسب •• ولكنهم يبدون وكأن من حقهم أن يفعلوا ذلك ، أو أنهم مضطرون الى أن يفعلوا ذلك • ومع ذلك فالملاحظ أنه أولى بهم أن يتفاءلوا ، فدوام الحال من المحال •• و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١٣ م الرعد : ١١) •• أى أن الناس ، فى ضوء العلم ، من واجبهم ، وليس فقط من حقهم ، أن يتفاءلوا •• وأن لا يتشاءموا • وهم فى ضوء العقيدة ، اذا كانوا مسلمين ، من واجبهم وليس فقط من حقهم ، أن يتفاءلوا كذلك •• وأن لا يتشاءموا ••

ونحن ، كشعب ، فى ضوء مواجهة معظم أمورنا ، نتفاءل ونتشاءم • والأمثلة على ذلك عديدة •• منها ما نجده فى الأدب وفى الفن •• وفى صناعة السينما •• ومنها ما نجده فى أجهزة الاعلام •• أو ما نجده فى عالم الكرة ••

ان عالم الكرة فى مجالى مسابقة الدورى العام ومسابقة الكأس •• عالم عجيب •• لكنه متوقع • ان هذا العالم ، ما فى ذلك من شك ، جزء من عالمنا •• أقصد عالم مجتمعنا فى ضوء ظروفه الحالية •• أقصد عالم مجتمعنا الجديد فى ضوء ظروف المرحلة الحالية من عمره المديد •• المجتمع الذى نبنيه فى ضوء قيم الاشتراكية ومبادئها ومثلها العليا ••

ان عالم الكرة يعكس ، ما فى ذلك من شك ، ظروف المجتمع الكبير .. ظروف المتناقضات التى تعيش فيه لا تزال .. ظروف الصراع الثقافى بين الجديد وبين القديم . ذلك لأن عالم الكرة ، اللاعبين والاداريين والجماهير .. وحتى المشرفين على أجهزة الاعلام بأنواعها ، كل هؤلاء .. هم أبناء المجتمع الكبير ، يعيشون حياتهم فيه .. يأخذون منه ويعطونه .. يأخذون قيمه ومبادئه ومثله العليا .. ويتمثلونها .. ثم يعكسون كل ذلك .. أو بعضه .. عندما يتصرفون .. أى عندما تعكس شخصياتهم الألوان العديدة من السلوك ازاء ما يواجهونه ، فى الملاعب أو فى خارجها ، من المواقف . مهما كانت هذه الألوان العديدة من السلوك مرضية أى ايجابية وبناءة .. ومهما كانت هذه الألوان العديدة من السلوك غير مرضية أى سلبية وهدامة ..

ونحن فى ضوء الظروف التى يواجهها مجتمعنا الجديد فى مسيس الحاجة الى الألوان العديدة من السلوك المرضية .. أى الايجابية البناءة .. ومع ذلك نجد فى عالم الكرة عكس ذلك .. نجد ألوانا من التفاؤل ، كما نجد ألوانا من التشاؤم ، بعضها .. أى بعض هذه الألوان بنوعيها مبنى على أساس غير علمى .. بل هو مبنى على عناصر ثقافية بالية .. من التعاويذ والسحر والعادات السلبية المستقبحة .. التى لا يقرها علم .. ولا يقرها دين .

ولا جدال فى أن بعض هذه الألوان بنوعيها .. يقف متصارعا معه بعض الألوان الأخرى من التفاؤل الايجابى .. البناء .. أقصد التفاؤل المبنى على أساس من قيم مجتمعنا الجديد .. القيم الاشتراكية .. وعلى أساس من القيم الروحية الرائعة التى تملأ مناخ مجتمعنا الثقافى ، نجد ذلك واضحا فى اهتمام الدولة بالرياضة بكل أنماطها ، ومنها لعبة الكرة ، كوسائل وليست كأهداف .. كوسائل تربوية أولا وقبل كل شىء . ونجد ذلك واضحا ، أيضا ، فى شخص بعض اللاعبين الواعين وبعض الاداريين الواعين وبعض الفئات من الجماهير الواعية .. وبعض الواعين من المشرفين على أجهزة الاعلام بأنواعها ..

ان اهتمام الدولة بالرياضة بكل أنماطها يعنى الاهتمام الايجابى بجيل بأسره من شباب المجتمع الجديد •• ولا يمكن أن يعنى ، فى ضوء قيم هذا المجتمع الجديد ، الاهتمام بأشخاص معينين • ان القاعدة الشعبية العريضة التى يمثلها شباب بلدنا الطيب هى هدف كل الأهداف • ان الاهتمام الايجابى لا يمكن أن يعنى الا غرس القيم الاشتراكية الجديدة فى نفوس جيل بأسره من شباب المجتمع الجديد •• حتى تتمثلها شخصياتهم •• وتصير جزءا منها •• ويتصرفون فى ضوئها •• أى يسلكون الألوان العديدة من السلوك المرضية التى يتوقعها منهم المجتمع •• كل فى مجال أوجه نشاطه الاجتماعية العديدة •• أى حتى يستطيعوا أن يكونوا المواطنين الصالحين •• المواطنين الاشتراكيين •• ومن ثم يستطيعوا أن يؤدوا أدوارهم الاجتماعية التى يتوقعها منهم هذا المجتمع ••

وما القيم الاشتراكية الجديدة الا قيم مجتمعنا الجديدة •• وهى قيم انسانية •• تهدف الى تغيير الانسان الى الأفضل •• والى الأقوى •• والى الأعظم • انها قيم ايجابية أساسها العلم •• والعلم هو سلاح النصر الثورى• وأساسها ، أيضا ، القيم الروحية الرائعة التى يحيا مجتمعنا الجديد فى ظلها• ان القيم الايجابية خير من القيم السلبية • ان القيم الايجابية تعنى مواجهة الحياة فى تفاؤل أكيد ، كما تعنى الاستمرار فى الانتصار على الحياة والاستمرار فى صنعها ••

أى أن القيم الاشتراكية الجديدة تنفر من الرياضة بكل أنماطها ، ومنها لعبة الكرة ، كأهداف •• وانما هى وسائل •• أقصد عمليات تربوية تهدف الى تزويد الأغلبية الساحقة من أعضاء الشعب ، لا مجرد بعض الأعضاء ، باللياقة البدنية والأخلاق القويمة •• والى اعدادهم مواطنين قادرين على التكيف الاجتماعى ازاء المواقف الاجتماعية التى يواجهونها حيثما يكونون •• قادرين

على التفاعل الايجابى فى سبيل المصلحة العامة •• والخدمة العامة ، مسلحين بقيم النظام والطاعة والكفاح •• والولاء ••

والولاء غير التعصب ، كما يعلم القارىء ، ان مجتمعنا الجديد ينفر من التعصب للعبة معينة أو للاعبين معينين •• فالتعصب يعنى الحماس الزائد على الحد المبنى على أساس خاطىء والشعور بالخوف •• وكل هذه عناصر سلبية لا تجدى سوى التوتر والحماقة فضلا عن التعاسة فى محيط من يمارسونها • ان مجتمعنا الجديد اذ لا يدعو الى التعصب بآثاره البغيضة يدعو ، بالضرورة، الى تدعيم الولاء • فالولاء يعنى تبادل الحب والاهتمام والتقويم الى الأصلح ، كما يعنى ازالة أسباب التوتر والحماقة والتعاسة •

ويلاحظ أن القيم الاشتراكية الجديدة اذ تؤكد سيادة الأسلوب العلمى والاتجاه العلمى فى مواجهة كل الأمور والأشياء •• فهى تنفر من الأساليب غير العلمية والاتجاهات غير العلمية التى تواجه كل الأمور والأشياء • انها•• أى القيم الاشتراكية الجديدة تنفر قطعا من ممارسة التعاويذ وأنماط السحر واطلاق البخور وذبح الماعز •• وزيارة الأولياء والقديسين بقصد الشكوى اليهم أو الطلب منهم •• أو تشجيع هذه الممارسة سواء حدث ذلك داخل الملاعب أو فى خارجها •• أى سواء قام بها اللاعبون أو الاداريون أو بعض أشخاص من الجماهير ، أو شجع على القيام بها هؤلاء •• أو غيرهم ، بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، من المشرفين على أجهزة الاعلام بأنواعها ، داخل الملاعب أو فى خارجها ••

ان ممارسة هذه العادات السلبية المستقبحة تعنى وجود ظاهرة يسميها علماء الاجتماع « ظاهرة التخلف الثقافى » • ان القضاء على هذه الظاهرة فى مجتمعنا أمر ضرورى •• ان الروائع الحلاقة التى قام بها أعضاء مجتمعنا الجديد والانتصارات العظيمة التى حققها شعبنا فى ميادين السياسة والصناعة والاقتصاد تنفر ، كلها ، من وجود ظاهرة التخلف الثقافى فى هذا المجتمع ••

ان التفاؤل سمة من سمات شخصية المواطن الاشتراكى .. ولكنه تفاؤل مبنى على العلم .. العلم الذى ييسر فهم الموقف الاجتماعى أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها هذا المواطن .. ان قدرة المواطن الاشتراكى على هذا الفهم ، هى الحرية ذاتها .. أى أن مجرد فهمى للموقف الذى أواجهه يعنى حريتى فى التصرف ازاءه .. وأن مجرد عدم فهمى للموقف الذى أواجهه يعنى قيدى بالأغلال .. أقصد قيدى بأغلال الموقف .. أى أن الحرية تعنى التسلط على الظواهر الطبيعية والظواهر الانسانية . والمواقف الاجتماعية، ومنها ممارسة فريق كرة القدم اللعب ضد فريق آخر ومحاولة الانتصار عليه ، ان هى الا مظهرا من مظاهر الظواهر الطبيعية والظواهر الانسانية أو احداها ، والتسلط على الموقف الاجتماعى يعنى فى هذا المثال مستوى كبير من التربية ومن اللياقة البدنية والأخلاق القويمة والتفاعل الايجابى فى سبيل المصلحة العامة .. والخدمة العامة.. والكفاح .. والولاء .. الخ . وهو .. أى هذا التسلط .. يعنى فهم هذا الموقف .. أى يعنى تحقيق الهدف.. أى الانتصار على الفريق الآخر .. ولا يمكن أن يعنى أبدا اللجوء الى السحر أو الى الشعوذة .. سواء حدث هذا اللجوء من اللاعبين أو من الاداريين أو من بعض أعضاء الجماهير .. أو شجع عليه بالتلميح أو بالتصريح بعض المشرفين على أجهزة الاعلام بأنواعها ..

ولا يجادل أحد فى أن اللاعبين ، ومنهم لاعبو الكرة ، والاداريين والجماهير الرياضية العربية والمشرفين على أجهزة الاعلام بأنواعها ، مواطنون صالحون .. أقصد مواطنين اشتراكيين .. أو يجب أن يكونوا مواطنين صالحين .. مواطنين اشتراكيين .. انهم ، جميعا ، صفوة من أبناء وبنات مجتمعنا الجديد .. انهم ، جميعا ، مثل عليا .. ونماذج قيادية وطنية .. أو يجب أن يكونوا كذلك ..

ولا يمكن أن نقر أن يضع أحد اللاعبين حول رقبته سلسلة بقصد التفاؤل من وجودها •• أو أنه اذ يدخل الملعب يدخل بقدمه اليمنى أو يدخل بقدمه اليسرى على سبيل التفاؤل • ان اطلاق البخور ، مثلا ، فى الملاعب أو حول خشبة « الجول » لا يمكن أن يساعد على الانتصار أو على الهزيمة • ان القيم الاشتراكية الجديدة فى مجتمعنا تنفر من ذلك•• ان الأسلوب العلمى والاتجاه العلمى اللذين يجب أن يسودا كل تصرفاتنا لا يقران ذلك •• ان القيم الروحية التى نعيش فى ظلها تستنكر ذلك • ان مشاهدة أحد أعضاء الجمهور فى الملعب وهو يلبس ملبسا قديما أو ممزقا بقصد التفاؤل به •• أو بقصد مساعدة فريقه المفضل ، وهو فى هذه الهيئة المزرية ، على الانتصار ، أمر لا يقره عقل أو دين • ويكون ، ما فى ذلك من شك ، موضعا للسخرية عند أى مواطن تتمثل شخصيته قيم مجتمعنا الاشتراكية الجديدة • ان الخصوم من اللاعبين الأجانب لا يفعلون شيئا من ذلك • ان الخصوم من اللاعبين الأجانب يلعبون اذ يلعبون فى مناخ ثقافى غير مناخهم الثقافى وفى مناخ طبيعى غير مناخهم الطبيعى وهم اذ يفعلون ذلك يعتمدون على أسلحة أخرى ايجابية •• بناءة •• أقصد يعتمدون على مزيد من اللياقة البدنية ومزيد من اللياقة الفنية •• وعلى الأخلاق القويمة •• وعلى القدرة على التفاعل الايجابى فى سبيل انتصاهم • ان ذبح الماعز ، مثلا ، لا يمكن أن يكون سلاحا لانتصار أحد الفرق الأجنبية ، وهو يلعب ضد أحد فرقنا الرياضية •• ان هذه العملية •• عملية ذبح الماعز •• لا يمكن أن تكون محل تفكير لاعبى الفريق الأجنبى أو مديريه أو حتى تفكير المشرفين على أجهزة الاعلام الذين يصاحبونه عادة • ان الفريق الأجنبى لا يصحب معه « شيخ حسن » ولكنه يصحب معه أطباء ومدلكين واداريين يعملون اذ يعملون فى ضوء العلم •• فى ضوء الخبرة المنتظمة •• كما يصحبون معهم روحا عالية •• هى روح الفريق •• روح الكفاح •• روح النظام والطاعة والولاء ••

ان قيم مجتمعنا الاشتراكية الجديدة •• هى قيم الانسان الأفضل••الانسان الأقوى •• الانسان الأعظم •• اننا ننتظر من المسئولين على التربية الرياضية فى بلادنا أن يغرسوها فى نفوس المواطنين جميعا ، ومنهم اللاعبون والاداريون وأعضاء الجماهير •• فضلا عن المشرفين على أجهزة الاعلام بأنواعها • ان دور المثقفين الاشتراكيين ، فى هـذا المجال ، دور فعال •• دور ضرورى • ان القيم الاشتراكية الجديدة فى مجتمعنا فى مسيس الحاجة الى التأييد فى صراعها مع القيم الاجتماعية البالية •• الرواسب البالية •• حتى تصرعها •• أو حتى يتطهر مجتمعنا الجديد من شوائب ظاهرة التخلف الثقافى التى تعوق السير قدما فى بنائه لا تزال • ولعل الأمل الكبير •• أن يؤدى كل مربى وكل مثقف دوره الايجابى فى هذا السبيل •• (١١)

٧ - النظرة نحو المراة .. ..

ان المرأة فى بلادنا كانت ولا تزال العمود الفقرى للأسرة . وكيان الأسرة الصالح يتوقف ، الى حد كبير ، على صلاحية المرأة كزوجة وكأم . ومع ذلك فقد لا يرى البعض منا هذا الرأى . يرى هؤلاء فى المرأة عواملها التكوينية فقط .. أى أنهم يرون تباين هذه العوامل عنها فى الرجـل .. ويرون ، لذلك ، أن الرجل هو الأقوى والأعظم وأن المرأة هى الأضعف والأحقر .

وما العوامل التكوينية ، فى رأى الكاتب ، سوى جزء من أجزاء شخصية المرأة الدينامية .. فهناك العوامل الاجتماعية الثقافية والعوامل النفسية والعقلية التى تكمل الصورة الحقيقية لهذه الشخصية ..

وكما يرى هؤلاء عوامل المرأة التكوينية فحسب .. يرون كذلك دورا اجتماعيا واحـدا من الأدوار الاجتماعية التى تستطيع المرأة أن تقوم بها فى المجتمع .. أى مجتمع ، وأقصد بذلك دورها البيولوجى الاجتماعى فحسب . ولا يرى هؤلاء الأدوار الاجتماعية الأخرى التى قد تؤديها المرأة فى محيط الأسرة .. كأم وكزوجة وكأخت وكابنة ، ولا يرون دورها كمدبرة لشئون البيت .. ودورها كصديقة لأبنائها وبناتها .. ودورها كزميلة لزوجهـا . وينسون فى غمار تعصبهم الأجوف أدوارها الاجتمـاعية الهامة ، فى خارج محيط الأسرة ، وهى الأدوار العديدة التى تسـتطيع أن تشترك فى أدائها ، جنبا الى جنب ، مع الرجل ، فى كل المجالات .. فى سبيل بناء المجتمع ..

ان المرأة لا يمكن أن تكون امرأة فحسب .. أقصد لا يمكن أن يكون مفهوم المـرأة بمعناه الضـيق فحسب .. أى بمعناه البيولوجى الاجتمـاعى فحسب . ولكن قد تكون المرأة امرأة ذات شخصية اجتماعية .. أقصـد قد تكون لها أدوار اجتمـاعية عديدة دينامية متداخلة تؤديها فى المجتمـع الذى

نعيش فيه . والرجـل كذلك قد يكون له أدوار اجتمـاعية عديدة متنوعة . ولاشك أن هناك أدوارا اجتماعية لا يقدر على أدائها الرجال . فعلى الرغم من أن الرجل قد يؤدى الوظيفة الاجتماعية للأم فى تنشئة ابنه ، فهو لن يستطيع أن يلد ولدا .

والملاحظ أن الشخصية الاجتماعية للمرأة تزداد نموا كلما نمت جسميا ونضجت عقليا وعاطفيا ، وكلما نمت خبراتها الاجتماعية الثقافية .. أى كلما زادت علاقاتها ، واتسعت مجالاتها .. أى كلما تعـددت أدوارها الاجتمـاعية التى تؤديها للمجتمع الذى تعيش فيه ..

٣

والملاحظ ، أيضا ، أنه كلما ازداد تعدد الأدوار الاجتماعية التى تؤديها المرأة .. زادت مكانتها الاجتماعية ارتفاعا . وان عكس ذلك صحيح .. أى أن هذه المكانة الاجتماعية تنخفض ويقل خطرها ، وتضعف قيمتها الاجتماعية كلما قلت أدوار المرأة الاجتماعية التى تؤديها للمجتمع الذى تعيش فيه.

وقد تذبذبت مكانة المرأة الاجتماعية ، ارتفاعا وانخفاضا ، على مر الأيام . حدث ذلك فى مجتمعنا . كما حدث ذلك فى المجتمعات الأخرى . ونرى ذلك واضحا عندما كان الانتساب للأم هو النظام السائد .. فى ظل النظام الأموى، حيث كانت أدوار المرأة الاجتماعية عديدة ، وكان التقـدير الذى يضمره الابن لأمه ، فى مجتمعنا القديم ، مثلا ، من عظم الشأن بحيث نجد كثيرا فى مقابر الدولة القديمة صورة أم المتوفى ، فى العادة ، الى جانب زوجته ، بينما تهمل صورة الوالد فى أغلب الأحيان ..

ولا يغرب عن بال الكثير منا الظاهرة المزرية التى كانت متفشية فى مجتمعنا الى عهد غير بعيد .. أقصد ظاهرة « الحريم » . وهى ظاهرة كانت ترمز الى

المدى الذى وصلت اليه نوعية انحطاط مكانة المرأة فى ذلك العهد •• وهى نوعية تأباها النفس الانسانية ، وتبين فى وضوح استغلال الانسان لأخيه الانسان ، أو استغلال الرجل للمرأة • • أى استغلال نصف المجتمع لنصفه الآخر •

وقد وجدت ظاهرة « الحريم » فى ضوء ظروف مجتمعنا الاجتماعية والاقتصادية على الرغم من تعاليم الاسلام •• دين المجتمع السائد فى ذلك الحين • والدين الاسلامى ، كما هو معروف ، هو دين الثورة على وأد البنات •• ومن تعاليمه مشروعية الزواج •• فالزواج فرض عين على كل مسلم قادر •• ومن تعاليمه ، أيضا ، أن اعتبر النساء شقائق الرجال ، وأن جعل للزوجة على زوجها حقوقا •• فمن حق المرأة أن تختار زوجها ، وأنها بزواجها لا تفقد اسمها ، ولا شخصيتها الذاتية ، ولا أهليتها فى التعاقد ، ولا حقها فى الملكية ، ولا يضيع من استقلالها المالى شىء • ومن حقوق المرأة على زوجها العشرة بالمعروف والعدل وحقوقها الجنسية والانفاق •• وأخيرا وليس آخرا من حق الزوجة على زوجها أن يقدم لها مهرا •

ومن تعاليم الدين الاسلامى ، كذلك ، أن جعل للزوج حقوقا على زوجته•• ومن حقوق الزوج على زوجته الطاعة والقوامة على الأسرة •• وتكون هذه القوامة ، بالضرورة ، محدودة • ومن حقوق الزوج على زوجته تدبير البيت وصيانته ، والطلاق عند الضرورة ، وتعدد الزوجات بشروط •• وأخيرا وليس آخرا من حق الزوج على الزوجة التهذيب عند العصيان ••

وعلى الرغم من الاختلاف الكبير على تفسير هذه التعاليم الاسلامية •• فهى تعاليم تسندها قيم اجتماعية تأبى ، بالضرورة ، وجود ظاهرة مثل ظاهرة « الحريم » • ولكن هذه القيم الاجتماعية نظرية •• والتعاليم التى تسندها القيم الاجتماعية النظرية شىء •• وممارسة هذه التعاليم ، فى ضوء الظروف

الاجتماعية والاقتصادية ، شيء آخر • ومع ذلك فان مكانة المرأة في مجتمعنا قد تطورت منذ ذلك الزمان الأغبر • أصبحت مكانة المرأة الاجتماعية قبل عهد قاسم أمين غيرها بعد ذلك • وأصبحت مكانتها الاجتماعية قبل ثورة عام ١٩١٩ غيرها بعد ذلك • وقبل ثورة عام ١٩٥٢ نجد أن مكانة المرأة الاجتماعية غيرها بعد ذلك • ذلك لأن ظروف مجتمعنا قد تطورت في هذه المراحل تطورا زاد من مكانة المرأة الاجتماعية ارتفاعا • فمن مجتمع اقطاعي في مطلع القرن العشرين تحول مجتمعنا الى مجتمع اقطاعي شبه رأسمالي بعد ثورة عام ١٩١٩ •• ومن مجتمع اقطاعي شبه رأسمالي قبل ثورة عام ١٩٥٢ •• يتحول مجتمعنا في الوقت الحاضر ، الى مجتمع اشتراكي ، وعندما تصفى علاقات الانتاج الاقطاعي شبه الرأسمالي ، تصفية نهائية ، نتوقع وجود جيل من الرجال لا تسنح له الفرص أبدا لشراء استسلام المرأة ، سواء بالمال أو بأية وسيلة أخرى من وسائل السيطرة الاجتماعية • كما نتوقع ، أيضا ، وجود جيل من النساء لا يضطررن أبدا للاستسلام لأي رجل لأي سبب سوى الحب الانساني الحقيقي • هذا ما نتوقعه ونحن متفائلون ، على الرغم مما نراه الآن من معاملة المرأة الواقعية •• فالرجل المصري يعاملها معاملة تبدو سيئة في ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة •• وفي الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلها عشقا وصبابة وهياما •• يكتب في ذلك الأشعار والأزجال والمواويل •• ويحكي القصص والروايات •• ويظهر ذلك فعلا وعملا • ولعل المعاملة السيئة للمرأة المصرية وتدليلها وعشقها أن تكون أمورا غير متناقضة •• فالمرأة المصرية •• في نظر الرجل المصري •• حتى الآن •• لا تزال متاعا •• ولعلها أن تكون متاعه الوحيد •• المرموق • وهي اذا كانت راضية بهذا الوضع الغريب •• فهي تفعل ذلك ، كما سبق أن أوضحنا ، في ضوء العلاقات الاجتماعية •• علاقات الانتاج الاقطاعي الرأسمالي التي لما تصفى •• وفي ضوء بعض العناصر الثقافية غير المادية الباقية لا تزال •• ومهما

يكن من الأمر .. فان المرأة المصرية ، على الرغم من كلّ هذه الأمور ، فضلا عن بعض العوامل الأخرى ، قد عصمت الرجل المصرى من الشذوذ الجنسى الذى نرى ألوانه العديدة موجودة فى العديد من المجتمعات .. وبخاصة فى المجتمعات الغربية حيث الحرية الجنسية فى هذه المجتمعات تسود .. وحيث نجد مكانة المـرأة الاجتماعية فيها مكانة تغبطها عليها الكثـيرات من النســـاء المصريات (١٢) .

٨ - من منابع اصول الحكمة فى تراثنا الثقافى المعاصر .. ..

ينطق مفهوم « الحكمة » بفتح الحاء والكاف أو بكسر الحاء وسكون الكاف . ويعنى المفهوم الثانى ، لغة ، اتقان الأمور .. أى أن الحكيم هو كل من يتقن الأمور . اما معنى مفهوم الحكمة بفتح الحاء والكاف فهو يعنى ، لغة ، ما يذلل الدابة لراكبها حتى يمنعها الجماح . والملاحظ ان الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف تعنى ، أيضا ، كل ما يمنع صاحبها من أخلاق الأرذال . فرأس الحكمة ، كما يعلم القارئ ، مخافة الله ، ومن يخاف الله ينأى ، بالضرورة ، عن أخلاق الأرذال ، ويتمسك ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، بالأخلاق العالية .. أخلاق الصالحين الطيبين ..

ومفهوم الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف قد ورد فى القرآن الكريم عشرين مرة . وقد يعنى ما فى القرآن من أحكام ، أو يعنى النبوة ، أو يعنى العلم النافع المؤدى الى العمل ، وقد يعنى السنة أو القرآن ، وقد يعنى العلم والديانة والاصابة فى القول .. أو يعنى الاصابة فى الأمور . وكما ورد مفهوم الحكمة فى القرآن الكريم .. ورد ، كذلك ، مفهوم « الحكيم » . وقد ورد هذا المفهوم ٩٧ مرة.وهو يطلق ، فى الغالب ، على الله جل وعلا .. فهو ، جل شأنه ، الحكيم الخبير .. أى الذى لايخرج شئ عن حكمته .. « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب » (٢ م البقرة : ٢٦٩) « وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم » (٤٣ ك الزخرف : ٨٤) .. (١٣)

ومفهوم الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف قد ورد فى الكتاب المقدس ٧١ مرة ، وقد يعنى فهم الانسان طريقه ، أو يعنى أصل القوة ، أو يعنى معرفة الرب . لأن الحكمة تقوم بمخافة الله ، وذات فضل فائق ، وتتخلق بالوداعة ، وتلاحظ ماهو خير، وتؤدى الى الخلاص، وتزيد العلم . وهى غبطة لمن يجدها . وهى

خير من اللالى ... ومن الذهب والفضة .. «طوبى للانسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفهم ، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص ، هى أثمن من اللآلىء وكل جواهرك لاتساويها ، فى يمينها طول أيام وفى يسارها الغنى والمجد ، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام . هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط ، الرب بالحكمة أسس الأرض .. أثبت السموات بالفهم ، بعلمه ، انشقت اللجج وتقطر السـحاب ندى » (أم : ١٢ - ٢٠) .. (١٤)

وكما يطلق مفهوم الحكيم على الله الكريم المتعال ، بالمعنى السابق ، يطلق ، أيضا ، على بعض الأشخاص لأن الحكمة منسوبة الى الأشخاص ، فى الواقع ، هى الخبرة .. وهى المعرفة كذلك . والمعرفة مفهوم شامل .. ومصادرها متعددة . فالدين مصدر من مصادرها والفلسفة أيضا .. والفنون بأنواعها تعتبر مصدرا من مصادر المعرفة ، والعلم كذلك . والملاحظ أن هذه المصادر وغيرها ، كلها ، خبرات .. أى مصادر من مصادر الحكمة ..

والملاحظ أن العلم هو نظرة نحو الحياة ، وهو، أيضا ، حصيلة الخبـرات الانسانية المنتظمة فى ضوء هذه النظرة . وهو ، كنظرة نحو الحياة ، يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية . وهو اذ يفعل ذلك يكون ، دائما ، مهتديا بالشعار القـائل « لا شىء يأتى من لا شىء » . والعلم كنظرة نحو الحياة يعنى فى الواقع أن يكون منهجا لفهم هذه الحياة . وهـو كمنهج يسعى دائما الى التعرف على القوانين التى تحكم الظواهر الطبيعية أو ظواهر المجتمع ، أى يسعى الى الاجابة على السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ .. أى التعرف على العوامل التى تكون من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها . مع ملاحظة أن العلم ، كمنهج ، لايبحث أبدا ، و لايهمه أن يبحث أبدا ، عن الاجابة على السؤال لمـاذا ؟ على وجه الاطـلاق . بل هو ، فى بساطة ، يدرس الظواهر المادية أو الانسانية دراسة واقعية .. أى يقوم

بدراسة العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية ، فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، وليس فى ضوء بعض المبادىء المنطقية والعمليات العقلية فحسب . ويعنى المنهج العلمى ، فى الواقع ، استخدام المنهج الاستقرائى .. أى الانتقال من الجزئيات الى الكليات ..

ومفهوم العلم بالمعنى السابق هو أحد مصادر المعرفة .. أو قل أحد مصادر الحكمة اذا قصد به الخبرة أو الخبرات الانسانية التى تيسر اتقان الأمور فى ضوء فهمها فهما موضوعيا . ومع ذلك نجد من يقول ان الحكمة علم .. أى أنه يوجد ما يسمى بـ « علم الحكمة » مع ملاحظة ان الفنون قد تستند الى العلم ، وان الفلسفة ، وبخاصة الفلسفة المادية ، قد تستند الى العلم كذلك . ولكن العلم ، فى ضوء منهجه ، لا يستند الى منهج فن من الفنون أو الى منهج فلسفة من الفلسفات . وقد يدرس العلم الظواهر الدينية أو ما يتصل بها . ولكن الدين ، فى ضوء طبيعته ، لا يحاول دراسة الظواهر العلمية أو ما يتصل بها .

ويرى البعض أن علم الحكمة هو « كل ما يغسل النفوس من وسخ الطبيعة الظلمانية كما يغسل الصابون الثياب . لأن النفس اذا عرفت الحكمة حنت واشتاقت الى عالم الأرواح ومالت عن الشهوات الجسمانية المميتة للنفس الحية ، ونجحت فى أسر الشهوات وحبالتها التى قد تعلق أهل الجهل بها » (١٥) .

وعلم الحكمة ، بالمعنى السابق ، فى تراثنا الثقافى له مكان مرموق .. والأصل الذى لابد منه لطالب هذا العلم هو العلم بالاسم الأعظم الجامع لما فى الموجودات وأسباب الكائنات . لأن الأسرار الرفيعة المكونة لا سبيل لنيلها الا به ، وانه .. أى العلم بالاسم الأعظم .. هو الأصل فى ادراك الفتوحات الالهية والعلوم اللدنية .

والحكيم فى ضوء مفهوم العالم بالاسم الأعظم الجامع لما فى الموجودات وأسباب الكائنات ، يرى أن الاسم الأعظم قد خفى فى الأسماء الحسنى التى أمر الله عباده أن يدعوا بها . وقد يرى بعض الحكماء ان كل اسم من الأسماء الحسنى اسم عظيم فى حق من وافقه وتقرب اليه أو دعا به ، وجعلوا لذلك سبع وسائل هى :

- علم الاعداد .
- علم الأوفاق .
- علم الحروف .
- علم الطبائع الأربعة .
- علم الكواكب والأفلاك والبروج والمنازل .
- علم الاختيارات النجومية وسعدها ونحسها وشرفها واتصالاتها .
- علم الأسماء والرقى والدعوات .

وميادين هـذه العلوم تتضمن كل ما يتعلق بالتصريف بسر الخالق فى المخلوقات . وقد أطلق الحكماء ، بالمعنى السابق ، على هـذه العلوم « علم السيما » ، وهو لفظ معرب أصله « شيم » ومعناه الله تعالى . وقد ألف فى العلوم السبعة المشار اليها مؤلفون كثيرون (١٦) ، ونشروا ما ألفوه من كتب وكتيبات لاتزال تجد الرواج ، فى مجتمعنا المعاصر ، حتى الآن . ومن هذه الكتب نجد كتاب « منبع أصول الحكمة » للامام ابى العباس أحمد بن علي البونى ، ويتضمن أربع رسائل من العلوم الحرفية والوفقية والدعوات والأقسام وهى : الأصول والضوابط ، وبغية المشتاق فى معرفة وضع الأوفاق ، وشرح البرهتيه ، المعروف (بشرح العهد القديم) ، وشرح الجلجلوتية الكبرى . وللامام البونى ، أيضا ، كتاب « شمس المعارف ولطائف

العوارف » ، ويتضمن أربعة أجزاء تحتوى على أربعين فصلا وأربع رسائل وهى : ميزان العدل فى مقاصد أحكام الرمل ، وفواتح الرغائب فى خصوصيات الكواكب ، وزهر المروج فى دلائل البروج ، ولطائف الاثارة فى خصائص الكواكب السيارة . ومن الكتيبات التى ألفت حول علوم « علم السيما » نجد كتيبا يحمل عنوان « المندل والخاتم السليمانى والعلم الروحانى للامام الغزالى » ، وهو من تأليف عبد الفتاح السيد الطوخى . ويتضمن ، كما يقول المؤلف ، جملة أبواب وأقسام وطلاسم وفوائد وأوفاق فى علم الروحانى . وللطوخى كتيبات أخرى عديدة منها : « النور الربانى فى العلم الروحانى » الذى حوى كما يقول المؤلف « كثيرا من الفوائد العظيمة المجربة التى يحتاج اليها كل فرد فى جميع حوائجه » . ومنها كتيبات « دليل الحيران فى طالع الانسان » ، و « الزايرجة الهندسية فى كشف الأسرار الخفية » ، و « الأسرار فى علم الأخيار » ، و « اغاثة المظلوم فى كشف أسرار العلوم » ، و « سحر الكهان فى حضور الجان » ، و « البيان فى علمى الكوتشينه والفنجان » ، و « هداية العباد فى أسرار الحروف والأعداد » ، و « الكباريت فى اخراج العفاريت المشتمل على (القدرة الالهية فى المعالجة الروحانية ، والحكمة الربانية فى المعالجة الجنسية ، وكشف اللثام عن جعفر الامام) ، و « القواعد الفلكية فى عمل النتائج السنوية » ، و « الدرة البهية فى العلوم الرملية » ، و « أحكام الحكيم فى علم التنجيم » ، و « النجاح فى علوم النفس والتنويم والأرواح » .. الخ (١٧) .

وفى ضوء كل ما سبق .. يلاحظ القارىء المعانى العديدة لمفهوم العلم . انه .. أى مفهوم العلم على الرغم من بقاء لفظه على ما هو عليه فان معانيه متباينة . ومع ذلك فنحن نرى أن معنى العلم ، كنظرة نحو الحياة أو كمنهج لفهم هذه الحياة ، يسعى دائما الى التعرف على القوانين التى تحكم الظواهر الطبيعية أو ظواهر المجتمع – هو المعنى الذى يتفق وعصر الثلث الأخير من القرن العشرين . ان « علم السيما » بفروعه السبعة أو بوسائله السبع لايمكن

أن يرقى الى علمنا المعاصر .. العلم الذى يدرس العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، وليس فى ضوء بعض المبادىء المنطقية والعمليات العقلية فحسب أو فى ضوء بعض المبادىء غير المنطقية والعمليات غير العقلية.. ان علمنا المعاصر يدرس الواقع الحى فى الطبيعة وفى المجتمع .. وهو اذ يفعل ذلك .. يحاول ناجحا أن يتسلط على الطبيعة وأن يخطط للمجتمع فى سبيل التغير الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم . ان «علم السيما» ، فى ضوء منهجه ، لايمكن أن يكون علما عصريا . ولكنه.. أى « علم السيما » لايزال يملأ مناخنا الثقافى حتى الآن ، ولايزال يجد مريدين فى كل أنحاء مجتمعنا المعاصر وبخاصة فى محيط سكان الريف وفى محيط الكثيرين من سكان الحضر . واذا لاحظنا أن لـ « الكوتشينه » علما وأن لـ « الفنجان » علما فماذا نقول عن علوم الطب والكيمياء والطبيعة والبيولوجيا والجيولوجيا وعلوم الانسان العديدة التى تستخدم فى التسلط على الذرة وفى التكنولوجيا العسكرية والصناعية والتى تستخدم فى التسلط على الظاهرة الفلكية وفى الطيران الخارجى ، والتى تستخدم ، فضلا عن ذلك ، فى الأساليب التى توفر تفكير الانسان والتى توفر بذل قدراته .. وتقوم هى بهذا التفكير وبذل هذه القدرات ؟

واذا حاولنا أن نتعرف على أهداف « علم السيما » بوسائله السبع لوجدنا أن من يمارس هذه الوسائل يستطيع بها « أن يتصرف على جميع ما فى الكائنات من خير وشر وجلب وطرد ، فهى (الأهداف) فى أعمال الخير كالترياق وفى أعمال الشر كالسم الناقع » ، (١٨) والملاحظ أن مفهوم الخير مفهوم غامض .. أى أن معانيه عديدة ، ويتوقف كل معنى على اختيار الممارس . وما ينطبق على مفهوم الخير يسرى على مفهوم الشر كذلك ..

واذا حاولنا أن نعدد الميادين التى يهتم بها هذا العلم لوجدناها تضم كل ما يخطر على بنى البشر من أمور . أمور تتصل بشئون حياتهم وحياة من

حولهم أو تتصل بأحلامهم وأحلام من حولهم • وقد تتضمن هــذه الأمور ما يتعلق بالصحة وبالمرض وبالمحبة وبالعداوة وبقضاء المهمات وبجلب النفـع وبدفع الضر ، وما يتعلق بالزواج أو الطلاق وبرفع الظلم وباستخدام الملائكة وباحضار الأرواح العلوية والسفلية وتسخيرها •

والملاحظ أن ما يخطر عـلى بنى البشر من أمور يعكس العناصر الثقافيـة للمناخ الثقافى الذى يستظلون بظله •• المناخ الذى يكون ، بالضرورة ، وليد ظروفهم المعاشية أجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية • والأمثلة على ما يطلبه هؤلاء من أمور يريدونها أن تتحقق عديدة جدا ، فهى تتضمن كل علاقات هؤلاء الناس بعضهم مع بعض ، أو معظمها ، منذ أن يدخلوا فى هذه العلاقات حتى تنقطع ، لسبب أو لآخر ، هذه العلاقات • وعن طريق ممارسة وسائل « علم السيما » ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، يعتقد الكثيرون من أعضـــاء مجتمعنا المعاصر انهم يستطيعون ، مثـلا ، تحقيق الغنى والصلاح والفـلاح ونوال القبول والعز والرفعة والبركة ، وكشف الخبايا والـكنوز ، وجلب التوفيق والصـواب ، وجلب الهيبـة والوقار ، وجلب الفتـوح ، وتحسين الأخلاق ، ونوال المناصب والترقى ، وفهم العلوم وزوال البلادة ، وبســط الرزق واحياء القلب وزوال النسيان ، وازالة الكسل والاعياء ، وحل المربوط والمسحور ، وجلب المحبة القوية أو التهييج والهيمان ، واذهاب الصداع ومنع ألم البرد ، وقطع النزيف والرعاف ، وازالة أوجاع الرأس والرمد ، وازالة وجع الركب والحمى ووجع البطن ، وازالة وجع الجنب ، والنجاح فى الحمل ، وتسهيل الولادة ، وجرى اللبن ، ومنع الخوف والوســواس ، والأمن من الغرق ومن المخاوف وخلاص المسجون •• ومنع الوحوش والطير من الزرع ، ومنع السوس عن الحبوب ، وجلب الحمام الى البرج ، وجلب الغائب ورد الآبق ، وجلب الزبون ، وجلب الخطاب ، والصـلح بين المرأة وزوجها ، أو زواج المطلقة للزوج الغنى ، أو صلح المطلقة ، أو التفريق بين المرأة وزوجها •• وحتى تمشية الجماد كنقل الصخور أو نسف التلال •

وهم يستطيعون ، أيضا ، عن طريق ممارسة وسائل « علم السيما » تحقيق عقد لسان المؤذى ، وتسليط الصداع والحمى على الظالم ، ورجم دار الظالم أو اخراجه من داره ، أو ترميد عينه ، أو اهلاكه أو عقمه أو اخضاعه ، أو تسليط الخابط عليه ، أو اصابة الظالمة بالنزيف أو عقمها ، أو قهر الجبابرة والاعداء وقمع الاضداد ، أو ارسال الهواتف للتفريق بين المجتمعين ، أو اخراج العدو من البلد !!

ويستطيع هؤلاء الناس ، كذلك ، عن طريق ممارسة وسائل هذا العلم !!.. أن يختاروا الأوقات لأعمال الخير ، أو يختاروا الأوقات للكلام على الكواكب ومعادنها ، أو أوقات الكتابة ، وأن يحذقوا أساليب استخدام الملائكة على وجه العموم أو تلك التى تستخدم الخدمة السفلية للتسلط على قبائل الجن . وفضلا عن ذلك فهم يستطيعون القيام بوضع الأوفاق أو التعرف على أصولها وعلى وضع الأسماء والآيات القرآنية أو التعرف على أسماء الله الحسنى وعلى بعض خواصها وعلى طباع الاعداد وموازين الحروف وعلى أحسن طريقة لصرف العمار أو طرد الجن أو قتل الجنى العاصى أو التصرف فى الأرواح والعوارض !

ويمارس علم الحكمة أشخاص تخصصوا فى هذا العلم . والملاحظ أن علم الروحانية هو روح علم الحكمة . ومن أهم مطالبه دعوات عديدة .. منها على سبيل المثال دعوة الجلجلوتية ، وهو مطلب العزيمة الجليلة لما حوته هذه الدعوة من الأسماء والأقسام ، ولما فيها من الأسرار العظام والخواص الجسام التى تكلم عنها الكثير من الحكماء أرباب الخواص ! ويرى البونى فى كتابه « منبع أصول الحكمة » أن طالب هذه الدعوة ينبغى له استعمال الصدق فى الظاهر والباطن ، واكتساب الحلال ، والنصح لأخوانه ، واجتناب ما حرم الله عليه فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم . وأن يعمل بالكتاب والسنة فى كل ما يرومه ، وأن يكون ملازما للطهارة الكاملة ، وأن يلبس

الثياب الطاهرة النظيفة ، وأن يستعمل أنواع الطيب والأدهان المعطرة ، وأن يتعود قلة الشبع وقلة النوم • ويجب عليه ان يراعي حرمة كتاب الله تعالى وأسمائه فلا يكتب شيئا منها ليضعه في مواطىء الأقدام ، وينبغي له استقبال القبلة الشريفة والجلوس في الأمكنة الطاهرة النظيفة ، وأن لايكون في مجلسه جنب ولا حائض ولا صغير يبكي ولا كلب ولا صورة حيوان • وان ينزه نفسه عن الدناءات ومسقطات المروءة ومخلات الأدب في كل أحواله ••

كما يجب على طالب هذه الدعوة كتمان ما يرى من الأسرار وطاعة الاملاك واستظهار الجن له ومخاطبتهم وقيامهم بمطالبه ، فان اظهار ذلك يحط من قدر الطلب عندهم • وعليه •• أي الطالب ان لايضجر من الطلب وان تأخرت عنه الاجابة ، فان الضجر موقف لكل طلب • وعلى طالب هذه الدعوة ان يتبع في مطالبته أوساط الأمور ، ويعتمد في ذلك كله على تقوى الله تعالى •

ومعرفة طالب الدعوة بالأحكام الشرعية ضرورة • وذلك لكي يقطع بذلك حجة من يحتج عليه من الجن • فهو ، كأحد طلاب علم الحكمة ، يكون بمنزلة الحاكم الذي يرأس الناس ويقودهم •

ويرى طالب دعوة الجلجلوتيه ان جميع الأمكنة لاتخلو من الأرواح الجنية ، وان سكان كل مكان من الجن لايسمحون لغيرهم من الأرواح الموكلين بخدمة الأسماء والدعوات بالدخول في مكانهم الا اذا أمرهم الطالب باخلائه لهم ، ولذلك يجب عليه اذا أراد عملا من الأعمال في أي مكان أن يصرف عنه سكانه من الأرواح ، ثم بعد اتمام عمله يأمرهم بالعودة الى مكانهم ، وما أيسر أن يفعل الطالب ذلك ، فما عليه الا أن يقول ثلاث مرات وهو يبخر بكندر (اللبان) وكزبرة وشونيز (حبة بركة) وفاسوخ ، قصيدة من الشعر مكونة من عشرين بيتا •• منها :

أو ليس للزجز الشديد قواطع
قالوا بلى قد لاح كالنيران

فاجبتهم ماذا أقـــول وابتـــدى
قالـــوا بذكرى مكون الاكوان
بأيش بهيـــارش وهيـــارش
جل المهيمن منزل القـــرآن
جبـــريل فاهبط للثريا عاجـــلا
نادى هبـــوط مســـعر النيران
نادى ســـيوط مع طوط قـــد بدت
أنواره تبـــدو على الانســـان
.. ..
.. .. الخ (١٩)

فاذا قضى الطالب حاجته وأراد عودة سكان المكان اليه فيقول القسم التالى ثلاث مرات :

« بحق الأسماء التى انصرفتم بها يا عمار هذا المكان عودوا الى ما كنتم عليه . »
« وبحق الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخـــذه سنة ولا نوم له ما فى »
« السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشـفع عنـده الا باذنه يعلم ما بين »
« أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه »
« السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم.(٢م البقرة : ٢٥٥) »

ويرى الطالب أن الاملاك الموكلين بخدمة دعـــوة الجلجلوتية .. مطلب العزيمة الجليلة .. ثمانية .. وهم : السيد روفئيل والسيد جبرائيل والسيد سمسمائيل والسـيد ميكائيل والسـيد صرفيائيل والسـيد عنيائيل والسـيد كسفيائيل والسيد طحيطمعليال وهو الرئيس . ويستطيع الطالب أن يدعـو هؤلاء كلما شاء .. فهو يدعو الرئيس اذا أراد أخذ طاعة ملك علوى من السبعة السابقين ، وهو يدعو أى واحد من السبعة اذا أراد أخذ طاعة عون أو ملك سفلى .

ويشترط على الطالب لاستنزال هؤلاء الأملاك بعض شروط .. هى : التنظيف التام الطيب ، واستقبال القبلة الشريفة ، وبسط ثوب أبيض ، واطلاق البخور العطر ، والتكلم بالقسم بخشوع ، ودعوة الملك المطلوب نزوله بخضوع ، واطراق الرأس مع الثناء على الله عز وجل قبل القسم وبعده ، والقيام عند نزول الملك وتلقيه بالرحب والبشر والدعاء له .. كأن يقول ، مثلا « أيدكم الله بالنور الأعظم وزادكم قربا من الحضرة الشريفة المطهرة التى أهلكم لها " ، أو أن يقول « بارك الله فيكم وعليكم » ، ويفعل الطالب ذلك عند انصراف الملك ، وذلك لأن كل ما يدعو الطالب به للملك يدعو الملك للطالب بمثله .

وينبغى على الطالب اذا استحضر أحدا من الملوك السبعة فمن دونهم أن يراعى مقام كل منهم ، فلا يخرج معهم ولايباسطهم بكلام غير مألوف عندهم ، وأن يعامل كلا منهم بما يجب له ، وأن يكون طلبه الحاجة منهم عن ضرورة لا عن امتحان ، وأن يخاطب الملوك باللين والأعوان بالشدة والعوارض والعمار والقرائن بالشدة والزجر والقهر والتهديد .. لأن الطالب الذى يراعى ذلك يبقى مهابا ..

ويلاحظ أن الأملاك مقربون من حضرة رب العزة ولا يفترون عن عبادته طرفة عين .. فاذا وجه الطالب الى ملك سؤالا عليه أن يوجز فى طلبه ليسرع فى صعوده تأدبا معه ..

ولكل ملك من هؤلاء علامات تميزه عن غيره وله يوم معين ينزل فيه، وله خادم خاص . ولا تتمكن العين الانسانية من النظر الى هؤلاء الأملاك وذلك لقوة أشعة أنوارهم وصفاء جوهرها ..

ومن العلامات التى تميز السيد روفائيل ، مثلا ، أنه ينزل فى قبة من سندس أخضر ، وله لواء أخضر ، وباب القبة مفتوح ، وعند السيد روفائيل أعوان

يقومون بخدمته لابسين ثيابا خضرا . واذا نزل الى الطالب يمكث فى القبة يسيرا ثم يخـــرج الى باب القبة وينصب له كرسى من نور . ووقت نزول السيد روفائيل يوم الأحد .. وخادمه المذهب .

أما السيد جبرائيل فينزل فى قبة من نور وعلى رأس القبة لواء أصـفر ، ولا يخـرج من القبـة الا اذا وجه الطالب خطابه اليه ، وله عشرة أعـوان ينزلون معه ، ووقت نزوله يوم الاثنين .. وخادمه الأبيض .

وينزل السيد سمسمائيل فى قبة من نور ، أيضا ، وعلى باب القبة لواءان أحمران ، ومعه ثلاثة أعوان ينزلون معه ، ويقفون أمام باب القبة .. ووقت نزول السيد سمسمائيل يوم الثلاثاء .. وخادمه الأحمر .

وينزل السـيد ميكائيل فى قبة من نـور ، كذلك ، وعـلى يمين القبة لواء أبيض ، وينـزل معه أربعة أعـوان يقفون تحت اللواء . ووقت نزوله يوم الأربعاء .. وخادمه برقان ..

أما السيد صرفيائيل فينزل فى قبة من نور أبيض وأخضر ، ولها بابان ، على كل باب عشرة أعوان وأربعة ألوية ملونة بالخضرة والبياض ، وعلى يسار القبة ملك طويل جدا يسمى صلصيائيل وهو رئيس أعوان السيد صرفيائيل . ووقت النزول هو يوم الخميس .. وخادمه شمهورش .

وينزل السيد عنيائيل فى قبـة من نـور ، ومعه ستة أعوان وثلاثة ألوية . ووقت نزوله يوم الجمعة .. وخادمه زوبعة .

وينزل السيد كسفيائيل فى قبة من نور أسود ، ومعه ثلاثون عونا وعشرة ألوية سود . ووقت نزوله يوم السبت .. وخادمه ميمون .

أما السيد طحيطمعليال فتنزل قبله قبتان من نور ساطع البيان بشهب لامعة ، ثم

ينزل فى قبة عظيمة تنصب له بين القبتين ، وينزل معه ألف عون . يقف بعضهم حول القبة وبعضهم خارج الرقعة التى تنصب فيها القباب الثلاث ، وله خمسون لواء بيضاء . ومتى نزل السيد طحيطمعليال حضر الخدام السبعة المذكورين آنفا : المذهب والأبيض والأحمر ويرقان وشمهورش وزوبعة وميمون ، ثم يقفون خلف الرقعة ولا يستطيع أحد منهم الدنو منها . ومن شروط استنزال السيد طحيطمعليال ، زيادة على ما تقدم ، أن تكون ثياب الطالب كلها بيضاء ، وأن يكون المكان نظيفا مطيبا .

ويلاحظ أنه اذا كان الطالب محجوب النظر فلابد له من ناظر حاذق يعلمه بنزول الأملاك حتى يتمكن من استقبالهم الاستقبال اللائق بكل منهم .. واذا لم يجد الطالب هذا الناظر فليعمد الى صبى أو جارية دون البلوغ .. ويكتب على جبهة الصبى أو جبهة الجارية بعض الأسماء .. هى : شلها شرد هيثا « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (٥٠ ك ق : ٢٢) . ثم يعطى الصبى أو الجارية مرآة مصقولة مكتوب على ظهرها طلسم معين يكون فى وسطه اسم الملك أو العون أو الخادم أو المطلوب ، ويمسك الصبى أو الجارية المرآة فى اليد أمام العينين حتى يرى من يستنزل أو يستحضر وما يكشفه أو يشير به اليه . ويصح للطالب نفسه استخدام المرآة حتى ولو كان ذا بصر اذا أراد ذلك .

ولدعوة الجلجلوتية ، مطلب العزيمة الجليلة ، طرق عديدة . ويرى البونى أن أصح هذه الطرق طريقتان : الأولى هى ما يسميه بالطريقة الصغرى ، والثانية هى الطريقة الكبرى ..

وتتضمن دعوة الطريقة الصغرى قصيدة من الشعر مكونة من نحو ستين بيتا . وقد يضيف الى هذه الأبيات بعض الشيوخ عشرة أبيات أخرى . أما دعوة الطريقة الكبرى فى تتضمن قصيدة من الشعر مكونة من نحو ٣٦٦ بيتا .

وتبدأ قصيدة دعوة الطريقة الصغرى بالأبيات التالية :

بدأت ببسم اله روحى به اهتدت — الى كشف أسرار بباطنه انطوت

وصليت في الثانى على خير خلقه — محمد من زاح الضلالة والغلت

سألتك بالاسم المعظم قدره — باج أهرج جل جليوت حلجلت

فكن يا الهى كاشف الضر والبلا — بهى جلا همى بهل بهلهلت

واحى الهى القلب من بعد موته — بذكرك يا قيوم حقا تقومت

وتنتهى هذه القصيدة بالأبيات التالية :

فيا قارىء الاسم المعظم قدره — عليك بتقوى الله تنجو من الغلت

فقابل ولا تخشى حاكما ولا تخف — وجز كل أرض بالوحوش تعمرت

بها العهد والميثاق من عهد آدم — وبالمسك والكافور والند ختمت

وصل وسلم يا الهى بكثرة — كوابل غمام سائل قد تهطلت

على المصطفى والآل والصحب كلهم — بقدر نبات الأرض والريح انسرت

ولعل القارىء أن يلاحظ ما تضمنته أبيات هذه القصيدة من أسماء سريانية قد كتبت بالحروف العربية ، منها « آج » أى الله ، و « اهرج » أي الأحد ،

و « جل جليوت » أى البديع ، و « حلجلت » أى القادر ، و « هى » أى الكافى ، و « هل » أى الودود ، و « هلهلت » أى الباسط ..

أما قصيدة دعوة الطريقة الكبرى فهى تبدأ بالأبيات التالية :

بدأت بسم الله ربى ومالكى
مطالع أسرارى بسرى أعلنت

فأسماؤها العظمى بها الروح تهتدى
الى سر أسرار بباطنه انطوت

وصليت يا ربى على أشرف الورى
محمد المبعوث للخلق عممت

وأفضل مخلوق وخاتم رسلها
بسيفك قد زاح الضلالة والغلب

صلاة وتسليما عليه وآله
وصحب وكل التابعين ومن حوت

وتنتهى هذه القصيدة بالأبيات التالية :

فيا قارىء الاسم المعظم قدره
عليك بتقوى الله تنجو من الغلت

بها العهد والميثق والوعد والوفا
وبالمسك والكافور والند ختمت

وأبيات شين وسين تشفعت
بها الأسرار عظام تجمعت

وبعد فصلى الله ربى دائما
على المصطفى ما طار طير وغردت

وآل وأصحاب كرام أئمة
بهم زالت الأكدار عنا وزحزحت

ولعل القارىء أن يلاحظ التشابه بين بداية كل من القصيدتين من حيث معانى الأبيات • أما نهاية القصيدتين فقد تكرر أكثر من بيت فيهما بنفس النص أو بمعظمه • (٢٠)

واذا حاولنا أن نبين طريقة استخدام دعوة الطريقة الأولى •• الطريقة الصغرى ، نجد أن الطالب المبتدىء يجعل قصيدتها وردا يقرؤه مرة فى الصباح ومرة فى المســاء • واذا عرضـت له حاجة وأراد قضاءها فان الطـالب يتلو القصيدة من مرة الى سبع مرات أو احدى وعشرين مرة أو الى احدى وأربعين مرة • ويعتبر العدد الأخير آخر مراتب اعدادها وأكملها •

وقد تتلى هذه القصيدة فى وقت الحاجة فقط من غـير أن يتخذها الطالب وردا • ومن شروط التلاوة عند الحاجة ذكر التوكيل فى كل مرة وملاحظة الحاجة فى قصد التالى وبخاصة عنـد تلاوة المرة الســابعة عشرة مع اطـلاق البخور فى يوم الأحد بالجاوى ، وفى يوم الاثنين بالكافور ، وفى يوم الثلاثاء بالكندر ، وفى يوم الأربعاء بالميعة السائلة ، وفى يوم الخميس بالمصطكى ، وفى يوم الجمعة بعود الند (مسك يعجن بعنبر وعود) ، وفى يوم السبت بالعود الهندى (المقصود بالتوكيل أن يقول الطالب « اللهم يا من هو كذا ولا يزال هكذا ولا يكون هكذا أحد غيره أسألك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأن تفعل كذا وكذا ويذكر مطلوبه من استنزال أو استحضار أو قضاء غرض •• ثم يقول وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصـحبه وسلم ») •

وتلاوة هذه القصيدة من غير كتابة أسلوب لا بأس به ويناسب محجوب البصر أو من تتعذر عليه الكتابة • وكما تتلى القصيدة فحسب فهى ، أيضا ، قد تتلى وتكتب وهو الأسلوب الأكمل •

ومهما يكن من الأمر ، فان طالب علم الحكمة •• وبخاصة الذى يستخدم دعوة الجلجلوتية بهذه الطريقة •• أقصد الطريقة الصغرى •• يعتقد أن الله جل وعلا قد أودع فى أبيات قصيدتها من الأسرار والخصائص ما لم يحصر بعد ولا عند نهايته حد ، فهو •• أى طالب هذه الدعوة •• يرى أن فى كل بيت من أبياتها أسرارا عديدة وخواصا لا حدود لها • ان من واظب ، مثلا ، على قراءة البيت الأول من هذه القصيدة وهو :

بدأت ببسم الله روحى به اهتدت الى كشف أسرار بباطنه انطوت

فى كل يوم ثلاثين مرة ، نال المحبة والمهابة والرفعة • ومن واظب على قراءته فى كل يوم ثمانى عشرة مرة تفجرت الحكمة من قلبه وانجلت ظلمته ، ومن كتبه فى كاغد (قرطاس) وعلقه على ضعيف الأعصاب والعروق أو من به قولنج (مرض معوى) وذات الجنب شفاه الله تعالى • (٢١)

وفى الأبيات الخمسة التالية من هذه الدعوة •• أسرار وأسرار ، فهى تتضمن خاتم هذه الدعوة الجليلة •• ويسمى الخاتم السليمانى •• وهى :

ثلاث عصى صففت بعد خاتم
على رأسها مثل السنان تقومت
وميم طميس أبتر ثم سلم
وفى وسطها بالجرتين تشركت
وأربعة شبه الأنامل صففت
تشير الى الخيرات للرزق جمعت
وهاء شقيق ثم واو مقوس
كأنبوب حجام من السر التوت
وآخر مثل الأوائل خاتم
خماسى أركان وللسر قد حوت

ولهذا الخاتم خواص كثيرة ، ومنافع عظيمة ، واشارات لطيفة ، ومعان طريفة ، وأسرار لا تحصى ، وعجائب لا تستقصى ، فبه تجلب المسار وتدفع المضار ، ومن عرفه استغنى به عن غيره ، واكتفى به عما عداه .

فمن خواصه أنه اذا كتب ووضع مع الميت أمن من عذاب القبر . ومن حمله كان فى حفظ الله .. فاذا حمله من يدخل على الملوك والسلاطين والعظماء يحميه الله منهم . وحامله يكون مؤيدا منصورا يقهر كل من يعاديه . وينفع هذا الخاتم لابطال السحر وحل المعقود ومن طال سجنه ، كما ينفع المصروع ، ويخرج العارض من الجسد اذا علق عليه .. فاذا أقام (العارض) احترق. ومن نقشه على خاتم من فضة فى الساعة الأولى من يوم الجمعة ويكون الناقش صائما فانه كلما يقع على حامله بصر أحبه وقضى حاجته . وان دخل حامله به على السلطان نال مقصوده ..

ومن كتب هذا الخاتم فى مكان خرب عمر ، واذا حملته امرأة عازبة تزوجت خصوصا البكر ، واذا حمله من يخاف من قطاع الطرق وكل أمر مكروه فانه يأمن منه ، واذا علق على لواء الجيش والعسكر كان منصورا ! ! فقد حكى أن ملكا من ملوك مسلمى الصين حاصر مدينة من الكفار مدة طويلة حتى بنى المسلمون حول تلك المدينة مدينة أخرى ولم يقدروا على فتحها . فذكر بعض الناس لذلك الملك رجلا يعرف بالزهد والورع والعلم والصلاة والصلاح ، فحياه الملك وقال له أمددنا بالأدعية .. وذكر له قصته مع تلك المدينة وعدم قدرته على فتحها ، فأخذ الشيخ رقعة وكتب فيها الخاتم مكررا مبسوطا وأعطاه للملك وقال له اجعلها فى مقدمة رأسك وازحف على الكفار ، فعمل الملك باشارته فنصر الله المسلمين ، وملكوا المدينة وغنموا غنائم عظيمة ! !

ومن خواص هذا الخاتم اظهار الكنوز واخراج الدفائن .. حيث يكتب بزعفران ويعلق فى رقبة ديك أفرق معوشر ثم يطلق فى المكان المتوقع وجود

هذه الكنوز أو الدفائن •• فأى مكان يقف هذا الديك عليه ويبحثه برجله أو منقاره وصاح عليه ففيه الخبيئة !

ومن خواصه اخراج العدو الشخصى من البلد وتخريب داره ورجمه فى داره واشعال النار فى دار الظالم •• وفضلا عن ذلك تعطيل سفن الأعداء عن السفر وان سافرت غرقت !! ، وما على الطالب اذا أراد المطلب الأخير الا أن يكتب الخاتم على قطعة من الخشب بماء البحر الذى رست فيه السفن أو مخرت عبابه ثم دفنه فى هذا البحر • ولعل قيام الطالب بهذا العمل أن يكون أيسر من قيامه بمحاولة اخراج العدو الشخصى من البلد حيث يقوم عندئذ بصيد أحد العصافير ويربط فى رجله ورقة يرسم عليها الخاتم مع اسم العدو الشخصى واسم أمه بخيط أصفر ، ثم يطلق العصفور بيده الشمال من وراء ظهره ، ويقول عند اطلاق العصفور : هرب فلان ابن فلانة من هذا المكان بحق هذه الأسماء • والعمل على تعطيل سفن الأعداء عن السفر أيسر كذلك من خلاص المسجون من سجنه • فالطالب لتحقيق هذا الخلاص ما عليه الا أن يرسم الخاتم على قليل من تراب المقابر بعد عجنه وجعله « شقفة » ، ويقرأ عليه الدعوة ثم يعطى المسجون الشقفة الذى يدخلها من طوقه ويخرجها من كمه ، فيتحقق المراد !! (٢٢)

ولعل القارىء قد لاحظ ، كما لاحظ الكاتب ، فى ضوء كل ما سبق ، أن علم السيمياء ، أو حتى بعض ما يتضمنه ، فى تراثنا الثقافى المصرى المعاصر •• هو علم يهب المقدرة على فعل المعجزات ، وذلك بمجرد تلاوة بعض أبيات من الشعر أو بعض الأسماء باللغة السريانية أو بعض الآيات القرآنية ، على أن تكرر هذه التلاوة مرة أو مرات • ان هذا العلم يهب ممارسه سلطة مخيفة يمكن أن يستغنى بها عما عداها من سلطة أو سلطان • والملاحظ أن هذه السلطة هى سلطة لا تقف أمامها سلطة الدولة بأجهزتها أو سلطة المجتمع بجماعاته

البشرية ونظمه الاجتماعية وتياراته الفكرية وقيمه ومثله العليا ، أو حتى سلطة الدنيا بأسرها ..

ان من يمارس علم السيما ، أو بعض ما يتضمنه ، فى مجتمعنا المعاصر ، يستطيع ، مثلا ، أو يتوهم أنه يستطيع ، أن يحسن الأخلاق .. الأمر الذى تحاول أن تنهمه الجامعات وأن تمارسه المدارس وأجهزة التربية العديدة فى المجتمع . وهو يستطيع أو يتوهم أنه يستطيع أن يجعل البليد ذكيا يفهم العلوم والمعارف فى سهولة وفى يسر وهو أمر يستصعبه علماء التربية والنفس المعاصرون . وهو يستطيع أو يتوهم أنه يستطيع أن يمنع السوس من الحبوب وأن ينقل الصخور وينسف التلال .. كل ذلك بمجرد أن يتلو الممارس بعض الكلمات .. وما أيسر ذلك . وكأننا قد أخطأنا عندما استخدمنا العلوم المعاصرة والتكنولوجيا ، ولم نستخدم علم السيما ، فى بناء مصانعنا العظيمة أو فى بناء السد العالى الجبار .. أين كان هؤلاء الممارسون لعلم السيما ، أو بعض ما يتضمنه ، فى بلادنا عندما دعت الضرورة الملحة الى بناء هذه الشوامخ؟ أين هم الآن ونحن فى مسيس الحاجة الى معونتهم فى القضاء على البلهارسيا وفى محو الأمية وفى زراعة الصحراء الشاسعة وفى حفر آبار البترول ؟ .. أين هم عندما تهدد محصول القطن فى بلادنا الآفات؟ أين كان هؤلاء الممارسون عندما ظلمنا الظالمون سواء كانوا مستعمرين أو كانوا مواطنين ؟ لماذا لم يسلطوا على هؤلاء الظالمين الخابط مثلا ؟

ان من يمارس علم السيما ، أو بعض ما يتضمنه ، فى مجتمعنا المعاصر .. يستطيع بمجرد أن يكتب « الخاتم السليمانى » ، مثلا ، ويضعه مع الميت فى القبر أن يؤمنه من عذاب القبر ! وهو يستطيع بمجرد أن يفعل ذلك ، أيضا ، أن ييسر انتصار جيوشنا على الأعداء . اننا الآن فى مسيس الحاجة الى انتصار هذه الجيوش على الأعداء . ولكن ما هى السبيل الى هذا الانتصار ؟ هل نمارس علم السيما ، أو بعض ما يتضمنه ، كما يفعل الكثيرون من أعضاء

مجتمعنا فى سبيل تحقيق هذا الانتصار ؟ هـل نفعل ما فعله ، مرة ، أحـد المواطنين الطيبين اذ أرسل رسالة الى ضريح الامام الشافعى فى ٥ أكتـوبر ١٩٥٥ ، يطلب فيها من الامام الشافعى عقد جلسـة شريفة يحضر فيها معه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين والست زينب أم هاشم وجميع أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك لمسح وازالة اسرائيل اليهود من على وجه الأرض المقدسة فى خلال أسبوع ؟ هل نفعل ما فعله أجدادنا منذ نحو ١٧٠ عاما أو يزيد ، عندما وردت الاخبار الى القاهرة باحتلال نابليون الاسكندرية ورشيد ودمنهور وتهديده للقاهرة نفسها ، فاجتمع العلماء بالأزهر فى هذه الأونة كل يوم « يقرؤن البخارى وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمـة والقـادرية والسعدية ، وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ، ويعملون لهم مجالس بالأزهر •• وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الأسماء » (٢٣)

ولعل علم السيما أو ممارسته أن تغرى الكثيرين من البسطاء • فالممارس يستطيع أن يتسلط عـلى الملائكة ويستخدمهم فى سبيل تحقيق مآربه ، وهو يستطيع ، أيضا ، أن يسخر الجن فى سبيل تحقيق كـل ما يريد • ونحن المصريين بعامة نؤمن بالأروح والملائكة كما نؤمن بالجن • ولكننا لسنا أنبياء ولا رسلا نستطيع أن نراهم أو نتحدث معهم ، أو نخاطب ملوك الجن باللين وأعوانهم بالشدة والعوارض والعمار والقرائن منهم بالشدة والزجر والقهر والتهديد ! اننا نؤمن بالملائكة والجن فى ضوء ما ورد عنهم فى القرآن الكريم والسنة أو فى الكتاب المقدس • وقد آمن جدودنا المصريون من قبلنا بالأرواح وفى ضوء ادمان تفكيرهم فى العالم الآخر ألفوا كشكولا من الجن والعفاريت والسحر والرقى والتعاويذ • (٢٤)

والملاحظ أنه على الرغم من أن أصل علم السيما قد يرجع الى المصريين القدماء ، وأن مجرد تسميته بـ « علم السيما » يدل على أصله العبرى •• وان

معظم الكتب فى هذا العلم يرجع الى ما وضعه الحكماء فى كتبهم من عهد « الأستاذ الفاضل أرسطوطاليس » (اليونانى) (٢٥) ، فان هذا العلم كما هو موجود فى الكتب والكتيبات المنشورة فى مجتمعنا المعاصر .. مكتوب باللغة العربية ومملوء بالحكم العربية والقصائد العربية والدعوات الاسلامية فضلا عن الآيات القرآنية الشريفة . ان من يمارسه أو يمارس بعض ما يتضمنه ينبغى له استعمال الصدق فى الظاهر والباطن ، واكتساب الحلال ، والنصح لاخوانه ، واجتناب ما حرم الله عليه فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم ، وأن يعمل بالكتاب والسنة فى كل ما يرومه . ومعرفة طالب دعوة الجلجلوتية (بعض ما يتضمنه علم السيما) بالأحكام الشرعية ضرورة ، وذلك لكى يقطع بذلك حجة من يحتج عليه من الجن . أى أن الممارس لعلم السيما ، أو بعض ما يتضمنه ، يجب أن يكون مسلما مؤمنا عاملا بالكتاب والسنة ، والملاحظ أن بين الذين يمارسون هذا العلم من هم غير مسلمين . ان آداب هذه الممارسة آداب حميدة فى ضوء تعاليم الدين الاسلامى ما فى ذلك من شك . ولكن الدين الاسلامى يرى أن المظاهر وحدها لا تجدى .. وأن العبرة كل العبرة بالعمل بالكتاب والسنة فحسب ، وأن فيما عدا ذلك بدعا مستقبحة، وأنه لم يرد فى الكتاب شىء عن ممارسة علم السيما أو بعض ما يتضمنه ، بل ان ماورد فعلا أمر يستقبحه «هو الذىأنزل عليكالكتاب منه آيات محكمات هن أمالكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » (٣ م آل عمران : ٧) . ولم يرد عن سيدنا محمد نبى الاسلام ممارسة هذا العلم أو ممارسة بعض ما يتضمنه ، « ان العمل بالسنة المحمدية هو كل السعادة والشرف ، والخروج عنها هو كل الخزى والمقت والهلاك وفظيع التلف ، ولذا قالت الأئمة اذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير فى الهواء فلا تلتفتوا اليه فان الشيطان يطير من المشرق الى المغرب ويمشى على الماء ، ولكن انظروا فى اتباعه الكتاب والسنة فانالشيطان لا يقدر على ذلك أبدا » . (٢٦)

ومع ذلك فنحن نقول ان علم السيما ، أو بعض ما يتضمنه ، لم يحقق للبشرية ما حققه العلم الحديث .. علم الثلث الأخير من القرن العشرين . ان علم السيما قد حقق ولا يزال يحقق وهما وزيفا . (٢٧) ولكن علم الثلث الأخير من القرن العشرين قد استطاع أن يحطم الذرة وأن يفيد من طاقتها الجبارة ، واستطاع أن يخلق الجنين فى أنبوبة الاختبار ، وأن يزرع القلوب والأكباد .. وهو يحاول أن يخلق الخلية الحية ويسير قدما فى سبيل تحقيق هذا الخلق . وفى ضوء هذا العلم الحديث أمكن بناء العقول الالكترونية التى تفكر من أجل الانسان ، وأمكن التسلط على العديد من الأمراض الجسمية والنفسية والعقلية : الوقاية منها وعلاجها . ويكفى أن نلاحظ الصور التى يلتقطها الانسان من القمر ومن المريخ ومن الزهرة . ويكفى ما يراه الرجل العادى على شاشة التليفزيون أو بسمعه ، على بعد المسافات ، عن طريق الراديو الصغير الذى يحمله بأصبع واحد من أصابع يده العشرة .

ان تأثير وهم علم السيما على عقول الانسان المصرى فى ضوء ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تأثير رهيب . انه لأول وهلة ييسر لهذا الانسان البحث المستمر عن أقصر الطرق وأسرعها لتحقيق أهدافه أو غاياته الدنيوية والأخروية على السواء . ان تأثير هذا الوهم يجنب الانسان المصرى المعاصر العناء والجد المطلوبين عادة فى اجتياز العقبات للوصول الى تحقيق هذه الأهداف والغايات . ان تأثير هذا الوهم يجنب الانسان المصرى المعاصر استخدام الوسائل الطبيعية لتحقيق هذه الأهداف والغايات . ويكون همه ليس انجاز العمل على أكمل وجه وانما انجازه وتحقيق أهدافه وغاياته حتى لا يقال عنه بأنه عاجز عن ذلك . أى أن تأثير وهم علم السيما ، بالاضافة الى بعض العوامل الأخرى ، ييسر غرس بعض الخصال « الفهلوية » التقليدية فى نفس الانسان المصرى المعاصر التى تجعله عاجزا عن تقبل الحقائق الموضوعية ، بل تجعله عاجزا عن تقبل الواقع ، وفقا لما تفرضه الظروف الحرجة من تصرف سريع ، ويضطرنا هذا التأثير الوبيل الى اخفاء العيوب والفشل والنقائص بغية انقاذ المظاهر والحفاظ على ماء الوجه . (٢٨)

« المراجع والتعليقات »

١ ـ سيد عويس: الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر : صفحة ٢٢٠

٢ ـ المرجع السابق : صفحة ٢٢١

٣ ـ سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، صفحات ٣٤١ ـ ٣٤٣ •

٤ ـ على حمدى الجمال : حديث الناس •• جريدة الأهرام ، ٥ ديسمبر ١٩٦٧ •

٥ ـ عبد السلام داود : فئران التجارب الآدمية •• جريدة الأخبار ، ١٩/١/١٩٦٨ •

٦ ـ آمال محمود ابراهيم عطية : دراسة علمية لاتجاهات قراء بختك اليوم فى الصحف اليومية ـ اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦٥ •

٧ ـ يعقوب فام : أطفالنا وكيف نسوسهم ، القاهرة ، مطبعة ومكتبة وديع أبو فاضل وولده ، صفحات ١٥٩ ـ ١٦٣ •

٨ ـ يلاحظ تغير معنى مفهوم الوقت أو الزمان • ويلاحظ ، أيضا ، أن معنى هذا المفهوم لم يتغير عفويا •• وانما أصبح فى نظر أعضاء المجتمع مجرد وسيلة هروبية •• أو مجرد نافذة لانطلاق المشاعر العدوانية عندهم ضد أشياء أو أمور واقعية معينة • ولعل المفهوم بمعناه المقصود أن يعنى الواقع الاجتماعى المؤلم • ومعنى الأيام هو نفس المعنى •• أى

أنه أصبح ينم ، أيضا ، عن الظروف القاسية التى يواجهها أعضاء المجتمع فى الواقع الاجتماعى المؤلم ..

راحت لأولادها بعد ما سابت   تلقى بكاهم زى عشب الجبل نابت
قالوا يا امنا مين كان لاهيكى   ثلاث أيام واحنا لم نلاقيكى
نشوفك بعيد عنا نقعد نوافيكى   نبكى بحرقة على اللى صابنا فيكى
وقالت لهم ارضعوا ما حد يتبعنى   الا الزمان كادنى والغلب غلبنى
وقعت فى يد صياد شقى وعنيد   خذنى معاه فى جبال الذل والتنكيد

(انظر قصة الجمل والغزالة : القاهرة .. مكتبة الجمهورية العربية ، صفحة رقم ٦) .

- الحر يستر عيوبه ان زمانه مال
ويميل معاه لجل يقطع ألسن الأندال
ويدق يوم ع الوتد والتانى ع السندال
يصبر لحكم الزمن ويساير الأيام
وقالوا اعمل بخمسة وحاسب البطال

- نفوس وناب الزمن فيهم بينقر نقر
ونفوس ورا رزقها م النجمة زى الصقر
ونفوس وجعها الزمن خلاها تزأر زأر
ونفوس لا حول ولا قوة .. ونا ملى
خلونى فى قصتى .. أنا يعنى ناقص فقر ؟

- يادى الزمان جالك بلا . طفحتنى الدردى
قرف وغلب وحما .. زى العمى عندى

- يصعب على الكريم لما الزمان يعاديه
ويخلى ندل الرجال يحكم ويؤمر فيه
واضطر يوم يتحوج للندل من أعاديه

عجبى عليك يا زمن أسـفى على حالك
دا الورد مهما دبل ريحته بتفضل فيه

(انظر أحمد سليمان حجاب : نافذة الأدب الشعبى ، صفحات ١٣ و٤٦ و٦٨ و٨٩) •

٩ - يلاحظ أن المثل الشعبى « بصلة المحب خروف » وكذلك المثل الشعبى « لاقينى ولا تغدينى » يحملان معانى أعمق من المظهرية •• معانى تولى المشاعر الانسانية المجردة اهتماما أكثر من الماديات ••

١٠- من الأمثلة التى تدل على أننا مولعون بالتوسع الكمى أكثر من التوسع النوعى ما ذكره الأستاذ الدكتور حامد عمار :

- أقيم فى احدى القرى المصرية مشروع كبير للتفريخ ، وهو قادر على أن يفرخ ١٥٠ ألف بيضة فى اليوم ، وهو يحتاج الى طاقة كهربائية هائلة • لكن القرية صغيرة ، وقد غاب عنا أن نتساءل كيف سنوفر احتياجات هذا المشروع من البيض فى قرية لايمكن الحصول منها على ١٥٠ ألف بيضة فى اليوم ، كما غاب عنا أن نتساءل من أين سنسوق انتاج التفريخ فى مثل هذه القرية • من الواضح أن هـذه المصاعب لم يكتشفها واضعو المشروع ، فكانت النتيجة فاقدا دائما فى الطاقة الكهربائية • مع أن أية دراسة تخطيطية كانت تؤدى ، بالضرورة ، الى أسلوب أفضل للتفريخ فى هذه المنطقة ، مثل اقامة وحدات صغيرة من معامل التفريخ وتوزيعها على عشرين قرية يمكن الحصول منها على ١٥٠ ألف بيضة يوميا بسهولة •

- توجهت منذ أيام لأحد محلات بيع الأدوات الصينى ، فوجدت أن الصينى موضوع فى « البدروم » وهو معرض للتراب والرطوبة ،

بينما وضعت مكاتب الموظفين فى الأدوار العليا من المحل .. وهنا أتساءل أيهما الأهم .. السلعة المراد بيعها أم المكاتب الادارية التى ما وجدت الا لخدمة هذه السلعة ؟ (انظر الندوة الثقافية حول موضوع دولة عصرية ، مجلة المصور ، ١٨ أغسطس ١٩٦٧) .

- والأمثلة عن اهتمامنا بالكم أو بالمظهرية عديدة .. والقارىء ، ما فى ذلك من شك ، يعلم عنها الكثير .

١١- سيد عويس : التفاؤل والتشاؤم فى عالم الكرة ، كرة القدم موسم ١٩٦٧ ، جريدة الاهرام ، عدد خاص ، ابريل ١٩٦٧ ، صفحة ٢٣ ..

١٢- سيد عويس : المرأة كسلعة ، الهلال ، القاهرة ، مارس ١٩٦٥ ، صفحات ١٠٠ - ١٠٨ .

- يلاحظ أن علاقات الانتاج القديمة ، فى مجتمعنا الحالى ، لم تصف تصفية نهائية حتى الآن. فالرواسب البالية لاتزال تخيم على مناخ مجتمعنا الثقافى . ومنها الرواسب التى تتعلق بمعاملة المرأة المصرية . فهى فى عقول الكثيرين تنسج خيوطها كالعنكبوت . ومفهوم المرأة عند العديدين من الرجال ، فى مجتمعنا ، مفهوم منحرف . ومفهوم الرجل عند العديدات من النساء مفهوم منحرف كذلك ، وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو واضحة فى الكثير من الأمور . تبدو عند اختيار المرأة للرجل لتتزوجه . وعند اختيار الرجل للمرأة ليتزوجها . وتبدو عند المغالاة فى طلب المهور . وتبدو عند تصدع الأسرة المصرية بالطلاق دون مبرر . وتبدو فى تعدد الزوجات دون ما شروط . وتبدو فى حجم جناح الأحداث واتجاهاته . كما تبدو أحيانا فيما يقال فى مجتمعنا ، فى ضوء بعض العناصر الثقافية المصرية ، عند الحديث عن النساء أو عند الحديث عن الرجال . نجد ذلك واضحا فى قول الرجال : « لا أمان للنساء » ، وقولهم « لعن الله النساء ولو نزلن من السماء » . وفى قول النساء « ياأمنة للرجال ياأمنة للميه فى الغربال » .

وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو جلية واضحة فى الاتجـار بالمرأة •• عن طريق تكوينها البيولوجى ، وقد نجد ذلك فى الاعلانات والدعاية للأفلام ، وفى الاعـلان عن الروائح العطرية وعن « أحمر شفاه » ، وحتى فى الاعلان عن شراب « الكوكاكولا » • ونجد هـذه الاعلانات فى الجريدة اليومية ، وفى الصفحة الأولى للمجلة الأسبوعية ، وعلى الشاشة الكبيرة ، وعلى الشاشة الصغيرة على السواء •

ويتفنن أصحاب هذه الاعلانات ماشاءت لهم عقولهم المماوءة بخيوط الرواسب البالية التى تتعلق بمعاملة المرأة أن تفعل • فنجدهم يتملقون شهوات الرجل فيرسموا جسد المرأة ، وهو عنصر واحد من عناصر مكونات شخصيتها الاجتماعية ، عاريا مرة أو شبه عار مرة أخرى ، أو يرسموا جزءا من أجزائه ، فى بعض الأحيان • وهم اذ يفعلون ذلك يروجون لبضاعتهم عن طريق الترويج لجسد المرأة دون ما حياء • أو نجدهم يستخدمون الرموز فى بعض الأحيان الأخرى ، ولهم من التفاحة المشهورة •• تفاحة حواء •• مجال وأى مجال • وهم اذ يفعلون ذلك يؤكدون ، بوعى أو بغير وعى ، رمز الخطيئة ، خطيئة المرأة ، فى كل لحظة •• وكأنها خطيئة لم تغفرها لها رحمة الله ورضوانه •• بل هى خطيئة أبدية يذكرها لها الرجل ، وهو شريكها ، فى كل حين •• ويحاول أن ينال منها عن طريقها على الدوام •

وكما تنال الاعلانات ، بأنماطها وصورها ، من المرأة •• يفعل ذلك ، تماما ، ما نجده فى مضمون بعض القصص والتمثيليات المكتوبة منها •• أو المعروضة على الشاشة الكبيرة أو على الشاشة الصغيرة أو على المسرح• يحدث ذلك فى مجتمعنا •• كما يحدث ذلك ، أيضا ، فى المجتمعات الأخرى •• والأمثلة على ذلك كثيرة •

ومن صور الاتجار بالمرأة .. أقصد الاتجار بعواملها التكوينية .. صورة ظاهرة البغاء .

١٣- محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ .
أنظر أيضا تفسير الامامين الجليلين ، القاهرة ، مطبعة صبيح وأولاده .

١٤- جمعية الكراريس البريطانية : مغنى الطلاب فى مواضيع الكتاب ، بيروت ، ١٨٨٤ .

١٥- أبو العباس بن على البونى : منبع أصول الحكمة للبونى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، صفحة ٣ .

١٦- المرجع السابق : صفحة ٣ .

١٧- أبو العباس أحمد بن على البونى : شمس المعارف ولطائف العوارف ، القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٩٦٢ .

أنظر أيضا : عبد الفتاح السيد الطوخى : المندل والخاتم السليمانى والعلم الروحانى للامام الغزالى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .

وعبد الفتاح السيد الطوخى : النور الربانى فى العلم الروحانى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .

١٨- منبع أصول الحكمة للبونى ، صفحة ٨ .

١٩- المرجع السابق : صفحات ١٣٤ - ١٣٦ وما بعدها ..

٢٠- المرجع السابق : صفحة ١٣٨ - ١٤٣ ، ٢٥٥ - ٢٧٠ •

٢١- المرجع السابق : صفحة ١٤٥ •

٢٢- المرجع السابق : صفحات ٢٤٠ - ٢٤٢ •

٢٣- سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ ، صفحتا ٣٦١ - ٣٦٢ •

٢٤- سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، صفحة ٤٤ •

٢٥- منبع أصول الحكمة للبونى : صفحة ٨

٢٦- محمود خطاب : فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، صفحة ٩٧ •

٢٧- لقد طالعتنا الصحف المصرية وشاهدنا على شاشة التليفزيون العربى فى خلال رحلة أبوللو ٨ الى القمر وبعد انتصار الانسان فى هذه الرحلة ونجاحه العظيم ، أمورا غريبة •• منها أن أحدهم استطاع أن ينقل الخاتم من اصبع اليد اليسرى لاحدى المذيعات الى اصبع اليد اليمنى ، وان احدهم استطاع أن يرد على سؤال كتب فى وريقة أمسكها بيده أحد الصحفيين دون ان يرى السؤال المكتوب أحد ، وكن الرد على السؤال مكتوبا • ومن الغريب ان يكون مضمون السؤال عن المستقبل المهني لهذا الصحفي • وإذا كان ما حدث من نقل الخاتم من أصبع

الى آخر والاجابة على السؤال الشخصى صحيحا فليسأل كل واحد منا نفسه ماذا أفادت البشرية من كل هذا ؟ ماذا أفاد مجتمعنا المصرى المعاصر .. المجتمع الذى نحاول اعادة بنائه حتى تسود فيه الكفاية والعدل واحترام الانسان من كل هذا ؟ ان نشر هذه السخـــافات او اذاعتها فى الوقت التى تمت فيه رحلة أبوللو ٨ لايعنى عند الكاتب الا أن يكون مؤامرة تهدف الى أن يضاف الى العناصر الثقـافية المصرية المعاصرة البالية ما هو أســوأ منها .. ألا يكفى عند هؤلاء ما عندنا ؟ ألا يجدر بهم وبغيرهم من القادة الثقافيين المصريين أن يدرسوا ما عندنا لكى يفهموه موضوعيا ثم يحاولوا أن يغيروه الى الأفضل ؟

٢٨- حامد عمار : فى بناء البشر ، دراسات فى التغير الحضـارى والفكر التربوى ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليـــان ، ١٩٦٤ ، صفحات ٨٠ - ٩١ .

الفصل السابع

نحو تغيير اجتماعي ثقافي افضل

يتضمن الفصل الحالى الموضوعات الآتية :

١ ـ الاتجاه الحالى نحو خدمة المجتمع .

٢ ـ بعض أهداف خـــــدمة المجتمع .

٣ ـ بعض الخطوات العملية فى خدمة المجتمع .

٤ ـ دور القائد الاجتماعى : مثال واحد .

١ ـ الاتجاه الحالى نحو خدمة المجتمع

يلاحظ فى ضوء ظروفنا الاجتماعيـــة الحاضرة ، ونحن نبنى مجتمعنـــا الاشـــتراكى الجـديد ، الاتجاه الايجابى الحـالى نحو خدمة المجتمع • اننا نرحب بهذا الاتجاه الثورى الجديد ، فهو خطوة الى الأمام ما فى ذلك من شك •• أى هو خطوة فى سبيل ارساء معالم البناء السليم لهذا المجتمع •

ولعل تفرغ الذين يعملون فى خدمة المجتمع أن يكون خطوة الى الأمام كذلك ، ومع ذلك فاننا نرى أن هـذا التفرغ فى مسيس الحـاجةالى نـوع من التخصص •• أى الى نوع معين من الخبـرة النظرية ومن الخبرة العملية معا •• أى فى مسيس الحاجة الى نوع من التدريب العلمى ••

فالحاجة الى الوعى بقوى خدمة المجتمع ، مثلا ، أمر ضرورى • لأن مفهوم خدمة المجتمع يعنى ، أولا وقبل كل شىء ، عملية أو عمليات التغير الى الأفضل ، وأن التغير الى الأفضل ينتج عادة عن أوجه النشاط المتضـــافرة المستمرة المقصودة التى تقوم بها الجماهير والحكومة والمسئولون عن الخدمات الفنية المهنية المناسبة •• حكومية كانت أو أهلية • وليس من الضرورى أبدا أن تكون هذه الأوجه من النشاط قائمة منذ البداية حتى تحدث عملية خدمة المجتمع أو عملياتها • فلكل وجه منها أثره لاحداث التغير المنشود • ومع ذلك فاذا تعاونت هذه القوى ، جميعـا ، فان النتـائج تكون أكثر وضـوحا واستمرارا • اذا وعى الذين يعملون فى خدمة المجتمع هذه الحاجة ، مهما كان المستوى الذى يعملون فيه ، فانهم يضعون أساسا سليما للعمل الجماعى •• أقصد أنهم ييسرون السبيل الى أن يسود عملهم روح الفريق ••

والحاجة الى الاعتراف بالعنصر الانسانى أمر ضرورى كذلك • فالشخص الذى يعمل فى خدمة المجتمع يجب أن يكون واعيا بأن تأثير هذه القـــوى

(الجماهير والحكومة والمسئولين عن الخدمات) يكون ، بالضرورة ، معقدا . لأنها .. أى هذه القوى .. أساسا .. قوى بشرية . فالحكومة فى نظر المجتمع المحلى ، سواء كان هذا المجتمع قرية أو حيا من أحياء المدينة .. أقصد فى نظر أعضائه .. ليست قوة بعيدة عنهم أو غير شخصية .. انها تؤلف ، عادة ، من أشخاص معروفين . لكل واحد منهم بعض السلطان ، من أكبر موظف حكومى مسئول فى المنطقة الى أصغر عامل من عمال الخدمات . ويلاحظ أن فكرة أى شخص من أعضاء المجتمع عن الحكومة .. انهـا حكومة عادلة أو قوية أو غير مكترثة .. لاتقوم .. أقصد هذه الفكرة .. على أكثر من تعامل هذا الشخص مع بعض أعضاء الحكومة مثل جامع الضرائب أو رجل الشرطة الذى يمثل السلطة ، عادة ، ويمارسها .

والمجتمع نفسه يجب أن ينظر اليه كقوة بشرية ذات دوافع مركبة ، وان الدور الذى تؤديه هذه القوة فى برامج خـدمة المجتمع يعتمد عـلى بعض العوامل ، وهذه العوامل فى الغالب ، غير مادية . منها ، وأهمها ، سـيادة احترام الذات بين أعضائه ، وسيادة الثقة بينهم كذلك ، واحساسهم بالروابط والأهداف المشتركة ، فضلا عن اتجاهاتهم نحو مشاكلهم ونحو الغرباء الذين يمكن أن يقدموا يد المساعدة لهم .

ويحتاج العاملون فى خدمة المجتمع الى فهم أهمية العلاقات الانسانية الطيبة. وهم فى حاجة ، ايضا ، الى معرفة كيف يمكن أن يؤثر سلوكهم الشخصى فى الناس من حولهم ، وفضلا عن ذلك فهم يحتاجون ، بدرجات مختلفة ، الى فهم دوافع الناس الذين يعملون معهم وبهم وفهم سلوكهم. ويلاحظ أنذلك كله ليس أمرا سهلا ، فان ما قد يبدو فى نظر الشخص الذى يعمل فى خدمة المجتمع معارضة عنيدة غير عاقلة من جانب الجماهير يكون ، فى الغالب ، له أساس معقول من الأنماط الثقافية فى المجتمع الذى يعيشون فيه . وأن ما قد يبدو أنه ضرورى ومنطقى من وجهة نظر الغرباء عن المجتمع قد يكون مزعجا

جداً لأعضاء هذا المجتمع وبخاصة اذا تطلب تغيرات أساسية فى العقائد والتقاليد المحلية • ويجب أن يلاحظ الشخص الذى يعمل فى خدمة المجتمع أن التغييرات الى الأفضل ان قصد بها تدعيم حاجة الجماهير الى تنمية بعض الفهم لديهم •• أى تنمية ادراكهم واتجاهاتهم وبعض السمات العقلية عندهم فان العقل البشرى ليس دائما مستعدا وراغبا فى النمو • ان الوصول الى الجماهير •• الوصول الى أعماقهم هو باستمرار أحد التحديات التى تواجه قوى العامل فى خدمة المجتمع •• قوى ادراكه •• فضلا عن قوى مرونته • ولكى ينجح •• أقصد الذى يعمل فى خدمة المجتمع •• فهو فى حاجة دائما الى مزيد من الخبرة والمساعدة المهنية •

فالحاجة الى التدريب على المهارات العملية مسألة حيوية للغاية • لأن محاولة تكوين علاقات انسانية طيبة بين الشخص الذى يعمل فى خدمة المجتمع وبين أعضاء المجتمع الذى يعمل فيه ••• ما هى الا أحد عناصر مهنته • والخطوة التالية هى المساعدة على تمهيد السبيل الى التغيير المنشود •• التغيير الى الأفضل ، وذلك برفع مستويات المعيشة عند الجماهير ، وبتقوية امكانياتهم الاقتصادية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة • ونلاحظ أن المتخصص الذى يقتصر عمله على جزء صغير من حياة شخص ما يواجهه ، عادة ، هاتين المشكلتين معا • ونلاحظ ، أيضا ، أن كسب ثقة الجماهير واستثارة اهتمامهم أمران ضروريان للغاية حتى تكون عمليات التغيير الى الأفضل ذات فاعلية كبيرة عندهم ، وان تطبيق عمليات التغيير الى الأفضل ، بدوره ، خطوة رائعة نحو كسب ثقة الجماهير وتخفيف التوترات فى نفوسهم فضلا عن استثارة اهتماماتهم •

وفى هذا الضوء نجد أن عملية وصول العاملين فى خدمة المجتمع الى الجماهير •• الوصول الى أعماقهم •• تتضمن بناء جسر من الود الانسانى بينهم والتذرع بالصبر وتعليمهم بطريقة مباشرة أو عن طريق الوسائل

السمعية والبصرية .. والقيام بعمليات الايضاح ، بطريقة عملية ، لما يمكن عمله لرفع مستويات المعيشة .. مع الأخذ فى الاعتبار أن يكون العامل فى خدمة المجتمع مستعدا .. باستمرار .. للعمل معهم وبهم وفى سبيلهم ، وأن تكون وسيلته فى الاقناع عن طريق النتائج لا مجرد الكلام .

وفى هذا الضوء يكون تدريب العامل فى خدمة المجتمع تدريبا على استخدام يديه بنفس القدرة التى يستخدم بها عقله فى اداء المهام العملية بكفاءة .

ولعل هذه الحاجات الماسة التى يتطلبها العمل فى خدمة المجتمع والتدريب العلمى عليها أن تكون تحت رعاية المسئولين واهتمامهم .. مع ملاحظة أن الذين يعملون فى هذا المجال يكونون ، بالضرورة ، أشخاصا متباينين . فمنهم السياسى الثائر والقائد الادارى ، ومنهم المربون والمهنيون فضلا عن الاخصائيين الاجتماعيين ، وان أهداف خدمة المجتمع لايمكن أن يدرك تحقيقها ، بالتساوى ، كل العاملين فى مجالات خدمة المجتمع .. فاسهام كل فى تحقيق هذه الأهداف ، يختلف ، بالضرورة ، لأن أعمالهم مختلفة . فالمربى الذى يعمل فى مجالات خدمة المجتمع ، مثلا ، لديه مجال أوسع من مجال مدرس المرحلة الأولى .. والطبيب المتخصص فى أعمال الصحة الوقائية لديه من الفرص أكثر من الذى يقوم بعملية من عمليات التطعيم . والسياسى الثائر .. عضو المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى ، مثلا ، هو محرك الجماهير نحو الأهداف الايجابية للمجتمع .. ويكون دائما فى الطليعة أو يجب أن يكون كذلك .. وهو ، بالضرورة ، أوسع أفقا وأكثر دينامية ومرونة من بعض العاملين الآخرين .. ومع ذلك فانه يجب أن يلاحظ ، أيضا ، أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع يعمل باستمرار مع هؤلاء العاملين .. ومع غيرهم .. كما يعمل لهم .. فى سبيل بناء المجتمع بناء سليما .. فى ضوء قيم هذا المجتمع ومبادئه ومثله العليا .. (١) .

٢ - بعض أهداف خدمة المجتمع

على الرغم من أن العاملين فى خدمة المجتمع يكونون ، بالضرورة ، أشخاصا متباينين • فمنهم السياسى الثائر والقائد الادارى ، ومنهم المربون والمهنيون فضلا عن الاخصائيين الاجتماعيين •• وعلى الرغم من أن اسـهام كل فى تحقيق أهداف خدمة المجتمع يختلف ، بالضرورة ، لأن أعمالهم مختلفة •• فننا نرى أن هناك بعض الأهداف العامة التى تجمع كل العاملين فى خدمة المجتمع ، أو يجب أن تفعل ذلك ، على قلب رجل واحد • ومن هذه الأهداف العامة نذكر أهداف كسب ثقة الجماهير ورفع روح المجتمع المحلى والمساعدة فى العمل التعاونى وتنمية قوى الأشخاص على العمل الخلاق وتفسير حاجات المجتمع المتغيرة ومساعدة المجتمع المحلى على الاستفادة من موارده •• وأخيرا نذكر هدف مساعدة المجتمع على احداث التغير الى الأفضل • ودون أن تدخل فى تفصيلات كثيرة لكى نوضح هذه الأهداف سنحاول التبسيط غير المخل لتحقيق هذا الايضاح ••

نحن نرى ، مثلا ، أن العامل الذى يعمل فى خدمة المجتمع قد يجند ليعمل فى نفس المجتمع المحلى الذى نشأ فيه أو قد يجند من خارج هذا المجتمع • وان الأول الى حد كبير يعرف المجتمع المحلى •• يعرف قيمه كما يعرف محظوراته ومحرماته •• ومن ثم فهو أكثر حظا فى تقبل أعضاء المجتمع له من غيره • أما الثانى فهو وغيره من العاملين مثله ، فى مسيس الحاجة الى تدريب من نوع خاص على كسب ثقة الجماهير فى المجتمع • ان أهم ما يصادفه هو عملية المبادرة الى الحصول على المعلومات الأساسية عن المجتمع المحلى (قرية من قرى الريف أو حى من أحياء المدينة مثلا) دون ما اثارة الشكوك أو خلق المتاعب أو التوترات ، حتى ينجح فى تقبل أعضاء المجتمع له كشخص صالح ذى بصيرة عملية ••

ويلاحظ أنه ليس كل العاملين فى مجالات خدمة المجتمع فى حاجة الى

التعمق فى دراسة المجتمع .. ومع ذلك فانهم فى حاجة الى ثقة الجماهير وتأييدهم .. اذا كان للأهداف من خدماتهم ، وان كانت بسيطة ، أن تحقق ثمارها . ان وصول القائمين على عمليات التطعيم الى احدى القرى ، مثلا ، قد يشيع عناصر القلق فى مجتمع القرية كما قد يشيع الشائعات التى لا أساس علمى لها فى صفوف أعضائه ما لم يعمل العاملون فى خدمة المجتمع ، فى ضوء خبراتهم الثقافية التى اكتسبوها عن المجتمع على تيسير عمل القائمين على عمليات التطعيم وذلك بتمهيد السبيل لهم .. باشاعة الأمن والسكينة فى قلوب أعضاء مجتمع القرية .

ويلاحظ أن عملية كسب ثقة الجماهير ... أعضاء المجتمع .. قد تستغرق وقتا طويلا .. ربما شهورا عديدة .. ربما أكثر من ذلك . ففى ضـــوء التجارب نلاحظ ، مثلا ، أن اتجاهات أعضاء المجتمع المحلى واستجاباتهم نحو خدمة المجتمع .. أى نحو القائمين بها .. تتراوح ما بين اتجـــاهات أو استجابات غير مكترثة أو أن تكون مشوبة بالتهديد بالعنف .

وبالاضافة الى وجود ، أو ضرورة وجود ، التعاطف بين العاملين فى خدمة المجتمع وبين الجماهير ، فالحاجة ماسة الى رفع روح المجتمع .. أقصد روح الجماهير أعضاء المجتمع . وتعتبر هذه الحاجة احدى القواعد التى على أساسها يعمل العاملون فى خدمة المجتمع . فالملاحظ أن الشعور بالانتماء ، مثلا ، موجود فى الكثير من المجتمعات .. وحيث لايكون هذا الشعور موجودا ، أو يكون موجودا ولكنه ضعيف ، فان العمل على ايجاده أمر ضرورى ، أى أن التشجيع على وجود التماسك فى صفوف أعضاء المجتمع أمر ضرورى . ولايكون ذلك .. أقصد التشجيع .. الا من خلال أوجه النشاط التى تدخل فى نطاق أعمال العاملين فى خدمة المجتمع . ومن الأمثلة على ذلك .. نجد حملة القضاء على الأمية ، أو القضاء على البلهارسيا أو على ظاهرة الثأر ، أو على المخدرات أو على الجريمة بأنماطها ، وكذلك حملة تنظيم الأسرة أو حملة

تنمية الوعى بالمرور .. وغيرها . وكذلك القيام بمشروع توزيع الميـــاه النقية .. والقيام ببعض الأعمال التعاونية .. كالقيام باصلاح جسر ، أو فتح طريق ، أو بناء سور نادى اجتماعى .. .. الخ .

وفى ضوء كل ذلك يجب أن يكون العامل فى خـدمة المجتمع على وعى كبير بالقوى الاجتماعية فى المجتمع فضلا عن نتائج التغيير المعين الذى يسعى اليه .. أقصد التغير الى الأفضل .. سواء كانت هذه النتائج تحقق أهدافا متكاملة ، أو كان يصحبها بعض سمات التفكك الاجتماعى . وعلى سبيل المثال نجد أن ادخال الامكانيات الصحية ، مثلا ، فى المجتمع .. قد يؤخذ على أنه تهديد لبعض عمال النظافة .. الكناســين . تهديد لأرزاقهم كفئة من العمال الحرفيين . وقد نجد فى مجتمع آخر أن حملة القضاء على الآفات قد تقابل بالمقاومة التى ترجع عادة الى بعض المعتقدات المتعلقة بحياة الحشرة . وقد يكون لاستخدام القادة المحليين فى مجتمع القرية ، مثلا ، لأغراض ادارية أو اجتماعية .. نتائج سريعة ، فى بعض الأحيـان ، تعمل على اضعاف الدور التقليدى لهؤلاء القادة كحماة لهذا المجتمع ..

وعندما يبدأ المجتمع المحلى .. أقصد أعضاءه .. أن يروا أنفسهم كوحدة، فانهم يشعرون ، حتما ، بالدوافع نحو عمل شىء ما لمواجهة مشاكلهم أو لمواجهة الأمور التى تشغل بالهم . ولكن المشكلة هنا هى كيف يبدأون هذه المواجهة ؟

فالملاحظ أن العمل الذى يقوم به عدد كبير من الأشخاص يتطلب عادة تنظيما سليما ، كما يثير ، عادة ، الكثير من الأسئلة والاستفسارات . ولكن المهم فى الموضوع هو كيف يمكن التغلب على مشاكل عدم الثقة بالنفس والحزازات الشخصية والضغائن وألوان الريبة والشك فى نفوس أعضاء المجتمع .. ان وجدت .. والتى كثيرا ما تعوق محاولاتهم للعمل معا ؟ وفضلا عن ذلك .. اذا احتاج الأمر الى تكوين لجنة من اللجان فكيف يمكن تكوينها ؟ وما هى

أحسن طريقة فى تقسيم مسئوليات القيام بأحد المشروعات معا .. تكاليفه وأرباحه ؟ ان هذه المشاكل ، على صغرها ، يمكن أن تقف فى سبيل القيام بمشروع بأكمله ، بل يمكن أن تخلق التوترات الجديدة بدلا من خلق التعاون السليم .

ولعل الهدف النهائى لعمليات خدمة المجتمع هو تكوين الشخص ونموه على أساس سليم . لأن المجتمع السليم هو الذى يصنع المواطنين الصالحين ، كما يعرف القارىء ، وليس العكس . والمقصود بتكوين الشخص ونموه على أساس سليم هو تنميته ، وتعنى التنمية مساعدة النفس ، أى أن الشخص يساعد نفسه بنفسه . ولا يعنى ذلك ، مطلقا ، تأكيد فرديته . نحن لا نهدف الى اشاعة الفردية فى محيط أعضاء مجتمعنا . ولكن الروح الجماعية هى التى يجب أن تسود . وعليه فاننا يجب ألا نغفل ، بالاضافة الى مساعدة النفس ، أن يكون الشخص .. أى شخص .. قادرا على المساعدة المشتركة أيضا . فهو .. أى الشخص .. اذ يساعد نفسه بنفسه ويكون فى الوقت ذاته قادرا على المساعدة المشتركة ، يكون فى الواقع قادرا على العمل الخلاق .

ويلاحظ أن تنمية قوى أعضاء المجتمع الظاهرة وقواهم الكامنة تعنى ، بالدرجة الأولى ، تيسير السبيل لهم لكى يطبقوا استخدام عقولهم فى مواجهة المشاكل أو الأمور التى تشغل بالهم ، وذلك بالتعبير عن آرائهم فى ثقة .. فضلا عن سهولة اتصالهم بالأعضاء الآخرين والجماعات الأخرى فى المجتمع الذى يعيشون فيه وبصورة أكثر فاعلية . ويلاحظ أن قدرة تعبير أعضاء المجتمع عن الآراء الشخصية ، فى وضوح وثقة ، وبخاصة فيما يتعلق بالحاجات التى يشعرون بضرورة مواجهتها ، مثلا ، من الأمور التى يجب أن يهتم بها العامل فى خدمة المجتمع . ولكن الموضوع الهام هو كيف نتأكد أنها حاجات أساسية ؟ فالملاحظ أن الحاجات التى يثير بها أعضاء المجتمع انتباه العامل فى خدمة المجتمع ، عادة ، هى حاجات ليست ، بالضرورة ، أهم الحاجات . ولعل

الخشية من السلطة أو الرغبة فى الارضاء أو الرغبة فى التفاخر أو ربما عدم الاكتراث ببرامج خدمة المجتمع - كل ذلك من العوامل التى تفسر هـذا السـلوك من جانب أعضاء المجتمـع •• أقصد طلبهم الحاجات التى غالبـا لا يشعرون ، بحق ، بضرورتها ، أو عدم طلبهم الحاجات التى يشعرون ، بحق ، بضرورتها ، ولعل الشخص •• عضو المجتمع •• أو الأشخاص •• أعضاء المجتمع •• يفضلون عدم المجاهرة بآرائهم الشخصية احتراما للسلطة أو لعدم الثقة فى العامل فى خدمة المجتمع أو ربما للشعور بعدم الثقة فى قيمة آرائهم الشخصية • ومن الأشخاص من يشعرون بالأمن عن طريق الموافقة السلبية لما يعرض من آراء جماهيرية أكثر من الجهر بآرائهم الخاصة فيما يتعلق بترتيب أولويات المشاكل أو الأمور التى تشغل بال أعضاء المجتمـع فى بيئاتهم •

ونجد أن بعد المجتمع المحلى عن الكثير من الأجهزة الحكومية والجامعات والمنظمات المهنية •• يجعل من المهم الاستمرار فى تفسير الحاجات المحلية والموارد المحلية فضلا عن عمليات التغير الاجتماعى المحلى • ان الاستمرار فى هـذا التفسير أمر ضرورى • لأن العاملين فى المجتمـع المحلى وبخاصـة الغرباء منهم فى مسيس الحاجة الى التخطيط الزمنى لاسـهامهم فى عمليات خدمة المجتمع ، فضلا عن التخطيط لطبيعة هذا الاسهام • ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا فى ضوء هذا التفسير المستمر • وتتطلب وظيفة هـذا التفسير ، مع أشياء أخرى ، التدريب على حفظ السجلات الموضوعية والمهارة فى اختيار خبرات التغير الجارى فى المجتمع المحلى وفى تحليل هذه الخبرات •

ونجد ، كذلك ، فى بعض الأحيان ، أنه من الصـعوبة بمكان الاعتراف بالموارد البشرية الهائلة فى مجتمع ما ويرجع ذلك الى وجود بعض المحظورات أو المحرمات المحلية ، كما يرجع الى عدم الثقة أو التعصب • ومن الأمثلة على ذلك ما نجده فى بعض مجتمعاتنا المحلية ، وفى محيط بعض الجماعات

الثقافية فى مجتمعنا وبخاصة النظرة نحو النساء . ومن الأمثلة ، أيضا ، مقاومة أعضاء المجتمع المحلى للمهاجرين الى مجتمعهم .. أقصد مقاومة الحياة معهم وتمثل أساليبها . وقد يفشل المجتمع المحلى كذلك.. أقصد أعضاءه فى الاعتراف بامكانيات العمل لدى الأعضاء الذين على مستوى غير كاف من المهارة لانتاج نفس البضائع التى يستوردها المجتمع المحلى ، لأنهم اعتادوا على مستوى معين من هذه البضائع !

ويلاحظ أن التغيير المادى الى الأفضل فى المجتمع المحلى جانب هام من جوانب عمليات خدمة المجتمع ، على شرط وجود مستوى كاف من المسئولية نحو هذا التغيير يسلم به أعضاء المجتمع . ولهذا السبب نرى أن العامل فى خدمة المجتمع لكى يأمل فى الحصول على مشاركة أعضاء المجتمع فى تطبيق الأساليب الجديدة ، يجب عليه أن يكون واعيا بأنه قد يكون لأعضاء المجتمع أنفسهم المعايير التى يستخدمونها فى الحكم على ما هو « التغير » وما هو « الأفضل » . ويلاحظ أنه على الرغم من أن عمليات خدمة المجتمع ، فى ضوء اهتماماتها ، لا تتحدد ، بالضرورة ، فى ضوء هذه المعايير ، فانه من الضرورى أن يكون العامل فى خدمة المجتمع واعيا فى ود بالعوامل التى تكون وراء استجابات أعضاء المجتمع الذى يعمل فيه أو عدم استجاباتهم نحو التغيير الى الأفضل ، كما تكون لديه الخبرة الكافية ليعرف الى أى مدى يستطيع أن يقودهم بعيدا عن الأساليب التى اعتادوها .. أقصد أساليب تفكيرهم .. فضلا عن مدى تقديرهم للقيم الجديدة الأخرى .. (٢)

٣ - بعض الخطوات العملية فى خدمة المجتمع

تهدف خدمة المجتمع ، كما سبق أن أوضحنا ، الى تحقيق بعض الاهتمامات والأهداف •• فى ضوء توافر بعض الحاجات ، وعلى هدى بعض المبادىء •• هى ، فى الواقع ، مبادىء مجتمعنا الاشتراكى •• أى أنها تهدف الى تغيير هذا المجتمع الى الأفضل ••

ويلاحظ أن العامل فى خدمة المجتمع ، فى مجتمعنا ، يواجه ثورة اجتماعية بناءة •• أقصد يواجه نتائج هذه الثورة الاجتماعية البناءة •• انه يواجه نتائج ظاهرة التغير الاجتماعى السريع •• أى ظاهرة التفكك الاجتماعى وما يصاحبها من مشكلات اجتماعية •• وظاهرة التخلف الثقافى وما تحمل فى طياتها من رواسب اجتماعية معوقة •• تكون ، عادة ، فى صراع مخيف مع كل ما هو جديد • ان العامل فى خدمة المجتمع سواء كان سياسيا أو قائدا اداريا أو مربيا أو مهنيا أو اخصائيا اجتماعيا هو قائد اجتماعى ثورى •• أو لابد أن يكون كذلك ، يعمل اذ يعمل •• وهو يتعاون مع غيره من المتخصصين الآخرين ، بالضرورة ، فى ضوء المنهج العلمى الذى ييسر التخطيط الاجتماعى السليم •• أى هو يعمل فى ضوء خطة مقصودة ، ليس فقط من أجل ايجاد التوازن بين الحاجات الاجتماعية والموارد المتاحة فى منطقة جغرافية أو أى ميدان وظيفى •• بل بقصد البناء المستمر •• بناء المجتمع المستمر •• بناء المجتمع المستمر •• وبناء شخصيات المجتمع • لينمو نموا مستمرا كذلك ••

أى أن الذى يتصدى لخدمة المجتمع ، فى بلادنا ، يهتم أول ما يهتم ، بعمليات التنمية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية فى المجتمع •• كما يهتم بعمليات الوقاية الاجتماعية •• وعمليات العلاج الاجتماعى •• وهو يعمل في المدينة وفي القرية وفي المجتمع الصحراوى علي السواء • انه مع غيره

من المتخصصين ، فى ضوء واجباته الثورية ، يستطيع أن يعمل الكثير فى مجتمع القرية ، وفى المجتمعات المحلية فى المدينة ، وفى مجتمع البداوة .. وفى المجتمع المصرى ككل .. فى محيط أعضاء هذه المجتمعات .. المحلية فى المدينة ، وفى مجتمع البداوة .. وفى المجتمع المصرى ككل .. فى محيط أعضاء هذه المجتمعات .. يعمل معهم وبهم .. وفى سبيلهم .. فى ضوء خطة عمل تنبع من واقعنا على هدى مبادئنا الاشتراكية .. أى فى ضوء برامج انشائية ووقائية وعلاجية يشترك فيها .. أى العامل فى خدمة المجتمع .. على هدى مخطط يتفق مع حاجات مجتمعنا الاشتراكى .

والخطوات العملية فى خدمة المجتمع تهدف فى الواقع الى تحقيق هذه الاهتمامات فى ضوء العلم بقصد التغيير الى الأفضل . ونذكر فيما يلى أحد الأمثلة الذى يتضمن أهم هذه الخطوات . وقد اختير هذا المثال فى ضوء تجارب الكاتب فى مجتمعنا ، وبخاصة فى مجتمع القرية .. وهى تجارب واقعية . أى فى ضوء ملاحظاته عن الواقع الحى . وهى ، أيضا ، تجارب نظرية .. أى فى ضوء قراءاته عن هذا الموضوع .

ومن ثم نرى أن العامل فى خدمة المجتمع وهو على أهبة العمل فى أحد المجتمعات المحلية .. كمجتمع القرية .. مثلا .. يجب أن يسير على هدى الخطوات التالية . ويلاحظ ان ما ينطبق على مجتمع القرية .. يمكن أن ينطبق على غيره من المجتمعات المحلية مع الأخذ فى الاعتبار أن لكل مجتمع محلى ظروفه وأوضاعه الخاصة به . ونجعل هذه الخطوات ، ونحن نوجه الخطاب الى العامل فى خدمة المجتمع فيما يلى :

١ - حاول أولا .. وقبل كل شيء .. أن تعرف قريتك وأعضاء مجتمعها .. الفلاحين . فالكثير منا .. أقصد العاملين فى خدمة المجتمع .. قد ولدوا فى قرية أو نشئوا فيها .. والبعض ليس كذلك . وفى كلتا

الحالتين فانه من المهم .. بل من الضرورى .. أن تعرف القــرية جيدا .. وأن تدرس عادات الفلاحين وتقاليدهم ، وان تلاحظ عناصر الكبرياء والتفاخر فى اتجاهاتهم فضلا عن عناصر التعصب فى آرائهم . كما يجب أن تتعرف على قادة القرية الحقيقين ، وان تدرس الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى القرية .. دراسات علمية . ذلك لأننا اذا لم نحط علما ، بطريقة موضوعية ، بأحوال القرية التى نعمل فيها .. وبأحوال الفلاحين أعضاء مجتمعها ، فانه لن نتمكن من فهم مشكلاتهم أو أن نكسب ثقتهم التى تعد غاية فى الأهمية للعمل معهم .. وبهم .. ولهم ..

٢ - حاول أن تعقد جلسات للمناقشات المنظمة التى تتناول بين موضوعاتها حاجات الفلاحين العامة . واحذر من مجرد الثرثرة أو الجأر بالشكوى اللذين نجدهما ، عادة ، فى مناقشات الفلاحين عنـدما يجتمعون فى جماعات صغيرة . لأن عمل العامل فى خدمة المجتمع المثمر هو بالدرجة الأولى تشجيع المناقشات المنظمة لأى موضوع يكون موضوعها ، بحيث يصل المتناقشون الى نتائج محددة تقود الى العمل الجماعى المثمر .

٣ - ومن خـلال هـذه المناقشات .. ومن خـلال ملاحظاتك الخاصة .. حاول أن تسجل كل المشاكل الحقيقية التى يواجهها مجتمع القرية .. أقصد المشاكل التى يشعر بها أعضاء هذا المجتمع ، والمشـاكل التى لايشعرون بها على السواء . وحاول أن ترتبها حسب أهميتها من وجهة نظر أعضاء المجتمع ، ثم من وجهة نظرك بطريقة موضوعية .

٤ - شارك بروح صادقة متعاونة فى كل الأعمال والعمليات التى يقوم بها الفلاحون . وقد تتضمن هـذه الأعمال والعمليـات أعمالا وعمليـات ليست بالضرورة من صميم تخصصك . مثل أعمال الحرث والزراعة ،

وعمليات اقامة المصارف وتطهيرها ، وبناء المســاكن ، وحتى تنظيف حظائر الماشية . فان هذا ييسر لك اكتساب خبرة مباشرة بهذه الأعمال والعمليات فضلا عن كسب ثقة الفــلاحين .. مما يجعلك فى مركز ييسر لك أن تقترح وأن تسيطر على عمليات التغيير الى الأفضل .

٥ - اجمع المعلومات الموضــوعية باستمرار ، كلما آستطعت الى ذلك سبيلا ، بطريق غير مباشر وموثوق به .. عن قادة القرية .. من مؤهلاتهم .. وعن ميولهم ، وعن مدى اهتماماتهم برفع مكانة مجتمع القرية ورفع مستواه وانعاشه .. وعن أعمالهم .. .. الخ .

٦ - كن ملما دائما بالخط السياسى الـذى تسير عليه الدولـة .. الخط السياسى الداخلى والخارجى على السواء .. حتى تصبح مصدر الاشعاع السياسى الثورى فى مجتمع القرية ، متعاونا ، فى ذلك باستمرار مع القادة السياسيين الثوريين الآخرين . وحاول باســتمرار أن تفسر للفلاحين .. أعضاء المجتمع .. أهداف برامج الخدمات المحلية والقومية فى ضوء الأهداف السياسية للمجتمع الاشتراكى الذى نبنيه .

٧ - احتفظ دائما بسجل كامل لأعمالك فى مجتمع القرية يوما بيوم . وآخر لمذكراتك عن المظاهر المختلفة لحياة القرية .. يكون مرجعــا لك ولغيرك من المتخصصين حتى تستطيع فى ضوء تقييمها أن تسير قدما نحو تحقيق الأهــداف المرجوة .. أهــداف تغيير المجتمع الى الأفضل (٣) .

٤ - دور القائد الاجتماعي : مثال واحد

ان عملية بناء مجتمعنا الاشتراكي الجديد عملية جذرية وشاملة •• أى أن زواياها عديدة •• تتضمن البناء الاجتماعى ، والبناء الاقتصادى ، والبناء السياسى •• والبناء الايديولوجى أو الثقافى غير المادى •• جميعا ، وتعنى هذه العملية مواجهة الكثير من التحديات • فانا كمواطن أعتقد أن عمليات الانتاج ، ورفع مستوى المعيشة ، وارساء التنظيم السياسى الثائر ، وغرس المبادىء الديمقراطية التى اخترناها •• والمبادىء الاشتراكية التى أخذنا بها ، ومواجهة الاستعمار وأذنابه فى الداخل وفى الخارج ، وتطبيق قواعد العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص •• كلها عمليات تتضمن ألوانا شتى من التحدى لأعضاء مجتمعنا جميعا • خصوصا العاملون منهم •• أقصد المواطنين الصالحين القادرين منهم على تحمل الأعباء ومواجهتها مهما كان الدور الاجتماعى أو الأدوار الاجتماعية التى يقومون بها •

وكل هذه بعض التحديات •• ولكنها من أهم التحديات ••

وانا كاخصائى اجتماعى أعتقد أن كل هذه التحديات السابقة تهدف الى خير الناس جميعا •• أعضاء مجتمعنا الجديد ، والأجيال التى تأتى من بعد ذلك ، وان الخدمة الاجتماعية كمهنة تستطيع ، بحق ، أن تدلى بدلوها فى هذا السبيل • فمبادؤها وطرقها المهنية ومجالاتها وحتى الميادين التى تعمل فيها •• كلها تهدف الى خير الناس جميعا •• أعضاء مجتمعنا الجديد •• والأجيال التى تأتى من بعد ذلك •• أى أن الخدمة الاجتماعية ترى أن الهدف من بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد هو تحقيق الكفاية والعدل •• أى تحقيق مجتمع الرفاهية الاجتماعية بأجلى معانيها •

واهتمامات مهنة الخدمة الاجتماعية بخدمة المجتمع اهتمامات أصيلة •• فهى

ترى الانسان يعيش دائما فى مجتمعات •• أى أن المجتمعات كلها مجتمعات انسانية •• وان الانسان الذى لا يعيش فى مجتمع انسانى لا يمكن أن يكون انسانا •

وهى ترى أن المجتمعات الانسانية مجتمعات شتى •• وهى ، أيضا ، عديدة ، يعرف ذلك الكاتب •• كما يعرف ذلك القارىء •• فهى صغيرة •• وهى كبيرة •• وهى مجتمعات بدائيــــة •• وهى مجتمعات تعيش فى مســـتوى حضارى معين •• وهى مجتمعات قوية •• وهى كذلك مجتمعات محلية • ومن المجتمعات الانسانية ما يعيش أعضاؤها فى تخلف •• ومنها ما يعيش أعضاؤها فى ثورة اجتماعية عارمة •• مثل المجتمع الاشـــتراكى المصرى المعاصر ••

فالاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خـــدمة المجتمع •• يعيش بالضرورة فى هذا المجتمع ، وهو يعمل له •• ويفعل ذلك ، بالضرورة أيضا ، فى ظل مناخه الاجتماعى الثقافى •• أى فى ظل عقائده وقيمه الاجتماعية ومثله العليا • والمناخ الاجتماعى الثقافى لمجتمــع معين يختلف عن المناخ الاجتماعى الثقافى لمجتمع آخر •• أى أن المناخ الاجتماعى الثقافى للمجتمع الذى نبنيه •• المجتمع الاشتراكى ، يختلف أو يجب أن يختلف عن المناخ الاجتماعى الثقافى لمجتمع كالمجتمع الامريكى أو كالمجتمع الانجليزى •• أو كالمجتمع الفرنسى • ان المجتمعات الأخيرة مجتمعات رأسماليــة •• ان الاختلاف بين عقـــائد مجتمعنا الاشتراكى وقيمه الاجتماعية ومثله العليا •• وبين هذه فى المجتمعات الرأسمالية أمر حتمى •

والاخصــــائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خـــدمة المجتمع •• فى مجتمعنا •• هو قائد اجتماعى بل يجب أن يكون قائدا اجتماعيا ثوريا •• يعمل اذ يعمل وهو يتعاون مع غيره من المتخصصين الآخرين •• القادة الاجتماعيين

الثوريين الآخرين .. فى سبيل مواجهة نتائج ثورتنا الاجتماعية التى تحاول أن تبنى المجتمع الجديد .. مجتمعنا الاشتراكى . وهو .. أى الاخصائى الاجتماعى اذ يعمل فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر يكون بالضرورة قائدا جماهيريا .. يقود الجماهير .. أو يسهم مع غيره فى هذه القيادة كيما تتحقق أهداف مجتمعنا الجديد . انه يرى . أو لابد أن يرى أن المجتمع الصحيح .. المجتمع الصالح .. يخلق المواطنين الأصحاء .. المواطنين الصالحين .. الذين يسعدون بالكفاح العقل المنتج .. فى سبيل تحقيق أهداف مجتمعنا الجديد .. مجتمع الكفاية .. مجتمع العدل .

انه يعمل .. اذ يعمل .. فى ضوء المنهج العلمى .. الذى ييسر التخطيط الاجتماعى السليم ، أى هو يعمل فى ضوء خطة مقصودة ، ليس فقط من أجل ايجاد التوازن بين الاحتياجات الاجتماعية والموارد المتاحة فى منطقة جغرافية أو أى ميدان وظيفى .. بل بقصد البناء المستمر .. بناء المجتمع المستمر .. وبناء شخصيات المجتمع .. لينموا نموا مستمرا كذلك .

أى أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع فى بلادنا يهتم أول ما يهتم بعمليات التنمية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية فى المجتمع .. كما يهتم بعمليات الوقاية الاجتماعية .. وعمليات العلاج الاجتماعى ، وهو يعمل فى المدينة .. وفى القرية .. وفى المجتمع الصحراوى على السواء . فنجد ، مثلا ، مشاكل الفلاحين فى بلادنا تنتظر الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع .. انه مع غيره من المتخصصين فى ضوء مهنته الانسانية العلمية .. يستطيع أن يعمل الكثير . ان مشاكل المدينة فى مسيس الحاجة الى طريقة خدمة المجتمع كذلك .. وبخاصة فى مناطقها المتخلفة أو فى مناطق الجناح . ان حملة تنظيم الأسرة تنتظر قادتها الثوريين ومنهم ، بالضرورة ، الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع . وتنتظر هؤلاء ، أيضا ، حملات القضاء على الأمية وعلى

المخدرات وعلى ظاهرة الثأر ومكافحة الجريمة والقضاء على البلهارسيا .. وتنمية الوعى بالمرور وغيرها .. وغيرها . ان التكوين السياسى الواعى .. أقصد تكوين المواطنين المصريين ، فى هذه الآونة ، ينتظر كذلك ، جهـود الاخصائيين الاجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع ، انهم يستطيعون ، ما فى ذلك من شك ، مع غيرهم من القادة الاجتماعيين الثوريين .. فى ضوء تخطيط علمى .. ان يبذلوا الجهود المنتجة فى هذا المجال . (٤)

« المراجع والتعليقات »

١ ـ سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ١٦٢ ـ ١٦٥

(أنظر أيضا :

United nations : Study kil on Training for Community Development, (new york. 1957. pp. 1-17)

٢ ـ الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا المعاصر : صـــفحات ١٦٥ ـ ١٧٧ •

٣ ـ المرجع السابق : صفحات ١٧٩ ـ ١٨٣ •

٤ ـ المرجع السابق : صفحات ١٤٦ ـ ١٥٣ وصفحتا ١٨٩ ـ ١٩٠ •

ـ أرجو أن يعترف القارىء ، مثل الكاتب ، بمدى أهمية دور الاخصائى الاجتماعى فى خدمة المجتمع •• فالأمثلة على هذه الأهمية كثيرة •• فى القرى •• وفى مجتمع البداوة •• وفى احياء المدينة على السواء • واذا كان الكاتب قد تحدث عن دور الاخصائيين الاجتماعيين ، كقادة اجتماعيين ، فى مجتمعنا المعاصر •• فانه يدعو ، ملحا ومخلصا ، المتخصصين فى الحقل الاجتماعى والتربوى ، فضلا عن قادة الرأى والفكر فى البلاد •• الى التحدث عن الفئات القيادية الأخرى •• حتى نعرف ما لهم وما عليهم •• ونأخذ بيدهم ونيسر لهم طريقهم •• ونعترف بهم •

ان الثورة الاجتماعية التى نحياها ثورة عارمة ، وهى فى الوقت نفسه تجربة انسانية عظيمة ، وفى ميدان تحقيق أهدافها الانسانية

متسع للجميع .. أقصد متسعا للقادرين الملتزمين منهم .. ان خلق هؤلاء هو التحدى الأكبر الذى يواجه مجتمعنا المتغير حتى يتغير ، اجتماعيا ، وثقافيا ، الى الأفضل .. فى ضوء القيم الاشتراكية والمبادىء الاشتراكية والمثل العليا الاشتراكية ، مع الأخذ فى الاعتبار اننا اذا كنا نبنى للمستقبل .. فان هذا البناء يجب أن يكون على الحقيقة . ، والمقصود بالحقيقة ، هنا ، أن نتعرف على ما هو كائن .. لنغيره ، فى ضوء العلم ، الى ما يجب أن يكون ..

والرجاء كل الرجاء أن تتضافر الجهود كل الجهود لوضع دعائم النظام الاجتماعى الذى يكفل مواجهة جميع التحديات التى تواجه مجتمعنا المعاصر .. ومنها خلق القادة الاجتماعيين .. القادرين .. الملتزمين ، ومنها أيضا ، الفهم الموضوعى لعناصر تراثنا الاجتماعى الثقافى ، ومنها ، كذلك ، ربط عناصر هذا التراث بعناصر التراث الانسانى الذى يهدف الى تحرير الانسان من صور الاستغلال .. كما يهدف الى تحقيق السلام القائم على العدل ..

خاتمة

أرجو أن يكون القارىء قد لاحظ أن الدراسات التى يتضمنها الكتاب الحالى : « حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة » هى دراسات موضوعية • أى أنها دراسات قد اتخذت المنهج العلمى منهجا لها • وأرجو أن يكون القارىء قد لاحظ ، أيضا ، نقطة ارتكاز هذه الدراسات •• وهى نقطة ارتكاز محدودة تتضمن بعض الحقائق الثقافية فى المجتمع المصرى المعاصر • وأرجو أن يكون القارىء قد لاحظ ، كذلك ، الهدف من الكتاب الحالى • ان هذا الهدف محدود كذلك • ولا يمكن أن يكون التعرف على الطابع القومى لمجتمعنا المعاصر • انه •• أى هذا الهدف •• مجرد احاطة القارىء ببعض سمات هذا المجتمع ، وببعض قيمه الاجتماعية السائدة ، وببعض مشاعر أعضائه الجماعية ، وببعض أنماط التفكير فى محيط هؤلاء الأعضاء ، فضلا عن محاولة نحو التغيير الاجتماعى الثقافى الى الأفضل فى هذا المجتمع • وذلك كله فى ضوء دراسات نظرية عن مفاهيم الحقيقة والحق ، والمعرفة والعلم ، والعصرى والمعاصر •• وفى ضوء دراسات أخرى نظرية عن الثقافة : مفهومهـا ونظريات التغير الاجتماعى الثقـافى وعوامل التغير الثقـافى وبعض العوامل الثقافية المعوقة للتغيير •• التغيير الى الأفضل •

ان الطابع القومى لمجتمع من المجتمعات هو محاولة عزل الدوافع المشتركة لأعضاء هذا المجتمع الذين يشتركون فى نفس العادات أو فى نفس الثقافة ووصف هذه الدوافع • والكاتب لم يتعمد أن يقوم بهذه المحاولة • ان ما قام به هو أنه اختار ، تعسفيا ، بعض الدراسات العلمية عن بعض الحقـــائق الثقافية فى المجتمع المصرى المعاصر ، وحاول أن يقدمها للقارىء المصرى فى هذه الحقبة من عمر مجتمعه • وذلك بقصد ابراز بعض الملامح الثقافية لهذا المجتمع فى ضوء نتائج هذه الدراسات • والملاحظ أن هذه الدراسات قـد أجريت ، فعلا ، فى محيط التراث الثقافى لمجتمعنا المعاصر •• بعضها واقعى •• وبعضها مستمد من مصادر التراث الثقافى النظرى •• ومعظمها دراسات أولية قد أجريت لأول مرة • والملاحظ ، أيضا ، أن بعض هذه الدراسات فى مسيس

الحاجة الى استكمال دراسته فى الواقع الحى فى مجتمعنا المعاصر فى محيط مجالاته الزمنية والمكانية والبشرية • ومن الناحية الأخرى نجد أن بعضها قد عرض على المستوى النظرى فحسب ، ومن ثم فان هذا البعض فى مسيس الحاجة الى الدراسة الواقعية الأكثر عمقا وشمولا ، وهو يعتبر ، فى الواقع ، رؤوسا لموضوعات قد تجتذب اهتمام بعض الباحثين العلميين المصريين على اختلاف تخصصاتهم •

واذا كانت الدراسات الحالية لاتتعمد التعرف الموضوعى على الطابع القومى لمجتمعنا المعاصر •• فان بعض عناصر هذا الطابع قد تبدو واضحة فيها • ومع ذلك فالدراسات الحالية قد تعمدت ، فعلا وحقا ، وبكل تواضع ، ابراز بعض الأمور •• منها •• بل أهمها •• أن العناصر الثقافية فى تراثنا الثقافى المصرى المعاصر ، موضوع الكتاب الحالى •• وبخاصة غير المادية منها •• منها ما هو ايجابى رائع يستحق التثبيت والتأكيد •• ومنها ما هو سلبى يستحق أن يواجه وأن يوجه وان يغير الى الأفضل ••

اننا فى ضوء ظاهرة التغير الاجتماعى السريع التى نعيشها نلاحظ أن ضرورة مواجهة نتائجها تستحق الجهود كل الجهود •• جهود السياسيين فى مجتمعنا ، وجهود المثقفين الثوريين ، وجهود الاخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من القادة الاجتماعيين • ان المسألة ليست هى مسألة ملكية الدولة لأدوات الانتاج ، أو هى التغيير المادى الذى يحدث فى المجتمع فحسب •• بل هى ، فضلا عن ذلك ، مواجهة الآثار الاجتماعية المترتبة على هذه الملكية وعلى هذا التغيير • وهى ، كذلك ، مواجهة العناصر الثقافية غير المادية القديمة التى لاتزال تعيش مع أعضاء مجتمعنا وبهم فى صراعها مع العناصر الثقافية غير المادية الجديدة ••

ولا جدال فى أن التغيير المادى فى مجتمعنا أمر ضرورى •• ولكن الملاحظ أن هذا التغيير لن يتم على الوجه الأكمل الا اذا يسرنا التغيير الثقـــافى الى

الأفضل الذى يقابله ، أو الذى يجب أن يقابله ، ويتوام معه . ولن يحدث هذا الا اذا عرفنا ما هو كائن . ولن نعرف ما هو كائن الا فى ضوء العلم . أى أن تكون معرفتنا بما هو كائن معرفة موضوعية حقيقية .. فالحقيقة خير أساس لبناء مستقبل الأشخاص .. وهى خير أساس لبناء مستقبل المجتمعات على السواء .

والكتاب الحالى ، كما يعلم القارىء ، هو محاولة متواضعة .. ولكنها جادة .. للتعرف الموضوعى على ما هو كائن فى محيط بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، وذلك بقصد الاهتمام بهذه الحقائق كخطوة أولى .. كيما نيسر البناء على الحقيقة ..

والملاحظ ان عملية بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد عملية جذرية وشاملة.. أى أن زواياها عديدة .. تتضمن البناء الاجتماعى ، والبناء الاقتصادى .. والبناء السياسى .. والبناء الايديولوجى أو الثقافى غير المادى .. جميعا . وتعنى هذه العملية ، كما سبق أن أوضحنا ، مواجهة الكثير من التحديات . وليست هذه التحديات هى ، فحسب ، تحديات عمليات الانتاج ، ورفع مستوى المعيشة ، وارساء التنظيم السياسى الثائر ، وغرس المبادىء الاشتراكية والديمقراطية بأنماطها العديدة ، ومواجهة الاستعمار وأذنابه فى الداخل وفى الخارج .. وتطبيق قواعد العدالة وتكافؤ الفرص .. بل هى ، أيضا ، خلق المناخ الاجتماعى الثقافى الايجابى الذى ، فى ظله ، يمكن أن تواجه كل هذه التحديات .. أى أن الثورة الثقافية التى تهدف أول ماتهدف ، أو يجب أن تهدف أول ما تهدف ، الى تطهير المتناقضات الثقافية فى مجتمعنا المعاصر .. والى التخفيف من حدة ألوان الصراع الناشىء عنها .. يجب .. أى الثورة الثقافية .. أن تعمل ، توا ، عن طريق قادتها القادرين المخلصين ، فى ضوء العلم ، عملها الضرورى الفعال . ان تطهير المتناقضات الثقافية .. والتخفيف من حدة ألوان الصراع الناشىء عنها .. ييسران ، بالضرورة ، وضوح

الرؤية عند أعضاء مجتمعنا المصرى المعاصر • ان وضوح الرؤية فى محيط أبناء الشعب المصرى المعاصر ، فى ضوء المهام الملقاة على عاتقهم فى الفترة الحالية من عمر مجتمعنا •• يعنى تيسير بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الأفضل فى نفوسهم ، فهو يعنى الادراك والفهم ، أى هو يعنى تيسير الاستيعاب لكل ما يعمل فى المجتمع •• ولكل ما يقال فيه •• ولكل ما يصنع فيه •• وتمثل كل ذلك ، كما يعنى الثقة المتبادلة بالقادرين المخلصين من أبنائه وبناته الـذين يعملون فيه والذين يقولون والذين يصنعون • وهو يعنى ، كذلك ، ادراك توقيت كل ما يعمل وكل ما يقال وكل ما يصنع •• وادراك ظروف هـــذا التوقيت • ووضوح الرؤية فى محيط أبناء الشعب المصرى المعاصر ، فى ضوء المهام الملقاة على عاتقهم فى الفترة الحالية من عمر مجتمعنا •• لايعنى الادراك والفهم والاستيعاب والتمثل والثقة المتبادلة بالقادرين المخلصين من أبنـــائه وبناته الذين يعملون فيه والذين يقولون والذين يصنعون فحسب •• بل هو ييسر غرس الحاجة الى كل ذلك •• حاجة أعضاء الشعب المصرى المعاصر الملحة الى كل ذلك • ان غرس الحاجة الملحة الى كل ذلك •• فى نفوس أبناء الشعب المصرى المعاصر •• يعنى ، فى الواقــع ، تيسير الظروف المواتية لتفجير طاقاتهم الانسانية الكامنة •• لتعمل ، كلها ، فى سبيل توفير الامكانيات ، المادية والمعنوية جميعا ، التى تيسر تحقيق الأهداف •• كل الأهداف • نحن فى مسيس الحاجة ، فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر ، الى العمل البناء القادر الواعى •• ان هذا العمل هو شرط وجودنا الانسانى ، والتحـــديات التى نواجهها ، كلها ، نستطيع ، بالعمل البناء القادر الواعى ، وحده ، أن نواجهها وأن نوجهها فى سبيل الخير الذى نأمله • ان الصحراء ، مثلا ، لن تخضر دون ما عمل بناء قادر واع •• يتفجر ، بالضرورة ، فى ضوء وضوح الرؤية عند أعضاء مجتمعنا •• هذا الوضوح الذى ييسر خلق الحاجة عندهم نحو التغيير الى الأفضل • والصحراء ، مهما رددنا ، لن تخضر ، وحدها ، أو لمجرد اننا نفوت عليها • ان نيل المطالب لايمكن أن يكون بالتمني •• والمطـالب هي

مطالب الجميع •• والمجتمع هو مجتمع الجميع •• والعمل البناء القـــادر الواعى ، الذى يحقق هذه المطالب ، والذى يعيد بناء هذا المجتمع الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم يجب أن يصدر عن الجميع • اننا فى ضوء ظروفنا الحالية •• وعلى الرغم من المعوقات •• نشيد للمستقبل ونعمر للانسان ونبنى للحرية •• اننـا ، بفضـل ذلك ، نمثل ارادة الحيـاة الفاضـلة فى المجتمع الانسانى •• صنعناها من قبل •• ونصنعها اليوم •• وسنستمر صناعا لها على الدوام ••

المـــراجع

اولا : المراجع العربية :

١ - القرآن الكريم .
٢ - الكتاب المقدس .
٣ - آمال محمود ابراهيم عطية : دراسة علمية الاتجاهات قراء بختك اليوم فى الصحف اليومية ، اشراف سيد عويس ، دراســـة غير منشورة ، ١٩٦٥ .
٤ - ابراهيم المنوفى : دار الحضـــانة فى المجتمع الريفى ، مجلة الأسرة والطفولة ، القاهرة ، مايو ١٩٦٧ .
٥ - ابو العباس أحمد بن على البونى : منبع أصول الحكمة ، القـــاهرة ، مكتبة القاهرة .
٦ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، القاهرة ، مكتبـــة الآداب ومطبعتها .
٧ - أحمد الشرقاوى : الدعوات المستجابة ، القاهرة ، مطبعة الشرق .
٨ - أحمد بهاء الدين : اسرائيليات وما بعد العدوان ، كتاب الهلال ، نوفمبر ١٩٦٧ .
٩ - أحمد بهاء الدين : مطلوب دولة عصرية ، مجلة المصور ، القاهرة ، ٣٠ يوليو ١٩٦٧ .
١٠- أحمـــد حجاب : نافذة عـــلى الأدب الشـــعبى ، القاهرة ، دار الفنـــون والهندسة .
١١- أحمد حلمى زكريا : اللغة السرية فى محيط النشالين ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٢- حامد عمار : فى بناء البشر ، دراسات فى التغير الحضارى والفكر التربوى ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٤ .
١٣- القمص حنا غبريال : كتاب التنجيز أى الصلوات الموتى ، بنى مزار ، ١٩٢٨ .
١٤- جمعية الكراريس البريطانية : مغنى الطلاب فى مواضيع الكتاب ، بيروت ، ١٨٨٤ .
١٥- سليمان حزين : خطط الاصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى (حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية) ، بيروت بلبنان ، ١٩٤٩ .
١٦- سيد عويس : التفاؤل والتشاؤم فى عالم الكرة ، كرة القدم ، موسم ١٩٦٧ ، جريدة الأهرام ، عدد خاص ، ابريل ١٩٦٧ .
١٧- سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
١٨- سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٦ .
١٩- سيد عويس : المرأة كسلعة ، الهلال ، القاهرة ، مارس ١٩٦٥ .
٢٠- سيد عويس : تقرير عن بحث ودراسة حالة موارد المياه وطرق صرفها فى حى بولاق ، جمعية الخدمات الاجتماعية للأحياء الوطنية ، ١٩٥١ .
٢١- سيد عويس : محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .
٢٢- سيد عويس : مذكرات يوغسلافية - انطباعات وحقائق وآراء ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
٢٣- سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارسال

الرسـائل الى ضريح الامام الشـافعى ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٢٤- سيد عويس : نظرة المصريين المعاصرين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى، دراسة غير منشورة ، ١٩٦٨ .
٢٥- سيد عويس وحسن طه أبو الفضل : دراسة اجتماعية فى حى بولاق ، قسم البحوث والرعاية الاجتماعية ، جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
٢٦- شاخنازاروف وآخرون : الناس والعلم والمجتمع ، دار التقدم ، موسكو .
٢٧- صـلاح مصطفى الفوال : البداوة العربية والتنمية ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ .
٢٨- عبد السلام داود : فئران التجارب الآدمية ، جريدة الأخبار ، ١٩/١/ ١٩٦٨ .
٢٩- عبد الفتاح السيد الطوخى : المندل والخاتم السليمانى والعلم الروحانى للامام الغزالى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .
٣٠- عبد الفتاح السيد الطوخى: النور الربانى فى العلم الروحانى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .
٣١- على حمدى الجمـال : حديث الناس ، جريدة الأهرام ، ٥ ديسـمبر ١٩٦٧ .
٣٢- الأب عيروط اليسوعى : الفلاحون ، ترجمة محمد غلاب ، القاهرة ، مطبعة كوثر مصر ، ١٩٤٣ .
٣٣- فريدة أحمد : صناديق النذور فى مساجد أولياء الله ، اشراف سـيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦٣ .
٣٤- ل. كرايزمر : السيبرنيتك علم التحـكم الأوتوماتيـكى ، دار مصر للطباعة ، موسكو .
٣٥- محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ هـ .

٣٦– محمود السعران : اللغة والمجتمع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ .
٣٧– محمود خطاب : الدين الخالص ، الجزء الثامن ، القاهرة .
٣٨– محمود خطاب : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة ، مطبعة الفتوح الأدبية ، مصر .
٣٩– محمود خطاب : فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ، القاهرة ، مطبعة الحسينية .
٤٠– مرقص سميكة ويسى عبد المسيح : فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطى والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والاسكندرية ، وأديرة القطر المصرى ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، الجزء الأول ، ١٩٣٩ .
٤١– مكتبة الجمهورية العربية : قصة الجمل والغزالة ، القاهرة .
٤٢– مكتبة الجمهورية العربية : قصة أيوب المبتلى ، القاهرة .
٤٣– يعقوب فام : أطفالنا وكيف نسوسهم ، القاهرة ، مطبعة ومكتبة وديع أبو فاضل وولده .

ثانيا : المراجـــع الأجنبية

1. Adams, B.J., «Culture and Conflict in An Egyptian village'» American Anthropologist, 1957, 59.
2. David, Ourel, «La Cybernétique et L'humain», ideés N.R.F., Gallimard, Paris, 1965.
3. Fairchild, Pratt, Henry, «Dictionary of sociology and Related Sciences,» Littlefield, A dams and Co., Ames, Jowa, 1955.
4. Foster, M. George, «Traditional Cultures : and The Impact of Technological Change», Nwe York, Harper and Row, 1965.
5. Kluckhohn, Clyde, «The Study of Culture,» in Coser and Rosenberg.» Sociological Theory, A Book of Readings», New York, Collier - Mac Miller Limited, 1965 :
6. Martindale, Don, «Social life and cultural Change,» New York, D. von nostrand Co., 1962.
7. Selsam, Howard, «Handboob of Philosophy,» New York, 1949.
8. Rosenthal, M. and P. Yudin, «A Dictionary of Philosophy,» progress publishers, Moscow, 1967.
9. United nations, «Study Kit on Training for Community Development,» New York, 1957.